محمد بن ناصر العبودي

# ايام في فيتنام

جميع حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

# المؤلف

محمد بن ناصر العبودي: أحد الأدباء السعوديين الحائزين على (ميدالية) الاستحقاق في الأدب، ولد في مدينة بريدة عاصمة منطقة القصيم عام ١٩٣٠ م، وتعلم في مدارسها وتلقى العلم على مشايخها ثم على مشايخ آخرين في المملكة العربية السعودية.

شغل وظائف رئيسية منها مدير المعهد العلمي في بريدة من عام ١٣٧٣ هـ إلى عام ١٣٨٠ هـ، ثم نقل إلي وظيفة الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عندما افتتحت وكان من الموظفين المؤسسين للجامعة. وذلك لمدة ثلاث عشرة سنة.

عين بعدها وكيلاً للجامعة الإسلامية لمدة سنة واحدة.

ثم نقل إلى وظيفة (الأمين العام للدعوة الإسلامية) برتبة وكيل وزارة (المرتبة الخامسة عشرة) وبقي فيها ثماني سنوات.

ثم (الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي) الحالية.

له بحوث عديدة واشترك في عشرات المؤتمرات الإسلامية والأدبية.

## أولاً ـ مؤلفاته المطبوعة:

١ ـ «معجم بلاد القصيم»: ستة مجلدات، نشر دار اليمامة للطبع والنشر.

٢ ـ «الأمثال العامية في نجد»: خمسة مجلدات، ساعدت دارة الملك عبد العزيز في نفقات طباعته.

٣ ـ «في إفريقية الخضراء»، نشر دار الثقافة في بيروت.

٤ ـ «صلة الحديث عن إفريقية»، نشر دار العلوم في الرياض.

٥ ـ «كتاب الثقلاء»، نشر الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (سلسلة الكتاب العربي السعودي).

٦ ـ «كتاب شهر في غرب إفريقية»، طبع المطابع الأهلية للأوفست في الرياض.

٧ ـ «كتاب رحلات في أمريكا الوسطى»، طبع المطابع الأهلية للأوفست في الرياض.

٨ ـ «كتاب جولة في جزائر البحر الزنجي»، طبع المطابع الأهلية للأوفست في الرياض.

٩ ـ «إطلالة على نهاية العالم الجنوبي»، نشر النادي الأدبي في مكة المكرمة.

١٠ ـ «مأثورات شعبية»، نشرته الجمعية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

١١ ـ «سياحة في كشمير» طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

١٢ ـ «رحلة إلى جزر مالديف» إحدى عجائب الدنيا. . . . نشر دار العلوم في الرياض.

١٣ ـ «رحلة إلى سيلان»، نشر الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون.

١٤ ـ «في غرب البرازيل»، طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

١٥ ـ «في بلاد المسلمين المسنيين: بخارى وما وراء النهر» طبع مطابع الفرزدق التجارية.

١٦ ـ «بقية الحديث عن أفريقية»، طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

١٧ ـ «جولة في جزائر البحر الكاريبي»، المطابع الأهلية للأوفست في الرياض.

١٨ ـ «جولة على جزائر جنوب المحيط الهادي»، مطابع الفرزدق التجارية.

١٩ ـ «إلى أقصى الجنوب الأمريكي»، مطابع الفرزدق التجارية.

٢٠ ـ «مشاهدات في بلاد العنصريين»، نشر نادي القصيم الأدبي في بريدة.

٢١ ـ «نفحات من السكينة القرآنية»، نشر دار العلوم ـ الرياض.

٢٢ ـ «على ضفاف الأمازون»، نشر النادي الأدبي في أبها.

٢٣ ـ «سوانح أدبية»، طبع مطابع الفرزدق التجارية.

٢٤ ـ «أخبار أبي العيناء اليمامي»، نشر دار اليمامة للطبع والنشر بالرياض.

٢٥ ـ «داخل أسوار الصين»: مجلدان، طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٢٧ ـ «بلاد الداغستان»: مجلد، طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٢٨ ـ «جمهورية أذربيجان»، طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٢٩ ـ «مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين»، نشر النادي الأدبي في الرياض.

٣٠ ـ «بين الأرغواي والباراغواي»، طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٣١ ـ «صور ثقيلة»، طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٣٢ ـ «في نيبال، بلاد الجبال»، طبع مطابع نجد في الرياض.

٣٣ ـ «يزارة لسلطنة بروناي الإسلامية» مطابع الرياض الأهلية للأوفست.

٣٤ ـ «على قمم جبال الإنديز»، طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٣٥ ـ «في أعماق الصين الشعبية»، نشر في مجلة المنهل التي تصدر في جدة.

٣٦ ـ «بورما: الخبر والعيان»، طبع في بيروت.

٣٧ ـ «مقال عن بلاد البنغال»، طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٣٨ ـ «ذكريات من يوغسلافيا»، طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٣٩ ـ «الرحلة الروسية»، طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٤٠ ـ «كنت في بلغاريا»، طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٤١ ـ «كنت في ألبانيا»، طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

٤١ ـ «أيام في النيجر»، طبع في بيروت.

٤٢ ـ «نظرة في شرق أوروبا وحالة المسلمين بعد سقوط الشيوعية»، طبع في بيروت.

٤٣ ـ «ذكرياتي في إفريقية» ـ محاضرة ـ نشرتها رابطة العالم الإسلامي.

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

# جائزة
# مركز الأدباء السعوديين

بناء على موافقة معالي وزير المعارف والرئيس الأعلى لجامعة الملك عبد العزيز - بناء على الصلاحيات المخولة له وبناء على الموافقة التاسعة والعشرين من نظام الجامعة وبعد الاطلاع على محضر مجلس الجامعة الثالث المنعقد بتاريخ ٥ / ٣ / ١٣٩٤ والمبني على توصيات اللجنة الفنية المنبثقة عن المؤتمر الأول للأدباء السعوديين لتكريم الأدباء.

تمنح السيد / محمد بن ناصر العبودي جائزة الاستحقاق تكريما لجهوده في الإنتاجية الفكرية

والله ولي التوفيق.

صدر في مكة المكرمة في ٥ / ٣ / ١٣٩٤هـ
الموافق ٢٨ / ٣ / ١٩٧٤م

مدير الجامعة

أ.د. عبد الله عمر بانجا

وزير المعارف
والرئيس الأعلى للجامعة

# المقدمة

الحمد للّه رب العالمين، الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وأفضلهم مقاماً أجمعين محمد بن عبد اللّه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن هذا الكتاب يتضمن الحديث عن رحلة إلى بلاد كانت تعرف بالهند الصينية وذلك عندما كان يشملها اسم واحد للتعريف بها، وبخاصة في اصطلاح الفرنسيين الذي أشاعوه على العالم عندما كانوا يستعمرون تلك المنطقة، وهي المعروفة بدولها الثلاث: فيتنام ولاوس وكمبوديا.

واسم (الهند الصينية) صحيح من جهة وغير دقيق من جهة أخرى، فهو صحيح لكون أهلها يشبهون الصينيين من بعض الوجوه وإن لم يكونوا بهم ـ ولكنه ليس صحيحاً في كونهم يشبهون الهنود من وجوه أخرى.

فهم سواء في الألوان أو أوزان الأبدان، أو تقاسيم الوجوه لا يشابهون الهنود، ولا يقربون منهم.

ولكن تسمية المناطق الشرقية بالهند والصين عريقة عند

الأوروبيين فكانوا يسمون البلاد التي تقع شرق الهند بالهندية حتى يصلوا إلى الصين فيسمونها بالصين ويسمون أهلها بالصينيين.

ولذلك سموا اندونيسيا بجزائر الهند الشرقية مع أنها لا تشبه الهند، وأهلها لا يشبهون الهنود.

كما أن الإسبانيين الذين كانوا مع كريستوفر كولومبس أول مكتشف للعالم الجديد قد أسموا جزائر البحر الكاريبي بجزائر الهند الغربية لأنهم كانوا قد وصلوها وهم يبحثون عن طريق يوصل إلى الهند من جهة الغرب يظنون أنه سيكون أقرب وأسهل من طريق الشرق.

مع أن تلك الجزر بعيدة عن الهند وأهلها أكثر من بعد أوروبا عن الهند وأهلها.

والمهم أن الأوروبيين قد أصروا على ذلك الخطأ في التسمية أو استمروا عليه حتى الآن. وقد ألحقت بالهند الصينية في التسمية بلاد مجاورة هي بورما، التي كانت مستعمرة إنكليزية والبورماويون الأصلاء لا يشبهون الهنود، وما هم من أهلها بقريب، وإنما يشبهون أهل هذه البلاد الفيتنامية واللاوسيين الذين يشبهون التايلنديين والأندونيسيين. وإنما يوجد في غرب بورما أقوام من الروهانجيين وغيرهم يشبهون أهل الهند وهم أقلية عددية بالنسبة إلى أكثر أهل البلاد البورماوية.

على أن بعض الناس يورد سبباً صحيحاً لتسمية أهل هذه البلدان بالهند الصينية وهو أنهم في مظهرهم يشبهون الصينيين ولكنهم في ثقافتهم وديانتهم يشبهون أهل الهند لأنهم في معظمهم

يعتنقون الديانة البوذية التي أصلها من الهند، ولا تزال تماثيل بوذا فيها تشهد بأصلها الهندي الصريح، إذ لا توجد في معابدهم تماثيل لبوذا ذات تقاطيع مثل تقاطيع أجسامهم أو ذات تقاسيم مثل التي في وجوههم، وإنما كلها تمثل بوذا ذا وجه هندي صميم.

لقد كانت البلاد التي تتجه إليها رحلتنا الآن مستعمرات فرنسية ثم استقلت بحد السيف، وضرب المدفع، فانتزع أهلها وبخاصة الفيتناميين منهم الاستقلال انتزاعاً، بل إنهم ألحقوا بالمستعمرين الفرنسيين هزيمة تاريخية شنعاء جعلتهم يولون الأدبار كارهين الاستعمار وما جر عليهم من بوار.

ولا تزال هزيمتهم في قلعة (ديان بيان فو) عالقة في أذهان المتتبعين مثلي للأخبار قبل ثلاثين سنة أو تزيد.

والهدف من هذه الرحلة إلى الهند الصينية هو كالهدف من رحلاتي الأخرى التي قمت بها إلى أنحاء العالم: هو البحث عن الإخوة المسلمين، والاطلاع على أحوالهم، وتقدير حاجتهم للمساعدة على تسيير أمور دينهم.

وتلك هي مهمة رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة التي أعمل فيها (أميناً عاماً مساعداً)، كما كانت مهمة وظيفة لي قبلها كان اسمها (الأمين العام للدعوة الإسلامية)، وقبلها في وظيفة (الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة).

كل هذه الوظائف كانت تتعلق بهذا الأمر، وكان لي شرف زيارة الإخوة المسلمين في بورما قبل سنين، وقد كتبت عن تلك الزيارة كتاباً طبع قبل فترة عنوانه (بورما: الخبر والعيان)، كما كان لدي عزم على زيارة دول الهند الصينية الثلاث: التي هي فيتنام ولاوس

وكمبوديا منذ عدة سنوات ولكن لم يتحقق ذلك العزم إلا الآن.

وقد كتبت على عادتي مذكرات يومية عما شاهدته أو استنتجته مما شاهدته أو سمعته من أحوال البلاد العامة، ومن أحوال المسلمين خاصة، اسميتها (مشاهدات في الهند الصينية)، غير أنني رأيت أن الكتاب ثقيل على القارىء الكريم إذا بقي على حاله ثقيل الوزن ولا أقول ثقيلاً على النفس، إذ لا أريد أن أفرض بل أن أعرض على القارىء الكريم رأياً له في الكتاب هو أحق وأولى بأن يفرضه عليه.

وقد علمتني التجربة أن الكتاب الصغير أو المتوسط يكون أحب إلى القارىء وأخف على يده وجيبه من الكتاب الكبير.

وحتى الناشر رأيته يفضل الكتاب الصغير على الكبير، لذلك رأيت تقسيمه إلى كتابين أحدهما وهو هذا بعنوان (أيام في فيتنام)، والثاني بعنوان (مشاهدات في لاوس وكمبوديا)، راجياً أن ينال هذان الكتابان من رضا القراء ما نالته كتب أخرى سابقة للمؤلف، كما أرجو أن يتقبل اللّه تعالى سعينا في أداء واجبنا الإسلامي النبيل نحاه تعريف الإخوة المسلمين بعضهم ببعض، وذلك ـ بطبيعة الحال ـ من التعاون على البر والتقوى الذي أمر اللّه تعالى به المسلمين بقوله: وتعاونوا على البر والتقوى.

ولا شك في أن التعاون أوله التعارف، إذ كيف يتعاون المسلمون بعضهم مع بعض إذا لم يكونوا قد تعارفوا، إضافة إلى ما يجلبه التعارف من التآلف وتأكيد الأخوة التي ذكرها اللّه سبحانه وتعالى بقوله: إنما المؤمنون إخوة.

واللّه من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

مكة المكرمة

محمد بن ناصر العبودي

# فيتنام

تقع (فيتنام) في جنوب شرق آسيا في شبه جزيرة الهند الصينية ممتدة على شكل شريط ضيق يأخذ في الاتساع شمالاً وجنوباً. وتبلغ مساحتها ٣٣٤,٣٣٢ كيلو متر مربع ويتبعها بعض الجزر الصغيرة في بحر الصين. ويحدها جنوباً وشرقاً بحر الصين الجنوبي، وشمالاً الصين الشعبية، وغرباً لاوس وكمبوديا، وقد تألفت في الأصل من اتحاد تونكين وأنام وكوشين.

ويبلغ سكان فيتنام كلها في الوقت الحاضر ٦٨ مليون نسمة.

وأرضها: سهل ساحلي ضيق جداً يمتد بامتداد شاطىء البحر، ويتسع هذا السهل في شمال البلاد حيث تجري فيه عدة أنهار وروافد مثل النهر الأحمر. كما يتسع في الجنوب حيث تجري فيه أنهار كثيرة أهمها نهر الميكونج وروافده، وتكثر الأدغال في هذا السهل.

وتتميز فيتنام بحرارة الجو بوجه عام ما عدا المناطق الشمالية القصوى فإن الجو يغدو لطيفاً فبارداً في الشتاء.

والأمطار غزيرة في الصيف والشتاء، ولكنها في الشمال أقل في فصل الشتاء.

## الاقتصـــاد:

فيتنام دولة غنية جداً في الموارد الزراعية بوجه عام. وهناك ثروة معدنية مثل الذهب والفضة والمنجنيز والقصدير والنحاس. ويعتقد بوجود البترول مغموراً في أراضيها ومياهها الإقليمية، إلا أن الحرب السابقة الطويلة قد حالت دون البحث عنه.

أما الإنتاج الزراعي فإنها تصدر الأرز والمطاط والشاي والقطن والسكر والبهارات والأناناس والخضروات.

وتسهم الصناعات الوطنية والتجارة في النمو الاقتصادي.

والعملة هي (الدونج).

## اللغـــة:

يتكلم الفيتناميون اللغة الفيتنامية وهي من اللغات الهندية الصينية. كما يتكلم المسلمون فيها بلغة التشامبا وهي ملايوية.

وتطبق فيتنام النظام الاشتراكي في المسائل المالية الاقتصادية عن طريق جمعيات وشركات القطاع العام، وتعتبر الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى ملكاً للدولة.

وتمتلك فيتنام جيشاً برياً وبحرياً وسلاح طيران قوياً يقال إن عدد جيشها يبلغ مليونا ونصفاً من الرجال. وأضعاف هذا العدد من رجال حرب العصابات والاحتياط. ويعتبر هذا الجيش أكثر الجيوش الشرقية خوضاً للحروب فقد خاض حرباً ضد فرنسا ثم الولايات المتحدة لذا فهو مدرب تدريباً كبيراً، ولكن فيتنام لا تمتلك أسلحة نووية وإنما يعتمد جيشها على الأسلحة التقليدية وتعتبر الخدمة العسكرية إلزامية.

## التـــاريخ:

كانت فيتنام إحدى الممالك في الهند الصينية وقد احتلها الفرنسيون في القرن التاسع عشر وأبقوها مملكة تحت سيطرتهم. وفي سنة ١٩٤٢ غزاها اليابانيون واستطاعوا طرد الفرنسيين منها حتى سنة ١٩٤٥ م حيث انهزم اليابانيون في الحرب فعاد الفرنسيون إليها ولكنهم وجدوا الوضع قد تغير بقيام الحزب اليساري (فيت منه) وأعضاؤه من الوطنيين والشيوعيين فحارب الفرنسيين.

ثم إن هذا الحزب أقام دولة فيتنام الشمالية برئاسة (هوشي منه) واتخذ هانوي عاصمة لها، وفي سنة ١٩٤٦ م اعترفت فرنسا بإمبراطورية فيتنام الجنوبية باتفاق من دول الغرب ورفضت الاعتراف بفيتنام الشمالية دولة ذات سيادة، فثارت حرب بين فرنسا وحليفتها الجنوبية من جانب ضد الشمال الذي كان يعاونه الروس والصينيون بإمداده بالسلاح، واستمرت الحرب إلى سنة ١٩٥٤ م حيث منيت فرنسا بهزيمة في (ديان بيان فو) واضطرت إلى قبول وقف القتال الذي اقترحه مؤتمر جنيف.

ثم قسمت فيتنام رسمياً إلى دولتين هما فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية وعاصمتها (سايجون) بينما استمرت الشمال جمهورية شيوعية.

وفي سنة ١٩٥٥ م قام (نجودونه ديم) إثر استفتاء عام بتعيين نفسه رئيساً لجمهورية فيتنام الجنوبية يؤيدها الأمريكيون بعد أن انسحب الفرنسيون من البلاد نهائياً.

ثم صمم الشماليون في محاولات عديدة لضم الجنوب الذي

تمده أمريكا بالأسلحة. وذلك عن طريق حرب العصابات والحرب النظامية التي اشتدت ضراوتها سنة ١٩٦٠ م بتدخل قوات الولايات المتحدة وبعض حلفائها فيما بعد لحماية الجنوب، واستمرت حتى سنة ١٩٧٣ م حيث أمر الرئيس الأمريكي نيكسون بسحب القوات الأمريكية المنهكة.

وفي سنة ١٩٧٥ م سقطت فيتنام الجنوبية بيد قوات الشمال ورجال حرب العصابات المعروفين باسم (فيت كونج) وعلى أثر ذلك توحدت البلاد من جديد.

## المسلمون في فيتنام:

كانت قد قامت على بقعة واسعة مما يسمى الآن بفيتنام وكمبوديا دولة مهمة تسمى دولة تشامبا، وكان أول قيامها في وقت تاريخي مبكر حتى إن بعضهم يرقى به إلى القرن الرابع للميلاد.

ثم استمرت قائمة حتى القرن الرابع عشر الميلادي حيث كثر المسلمون فيها، وبعد ذلك بقرنين أو نحوهما أصبحت دولة إسلامية بحكامها وشعبها.

ودولة (تشامبا) باتفاق المؤرخين ذات صبغة ملايوية فلغتها منذ تاريخ ازدهارها وحتى سقوطها هي لغة ملايوية والبقية الباقية من شعبها في فيتنام وكمبوديا لا تزال تتكلم اللغة الملايوية.

وقد حمل ذلك بعض المؤرخين على أن يقول إن أصل الملايويين هو من تلك الجهة الواقعة ما بين فيتنام التي تعرف الآن بفيتنام الجنوبية وبين كمبوديا، وإن كان بعضهم يقول: إن العكس

جائز، وإنه ربما كانت عناصر ملايوية قد هاجرت من بلاد الملايو في وقت مبكر إلى تلك المنطقة فصارت ملايوية.

وقد جزم عدد من الباحثين الأندونيسيين والملايويين على أن أصلهم من منطقة تشامبا، وأياً كان الأمر فإن دولة تشامبا هي دولة مسلمة أصبح شعبها شعباً مسلماً عريقاً في إسلامه، لم تستطع المحن والمصائب أن تنال انتماءه الإسلامي، ولا لغته الملايوية حتى الآن.

وقرأت في بعض النشرات أن أوسع امتداد لدولة تشامبا المسلمة كان في عام ٨٧٥ هـ، إذْ وصلت حدودها الشمالية إلى بداية خليج تونكين عند مدينة (دونغ هوى) الحالية أي إنها ضمت جزءاً من جنوب ما كان يسمى بفيتنام الشمالية قبل توحيد فيتنام، كما قاربت أن تصل إلى منطقة لا تبعد أكثر من مائة كيلو متر من موقع مدينة (هوشي منه) التي كانت تسمى سايقون قبل اتحاد فيتنام. ولكن فيتنام غزتها منذ ذلك التاريخ وأوقفت امتدادها، بل أضعفتها منذ دخول القرن العاشر الهجري.

وقد أعطى أحد الباحثين صورة لضياع دولة تشامبا المسلمة مقسمة على مراحل أربع:

**المرحلة الأولى**: من عام ٨٧٥ ـ ٩٤٧ هـ، استولت فيتنام على فيجايا (VIJAYA) عاصمة التشامبا حيث قتلت فيها ستين ألفاً وأسرت ثلاثين ألفاً ساقتهم إلى هانوي (VANOI) عاصمة فيتنام، ومن بينهم خمسون فرداً من العائلة الملكية سجل هذه الأعداد المؤرخ الفرنسي «ج كويديس (G. COEExES).

وكان ذلك في عهد بان لا تراتون (BANLATRA ó TOAN) ملك

فيتنام الذي حدد ـ حسب رواية ج ماسبيرو في كتابه مملكة التشامبا ص ٢٤٠ ـ حدود التشامبا الشمالي بكيب فاريللا (CAP 6 VARELLA) وخالفه في ذلك بعض المؤرخين الفرنسيين والفيتناميين.

**المرحلة الثانية**: من عام ٩٤٧ ـ ١٠٦٠ هـ وفيها تمكّن (هيين فونغ Veien Vuong) قائد جيش فيتنام من دخول مدينة (كاوتهارا Kauthara) التشامبية واستولى عليها، وانهزم (باتهام Batho un) ملك تشامبا في ذلك الوقت أمام العدو الأكثر وعدة.

**المرحلة الثالثة**: ١٠٦٠ ـ ١٢٣٧ هـ وفيها فقدت دولة تشامبا مدينة (كاوتهارا) نهائياً، واتخذت مدينة (بان دورانغا Banduranga) مقراً لحكومة المملكة، وذلك في عهد (باترانه Vatranh) ملك تشامبا و (نها نغويين Nhanguyen) ملك فيتنام، وفي هذه المرحلة استخدمت فيتنام أسلوب الهجرة إلى الأراضي المحتلة، حيث هاجر فيتناميون إلى الأرض التي استولوا عليها، وإلى أراضي تشامبا واستوطنوا فيها استيطاناً دائماً لأن حكومة تشامبا وإن كانت موجودة إلا أنها لا تستطيع أن تدفع عن نفسها هذا الخطر، ولا تملك الأمر والنهي بدون موافقة السلطة الفيتنامية المسيطرة.

**المرحلة الرابعة**: عام ١٢٣٨ هـ وما بعدها، وفيها قامت سلطة الاحتلال في فيتنام أيام ملكها (مين مانغ Minh Mang) بتوزيع الأراضي والأملاك للمستوطنين الفيتناميين بعد نزع ما يملكه التشامبيون من الأملاك والحقوق، فأصبحوا بذلك شعباً غريباً في موطنه مجرداً عن كل شيء في البلاد التي بناها أجداده بعرقهم ودمائهم.

أمام هذا الواقع قرر (بوتشون Pochon) ملك التشامبا الأخير

مغادرة البلاد، وطلب اللجوء السياسي إلى كامبوديا، فرحب به ملك كامبوديا وبمن تبعه من التشامبيين الذين فضلوا أن يكونوا غرباء في كامبوديا على أن يكونوا غرباء في بلادهم. ومن هنا بدأ الوجود الإسلامي داخل كامبوديا، ولا يزال هؤلاء التشامبيون يقيمون في كامبوديا.

## المسلمون في الوقت الحاضر:

ينتمي أغلب المسلمين في فيتنام في الوقت الحاشر إلى تشامبا، وقد يقال فيهم تشامبا وفي دولتهم السابقة ـ تشام، وربما صح القول بأن ٩٥٪ من المسلمين هناك الآن هم من التشامبيين.

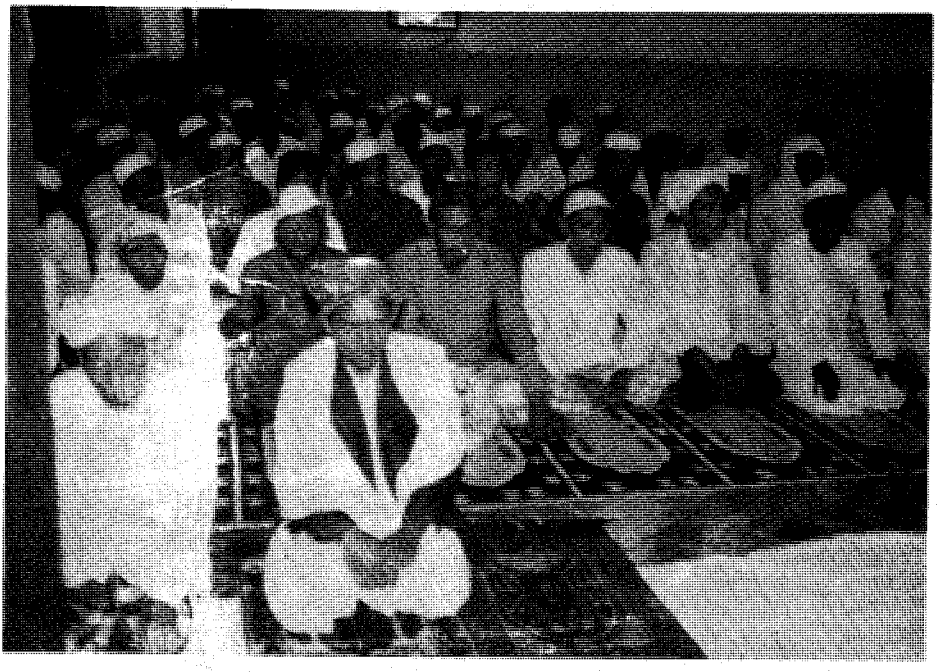

صلاة الفطر

في مسجد جامع الإسلامية في هوشي منه

بل إذا اطلق المسلمون هناك انصرف الذهن إلى الأخوة التشامبيين.

ولا زالوا متمسكين بدينهم رغم الصعاب، بل محافظين عليه وساعين في نقله إلى الأجيال الصاعدة منهم رغم ضعف وسائلهم إلى ذلك من الكتب والمدارس وقلة الأنصار وبعد الديار عن حواضر المسلمين.

لباس المسلمات في فيتنام

## المسلمون من الفيتناميين الأصلاء:

توجد أقلية قليلة العدد من المسلمين الفيتناميين الأصلاء أي الذين ليسوا هم من التشامبيين، وذلك يتمثل في إسلام قرية من قرى الفيتناميين اسمها (تام بو) وتبعد ٤٠ كيلو متراً عن قلب العاصمة الجنوبية (هو شي منه)، (سايقون) سابقاً.

وقد أسلموا منذ وقت قريب، وقد حاولنا الوصول إلى قريتهم والتعرف عليهم وتقديم مساعدة مالية لمسجدهم، ولكن إخوتنا أخبرونا أن قريتهم تقع خارج نطاق (هوشى منه) ولا تجيز الحكومة للأجانب أن يخرجوا من المدينة إلا بإذن منها وتعاقب من يساعدونهم على ذلك من الفيتناميين.

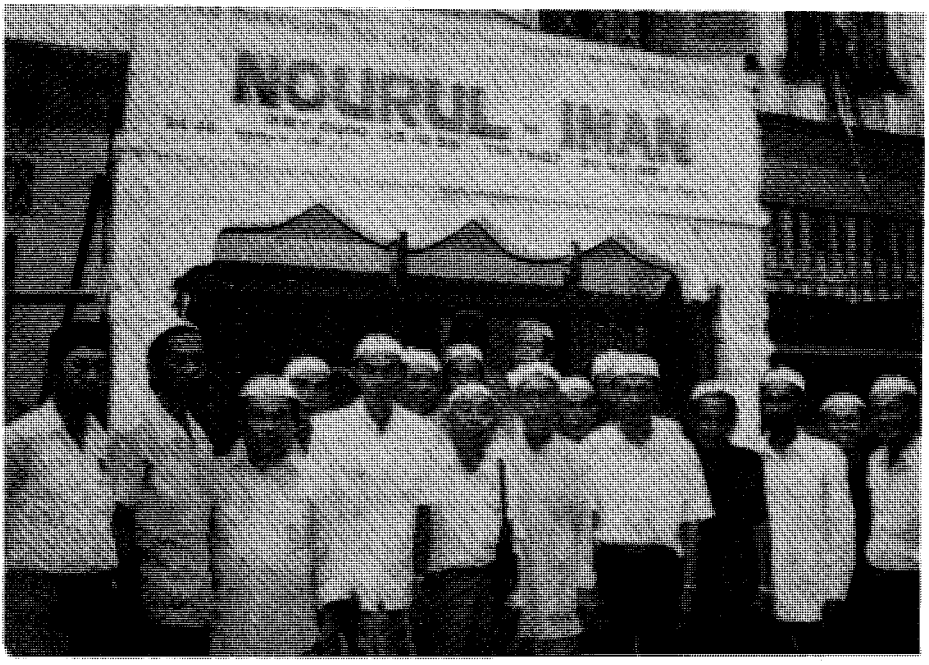

المصلون في مسجد الإيمان في (هوشي منه)

## العـــرب:

كان هناك بعض العرب الذين أغلبهم من اليمن وجيبوتي ولكنهم هجروا البلاد وهاجروا منها بعد استيلاء الشيوعيين عليها، لأنهم من التجار الذين أغلقت أمامهم أبواب العمل التجاري.

وقد قابلت بعضهم في جزر (نيوكلدونيا) في جنوب المحيط الهادىء حيث ذكروا أنهم هاجروا من فيتنام اليها، وشارك بعضهم في تأسيس الجمعية الإسلامية في (نيوكلدونيا) وتولى بعضهم رئاستها كما ذكرت ذلك في كتاب (جولة في جزائر جنوب المحيط الهادىء)... ولا تزال بقية قليلة جداً من أولادهم في فيتنام.

## المسلمون من أهل الهند:

توجد في فيتنام طائفة من الإخوة المسلمين من أهل الهند، وكانوا من التجار ورجال المال، ولكنهم على عادتهم لم يتهاونوا في أمور دينهم فأسسوا عدداً من المساجد، وأنشأوا بعض المدارس، إلا أنهم وهم من التجار غادر الأثرياء منهم البلاد عندما استولى عليها الشيوعيون، لأنه لم يبق لتجارتهم مجال، بل إن بعضهم بحكم ثرواتهم كان الشيوعيون يعدونهم من الأعداء، فخافوا من انتقامهم وهجروا البلاد، ولم يبق فيها من مسلمي الهند إلا قلة في مدينة (هوشي منه)، ذكر المسلمون الهنود أنفسهم لنا أن عددهم يبلغ الآن (٢٨٠) نسمة.

وأكثرهم من جنوب الهند وبخاصة ولاية (تامل نادو) التي عاصمتها مدراس.

فمثلاً يبلغ عدد المساجد في مدينة هوشي منه أربعة عشر مسجداً من بينها أربعة مساجد صغيرة يطلق على كل منها لفظ «سوراو» وهي كلمة ملايوية تطلق على المسجد الصغير.

وقد تبين لنا الدور الكبير الذي كان للمسلمين الهنود في هذه البلاد قبل أن يستولي الشيوعيون على المدينة، فمن بين الأربعة عشر مسجداً المشار إليها بنى المسلمون الهنود مسجدين هما أكبر المساجد وأفخمها بل أقدمها أيضاً في هذه المدينة.

**الأول**: هو مسجد «جامع المسلمين» وهو أكبر مسجد في المدينة ويطل على شارع رئيسي كبير بالحي الأول مركز المدينة التجاري وقلبها النابض، وقد بني على الطراز الإسلامي الهندي بمناراته الأربع.

وله فناء كبير وحديقة ودورات مياه وملحق به مدرسة تتكون من ثلاث طبقات ويبلغ عدد المصلين به في أيام الجمع ما بين ٦٠ ـ ٨٠، وذكروا أنه يمتلىء بالمصلين في أيام العيدين.

ويقل وجود المسلمين بهذا الحي في الوقت الحاضر مما يدل على أن المسلمين الذين يصلون فيه الآن يأتون إليه من أحياء بعيدة متفرقة. وكان للمسلمين أهل الهند أبنية وحوانيت وممتلكات عقارية تقع قريباً منه. وإمامه هو الشيخ محمد يوسف وهو مسن في الحادية والسبعين من عمره من أصل (تشامبا) ويتحدث العربية والملايوية بجانب اللغة الفيتنامية، وهو تلميذ الشيخ عمر علي مفتي المسلمين السابق في فيتنام وله مسكن خاص بجوار المسجد ورغم كبر سنه فهو نشيط ويؤدي عمله بانتظام وقد صحبنا كمترجم خلال جولاتنا في جنوب فيتنام.

مسجد نور الإسلام في (تي ني) هوشي منه

**الثاني**: وهو مسجد «جامع المسجد» ويقع في الحي الخامس من شارع «نجايين ترال» وهو من الشوارع الكبيرة وبالقرب من المسجد عدة منازل للمسلمين كما أن ساحته كبيرة، ولكنه يحتاج إلى ترميم لبعض جدران شرفته الأمامية وإمامه من مسلمي (تشامبا) ورئيس مجلس إدارته هو الأخ محمد صالح بن يوسف من مسلمي تشامبا أيضاً، ولا يوجد به أحد من المسلمين الهنود بعكس المسجد الأول الذي لا يزال يشرف عليه بعض المسلمين الهنود.

أما الإخوة الماليزيون فإن عملهم الإسلامي في فيتنام يتمثل في تردد بعضهم ممن ينتمون لجماعة التبليغ لزيارة إخوانهم في فيتنام من

حين لآخر، ويرجع ذلك لعامل اللغة، فلغة التشامبا هي من اللغة الملايوية ولا تختلف عن لغة أهل الملايو إلا قليلاً، وقد زرنا المساجد المذكورة وكتبت عنها كتابة مفصلة في اليوميات لا أرى تكرارها بنصها هنا.

ولمسلمي هوشي منه (سايجون سابقا) جمعية إسلامية بإسم «جمعية مسلمي هوشي منه» ومقرها بجوار مسجد «جامع المسلمين» بالحي الخامس عشر الذي يطل على شارع هام يؤدي إلى المطار واسمه (NGUYEN VQNTROI)، وهذا المسجد غير المسجد الذي يقع في الحي الأول والذي بناه الهنود، وتقدم ذكره.

الأطفال في مدرسة مسجد السعادة العامة

وتسعى هذه الجمعية لتكون ممثلة للمسلمين لدى الجهات المسئولة عن العمل الإسلامي بالخارج باعتبارها حلقة الاتصال بين الحكومة الفيتنامية والمسلمين في سائر المدينة ويتألف مجلس إدارتها من تسعة أشخاص يرأسهم الإمام إبراهيم إمام المسجد ويعتبرونه رئيس المسلمين وتضم في عضويتها الحاج عبد الحليم سليمان وهو أحد المسلمين البارزين في المدينة، كما تضم عدداً من المثقفين والموظفين العاملين في الحكومة.

وقد عقدنا جلسة عمل بمقر الجمعية مع رئيس الجمعية وأعضاء مجلس إدارتها وسلمناهم مساعدات مالية عاجلة منها (١٢,٠٠٠) دولار أمريكي (إثني عشر ألف دولار أمريكي)، موزعة على النحو التالي:

ألف دولار أمريكي للجمعية لدعم نشاطها والمساعدة على تيسير عملها.

ثلاثة آلاف دولار أمريكي لأئمة المساجد ومعلمي الدين الإسلامي واللغة العربية في مدينة هوشى منه، توزع بينهم بالتساوي، ويذكر هنا أن مستوى المعيشة متدنٍ جداً حتى إن راتب إمام المسجد لا يصل إلى ثلاثة دولارات في الشهر.

ثمانية آلاف دولار أمريكي إعانة لجميع مساجد مدينة هوشى منه.

كذلك خصصنا ألف دولار أمريكي أخرى للمسجد الجامع الذي يؤم فيه الشيخ محمد يوسف وهو أكبر المساجد في المدينة.

فيكون مجموع ما خصصناه ثلاثة عشر ألف دولار أمريكي سلمت لهم فوراً.

وأخبرناهم أن هذا هو ما استطعنا حمله في رحلتنا هذه التي شملت غير فيتنام، ونرجو أن تكون فاتحة في التعاون ما بينهم وبين رابطة العالم الإسلامي في المستقبل.

أما مدينة «هانوي» العاصمة فإنه لا يوجد فيها سوى مسجد واحد كبير يؤمه أعضاء السفارات العربية والإسلامية بفيتنام ويتناوب على إمامة المصلين وخطبة الجمعة في كل جمعة واحد من سفارة من السفارات الإسلامية في هانوي، وقد بنى هذا المسجد الكبير الأخوة المسلمون من أبناء القارة الهندية، وكان لهم نفوذ تجاري هام حتى قيل: إن الشارع التجاري المهم الذي يقع عليه المسجد كانوا يملكون كل الحوانيت فيه، كما كان عددهم يزيد على ألفي مسلم، وقد غادروا (هانوي) كلهم بعد أن استولى الشيوعيون على الحكم وتوالت الحروب فيها، ولم يبقَ فيها منهم أحد.

ويقوم على حراسة المسجد وتنظيفه أخ مسلم فيتنامي ويقيم مع أسرته وأخيه في مسكن تابع للمسجد.

والمسجد فخم البناء ذو منائر شامخة على الطراز الفيتنامي ويقع على حي تجاري هام بقلب المدينة، ولا يوجد بالمدينة مسلمون فيتناميون سوى هذه الأسرة كما أخبرنا بذلك من اجتمعنا إليهم فيها من السفراء المسلمين.

مسجد الرحيم بمدينة هوشي منه

## نظرة على أوضاع المسلمين في فيتنام:

حالة المسلمين معتادة من ناحية الأمن والمعيشة والحرية إلا أن معيشتهم كغالب الشعب متدنية، والمساجد في حالة يرثى لها من حيث قلة العناية والأثاث والمعرفة الدينية قليلة بل نادرة لعدم وجود مرشدين وصلاتهم الثقافية بالعالم الإسلامي مقطوعة مع سهولة الاتصال في الوقت الحاضر لمن أراد وإن كان من حين لآخر يقدم عليهم بعض الأفراد من ماليزيا من جماعة التبليغ فيقيمون أياماً قليلة.

وسياسة الحكومة الفيتنامية الأخيرة من الانفتاح على العالم

الخارجي وتشجيع السياحة تساعد على تقوية الصلات وتدعيم الروابط بالمسلمين.

ويندر وجود موظفين في الحكومة من المسلمين كما تحرم الحكومة تجنيد الأفراد الذين ينحدرون من أصل تشامبي في الخدمة العسكرية ذكر ذلك أكثر من اتصلنا بهم منهم علماً بأن غالبية المسلمين في فيتنام من أصل تشامبي.

وليس لهم من نشاط يذكر في مجال التجارة لأن البلاد شيوعية تحتكر الحكومة فيها تجارة الاستيراد والتصدير، وإنما أغلبهم من صغار التجار.

وعدد المسلمين في فيتنام كلها ما بين أربعين ألفاً إلى خمسين ألفاً منهم ستة آلاف في العاصمة السابقة لفيتنام الجنوبية (هوشي منه) حالياً.

وهذه معلومات مكتوبة قدمتها لنا الجمعية الإسلامية عن الأعضاء العاملين فيها، وعن أسامي بعض المساجد والمدارس وعناوينها:

**الجمعية العمومية لمدينة هوشي منه: ٥٢ شارع إنغوين ڤان تروى/ مقاطعة فو إنهوان، مدينة هوشي منه ـ فيتنام.**

**الهيئة التنفيذية:**

١ ـ إبراهيم (الإمام إبراهيم) الرئيس
٢ ـ ياسا نائب الرئيس

٣ ـ علي نائب الرئيس
٤ ـ ترورديب (محمد طيب فهمي) السكرتير
٥ ـ كيم شو (يوسف) أمين الصندوق
٦ ـ لوان دوسوف (توان يوسف) المراقب
٧ ـ عبد الحليم (الحاج عبد الحليم) عضو
٨ ـ ماخ دريس سامل (محمد إدريس بن إسماعيل) عضو
٩ ـ عبدو رومانغ (توان عبد الرحمن) عضو

## المساجد والمدارس الإسلامية في فيتنام الجنوبية:

في مدينة هوشي منه:

المنطقة ١.

١ ـ مسجد المسلمين الجامع.
٦٦ شارع دونغ دو.

٢ ـ مسجد الرحيم.
٦٦ شارع نام كى خوى إنجيا.

٣ ـ مسجد جامع المسلمين.
٤٥٩ بي/ شارع تران هونغ داء.

٤ ـ مدرسة نور الأمان.
٢٤/ ٤٦ شارع إنغوين قان كو.

**المنطقة ٣:**

٥ ـ مدرسة نور الإسلام.
٣٩ شارع تران كوانغ ويو.

٦ ـ مدرسة نعمة الإسلامية.
٣٦٠ شارع كوتسن مانغ تانغ تام.

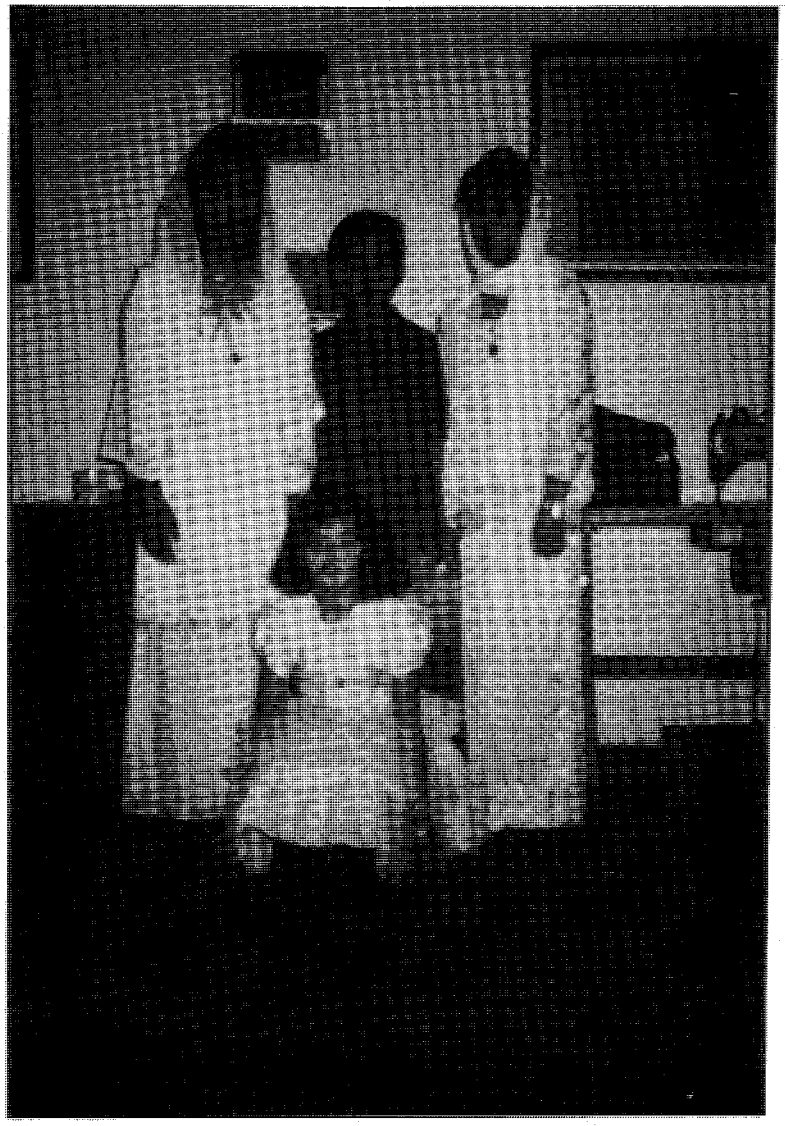

أطفال من أولاد المسلمين الفيتناميين بجانب لوحة فيها آية الكرسي

**المنطقة ٤ :**

٧ ـ جماعة كاو تشونغ يو تاو.
شارع دوان ڤان بو.

**المنطقة ٥ :**

٨ ـ جماعة المسجد.
٦٤١ شارع إنغومين تراي.

**المنطقة ٦ :**

٩ ـ مسجد جامع السعادة.
٦٧/٤٥ شارع بن تين.

**المنطقة ٨ :**

١٠ ـ مسجد جامع الأنوار.
١٥٧ لي/ ٠٩ شارع دوانغ باترال.

١١ ـ مدرسة المبارك.
٢٨/ ٢٠ شارع فام دي هين.

**المنطقة ١٠ :**

١٢ ـ مسجد حياة الإسلام.
٣١٧/ ٧٥ شارع كاتسن مانغ تانغ تام. مقاطعة فو إنهوان:

١٣ ـ مسجد المسلمين.
٥٢ شارع إنغوين ڤان تروي.

١٤ ـ مدرسة نور الإسلام:
شارع فان ڤان هان.

أمام مسجد جامع المسلمين

## في النواحي:

محافظة لانغ آن.

١٥ ـ مسجد المسلمين.
منطقة بن تشان، تشاو دول (محافظة آن ـ غيانغ).

١٦ ـ مسجد جامع الأمان.
قرية خان هوا (كوه تبونغ).

١٧ ـ مدرسة رقم ١ :
قرية خان هوا (كوه تبونغ).

١٨ ـ مدرسة رقم ٥.
قرية خان هوا (كوه تبونغ).
١٩ ـ مسجد الجامع الأزهر.
قرية فو هي بي (تشاو غيانغ).
٢٠ ـ مدرسة الأزهر.
قرية فو هيت (تشاد غيانغ).
٢١ ـ مسجد المبارك.
قرية فو هي بي (تشاو غيانغ).
٢٢ ـ مدرسة المبارك.
قرية فو هي بي (تشاو غيانغ).
٢٣ ـ مسجد نعمة.
قرية تشاو فونغ.
٢٤ ـ المدرسة المحمدية.
قرية في تشاو فونغ.
٢٥ ـ مدرسة مسكين الرحمة.
منطقة تشاو فونغ.
٢٦ ـ مدرسة دار السلام.
منطقة تشاو فونغ.
٢٧ ـ مدرسة شريف الإسلام.
منطقة تشاو فونغ.
٢٨ ـ مدرسة نور الإسلام.
منطقة تشاو فونغ.

٢٩ ـ مدرسة حياة الإسلام.
منطقة تشاو فونغ.
٣٠ ـ مدرسة جماد الإسلام.
منطقة تشاو فونغ.
٣١ ـ مدرسة الجامعة الوسطى.
منطقة تشاو فونغ.
٣٢ ـ نمن تشا محمدية.
منطقة تشاو فونغ.
٣٣ ـ مسجد الإحسان.
قرية دا فو أول (بولاو سوتيرا).
٣٤ ـ المدرسة المحمدية.
قرية دا فو أول.
٣٥ ـ مسجد الرحمة.
قرية ڤن ترو أونغ (بولاو با).
٣٦ ـ مسجد المسلمين.
قرية كو أول تاي.
٣٧ ـ مسجد الخيرية.
قرية إنهون هوى (كوه غوى).
٣٨ ـ مدرسة نور الدين.
قرية إنهون هوى.
٣٩ ـ مسجد المكرمة.
قرية خان بن (ساباو).

٤٠ ـ مسجد المؤمنين.
قرية ڤن هان.
٤١ ـ مدرسة المسلمين.
مدينة لانغ شوين.
محافظة تين غيانغ.
٤٢ ـ مسجد المسلمين.
مدينة ماي تو.
محافظة كوو لانغ.
٤٣ ـ مسجد المسلمين.
مدينة ترا ڤن.
محافظة دانغ نای.
٤٤ ـ مسجد الشريف.
قرية بن سون (لانغ تان).
٤٥ ـ مسجد نور الإحسان.
قرية شوان هونغ (لانغ خان).
٤٦ ـ المدرسة رقم ١.
قرية شوان هونغ (لانغ خان).
٤٧ ـ المدرسة رقم ٢.
قرية شوان هونغ (لانغ خان).
محافظة سونغ بي.
٤٨ ـ مسجد دين الإسلام.
قرية فو رينغ.
محافظة تاي من.

٤٩ ـ مسجد المسلمين.
مدينة تاي نن.
٥٠ ـ مسجد المسلمين.
قرية تان هونغ (باو بال).
٥١ ـ مدرسة المسلمين.
قرية تان هونغ (باو بال الجديدة).
٥٢ ـ مدرسة المسلمين.
قرية تان فو (باو تشوئي).
٥٣ ـ مدرسة المسلمين.
قرية سو أوي دي.
٥٤ ـ مدرسة المسلمين.
قرية تان بن.
فان وانغ (محافظة توان هاي).
٥٥ ـ مسجد المسلمين.
قرية فو أول نام، ڤان لام هاملت.
٥٦ ـ مسجد.
قرية شوان هاى، فو أول هاملت.
٥٧ ـ مسجد النور.
قرية شوان هاى، آن إنهون هاملت.
٥٨ ـ مسجد نعمة.
قرية فو أول نام إنهو لام هاملت.
المساجد من حيث المجموع ٣٠.
المدارس من حيث المجموع ٢٨.

# الأيام الفيتنامية

## يوم الأربعاء ٢١/٥/١٤١٢ هـ ٢٧/١١/١٩٩١ م:
## من جدة إلى بانكوك:

غادرنا جدة مع طائرة الخطوط السعودية العملاقة من طراز ٧٤٧ قاصدة بانكوك وسوف تقف في مطار الرياض لتحمل المزيد من الركاب الذين سيسافر أكثرهم إلى سنغافورة منتهى المطاف لرحلة هذه الطائرة.

وكانت مغادرة مطار جدة في التاسعة والنصف مساء، ونزلت في مطار الرياض حيث لبثت فيه ساعتين مملتين لم يسمح فيهما للركاب العابرين بالنزول من الطائرة، وقضيت الوقت في الاسترخاء في كرسي الدرجة الأولى الذي يمتد ـ إذا أردت ـ فيصبح كسرير النوم.

ثم قامت إلى بانكوك في الواحدة بعد منتصف الليل وقد امتلأت جميع مقاعدها بالركاب حتى الدرجة الأولى لم يبق فيها مقعد خالٍ.

وكان إعلائهم أن الرحلة هي إلى سنغافورة وستنزل الطائرة في مطار بانكوك، وهو بالعربية فالإنكيزية ثم التايلندية.

وتتولى خدمة الدرجة الأولى مضيفتان من شرق آسيا من الفُطْس القصار اللاتي تجعلك مبالغتهن الزائدة في المجاملة تشعر بالتقزز

لمنافاتها لذوقك وإن كن يؤدين عملهن بشكل جيد مثل أغلب العاملين في شرق آسيا الجنوبي.

وقدمن وجبة العشاء بسرعة تلتها إغفاءة مريحة صحونا بعدها على حركة المضيفات يسعين في طعام الإفطار.

## يوم الخميس ٢٢/٥/١٤١٢ هـ، ٢٨/١١/١٩٩١ م:

تناولنا طعام الإفطار على منظر جو صاحٍ فوق أرض تايلند، وإن شئت الدقة قلت فوق أرض (تاي) لأن (تايٍ) هو الجنس و (لاند) أرض بالإنكليزية كما هو معروف.

وكان المنظر منظر الأرض الخضراء لا سيما بعد أرض الصحراء، فهناك نهر ضخم يتلوى في هذه الأرض الريانة وهو جم المياه، تكاد مياهه تغمر ضفافه.

وقنوات للري منطلقة من ذلك النهر في خط مستقيم بعضها واسع حتى يشبه النهير الصغير. والمنطقة كلها منطقة لأحواض الأرز التي بعضها غارق في المياه لما يخضر بعد، ولم تخرج خضرته من مياه الري؛ وبعضها أخضر في غاية الاخضرار، وبعضها أحواض أرز حصيد أصفر صفرة الموت، فكأنه الذي شاب بعد أن تجاوز مرحلة الطفولة من الحياض المغمورة، ثم مرحلة الشباب في الأحواض الخضر.

وذكرني منظر الأرز الذي لا نهاية له من الطائرة حتى ينتهي البصر بما كنت قد عرفته منذ صغري عن أرز سيام الكثير الرخيص الذي كان يأتي إلى بلادنا فيرغب فيه القرويون والفقراء لأنه رخيص

ويشرب ماء كثيراً عند طبخه فيزيد حجمه، ويباع الآن في بلادنا بنصف ما يباع به الأرز الهندي. ومعلوم أن (سيام) هو الإسم القديم لتايلند.

وجددت في ذهني عهداً قديماً بل عهوداً قديمة بـأرض تايلند التي مضت عليّ الآن أكثر من خمس سنوات لم أرها فيها رغم وجود فرص لزيارتها.

وذلك لكونها ساءت سمعتها لما اشتهرت به من مباذل ومقاذر، بحيث صارت مضرب المثل في ذلك، حتى اشتهر عن اليابانيين تسميتهم لبانكوك بـ (حَمَّام الشرق) أي مجتمع قاذورات الشرق.

وكانت في أول عهدي بها منذ ٢٢ سنة بلاداً تستحق أن تزار، لأن فيها شعباً ذا تقاليد عريقة بعيداً عن روح الجريمة والطمع في الأجنبي الغريب. وكانت رخيصة إلى درجة لا تصدق، وكانت معاملة أهلها للسياح ممتازة. ولم تكن قد اشتهرت بمباذل ما يسمى بالحمام الشعبي العام الذي يصاحبه التدليك (المساج)، ثم اشتهرت بالمساج وحده حينما علم الناس أن الدعوة لدخول الحمام إنما هي الدعوة إلى (المساج) مقنعة، والدعوة إلى (المساج) إنما هي الدعوة إلى البغاء مغلفةً.

وقد تغيرت أخلاق من أخلاق أهل بانكوك بسرعة أكثر مما تغيرت حيواتهم من إقبال السائحين والمستثمرين في الاقتصاد على بلادهم، فنشأت فيهم عصابات للإجرام استهدفت السياح العرب الذين عدوهم من الأغنياء الأغبياء، وظنوا انهم بمجرد أن يلوحوا لهم بـ (الليدي) وهي المرأة يفتحون لهم قلوبهم وجيوبهم.

ورافق هذه الإباحية المبطنة أمراض فتاكة لا تقتصر في ضررها

على زائر بانكوك بل تتعداه إلى أهله، وقد تتجاوز ذلك إلى نسله. إلى أن حل الوباء الفتاك الذي أسموه تخفيفاً بالطاعون العصري فاجتاحها من بين ما اجتاحه من أقطار فكان مانعاً من المضي في الابتذال (ولله جنود من إيدز)!.

هذا وتحف المنازل الريفية بفروع النهر وبالقنوات الكبيرة المنطلقة منه.

وعند الاقتراب من جو المطار كثرت المنازل الريفية المسنمة السقوف مما يؤكد الطبيعة المطيرة للبلاد، وظهر طريق سريع مستقيم يماشي قناة من قنوات المياه مستقيمة أيضاً.

كما ظهرت البرك الكثيرة المتعددة التي يستعملونها لتربية الأسماك. ثم ظهرت الأبنية العالية المتعددة الطوابق في ضاحية من المدينة.

وبدا معبد بوذي كبير ببرجه الرئيسي الذي يحكي المحقن المقلوب، وبلونه الأصفر المميز.

## مأزق في مطار بانكوك:

قلت: إنني قد مضت عليَّ مدّة لم أزر فيها (تايلند) وكنت أعهدها لاتطلب سمة دخول من الرعايا السعوديين الذين يريدون الدخول إليها.

وكنت قد اتفقت مع الشيخ علي عيسى ممثل رابطة العالم الإسلامي في تايلند أن يكون مستعداً للسفر إلى فيتنام بعد أن نبقى في بانكوك يوماً أو نصف يوم وكان أخبرني أنه قد حصل لي وله على سمة

الدخول إلى فيتنام بوساطة مكتب سياحي في بانكوك اغتناماً للوقت.

ذهبت إلى مكتب الجوازات المخصص لحاملي الجوازات السياسية (الديبلوماسية) فسألني الضابط فيه عن سمة الدخول إلى (تايلند)، فقلت له: إنني لم أطلبها من سفارتكم في بلادنا، لأنني لم أعرف أنها ضرورية، فأدخلني إلى غرفة قرب مكتب الجوازات واستدعى ممثل الخطوط السعودية الذي أفهمني أنه لا يمكن الآن لسعودي أن يدخل إلى (تايلند) من دون سمة دخول، وأن عليّ أن أسافر إلى سنغافورة وأتقدم إلى السفارة التايلندية فيها للحصول على سمة الدخول.

قلت له: إنني لا أريد الذهاب إلى سنغافورة فليس لي فيها عمل وحتى تايلند لا أريد دخولها وإنما واعدت فيها زميلي الأستاذ علي عيسى لنذهب معاً إلى فيتنام ولديه سمة دخول إلى فيتنام، فأرجو أن تدعوه بمكبر الصوت ليحضر إليَّ وأن أفهمه لأنني أتوقع أن يكون موجوداً في استقبالي في المطار.

وبعد قليل دخل الشيخ علي عيسى مع موظف الخطوط السعودية إلى منطقة العابرين التي هي قبل مكاتب الجوازات فأخبرته بالأمر، وكان يحمل سمة الدخول لي إلى فيتنام في ورقة منفصلة، فطلبت منه أن نسافر فوراً إلى فيتنام إذا كان مستعداً وكنت أحمل له من مكة تذاكر السفر في الهند الصينية كلها مقطوعة من الرابطة.

فطلب من موظفة في مكتب الخطوط السعودية في المطار اسمها (زبيدة) تتكلم العربية وذكر أنه عمل على ابتعاثها للمملكة فدرست بعض الوقت في جدة. طلب منها أن تحجز لنا إلى مدينة (هوشي منه)

في فيتنام بعد ساعتين، يذهب أثناءها إلى بيته ويحضر حقيبة سفره وقد فتحوا لي قاعة الدرجة الأولى في المطار وقدموا الشاي والقهوة ولم يكن فيها غيري فصليت فيها الظهر والعصر جمعاً..

كان وصولنا إلى مطار بانكوك في الساعة الحادية عشرة قبل الظهر بتوقيت بانكوك ويساوي السابعة صباحاً بتوقيت المملكة، وقد أعلنوا أن درجة الحرارة في بانكوك ٣٠ درجة مئوية، وهي درجة جيدة إلا أنها إذا صاحبتها الرطوبة كما في بانكوك صارت غير مريحة واحتاج الأمر إلى مكيف الهواء.

وكنا دخلنا إلى المطار من خرطوم متحرك غير جيد مثله في ذلك مثل المطار الذي وجدتهم قد وسعوه، حتى صار أشبه بمطار هيثرو في لندن من ناحية طوله وكونه ذا طابق واحد، فجعلوا سيوراً متحركة، فيه مستوية نقلتنا إلى منطقة مكاتب الجوازات للقادمين.

وكانت أعداد من الطائرات الكبيرة التي تتبع الشركات العالمية كالفرنسية والسنغافورية جاثمة في المطار.

ولا شك في أن الاقتصاد التايلندي يسير الآن بخطى حثيثة نحو الازدهار ومن مقتضى ذلك حرية الحركة وتناميها في مطارها الدولي.

وعندما كنت في المطار جعلت أستعرض التايلنديين الموجودين فيه لأكون النظرة الأولى إليهم التي تكون صادقة لأن النظر لم يألفهم بعد، فخيل إليّ أنهم قد ازدادوا دمامة ولم أرَ أن أتحرج من ذكر هذه الكلمة التي لم أجد بديلاً لها في صراحتها، وخيل إليّ أنهم لم يكونوا كذلك عندما تركتهم قبل خمس سنين.

ولا شك في أن ذلك غير صحيح، بل ربما كان العكس هو

الصحيح. لأن مستوى المعيشة قد ارتفع في بلادهم في المدة الأخيرة وذلك يصاحبه بطبيعة الحال تحسن في المظهر الخارجي سواء من حيث التغذية والتقليل من أثر الأمراض أو من أثر اللباس وتزيين المظهر.

وإنما مرجع ذلك إلى كوني في السنوات الماضية سافرت إلى بلاد تعتبر من مواطن الجمال بالنسبة إلى ذوقنا العربي كالبرازيل والأرجنتين ودول شرق أوروبا التي كنت فيها قبل شهرين تقريباً.

## يوم في فيتنام خير من يوم في بانكوك:

جلست في غرفة الدرجة الأولى للخطوط السعودية مرتاحاً أنتظر مجيء الشيخ علي عيسى لنسافر معاً إلى فيتنام مع طائرة الخطوط الفيتامية التي تسافر في الرابعة ونحن الآن في الثانية والنصف.

وتذكرت أن عدم حصولي على سمة الدخول إلى تايلند يتيح لي أن أوفر يوماً واحداً أقضيه في فيتنام، ويوم لي في فيتنام التي أزورها لأول مرة خير لي من أن أمضيه في بانكوك التي أعرفها من قبل ولا عمل لي فيها الآن.

وهذا من لطيف صنع الله لي الذي كرهته أول الأمر (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم)،

وفي الرابعة إلا ثلثاً ذهبنا للطائرة الفيتنامية.

## من بانكوك إلى هوشي منه:

وجدنا الطائرة الفيتنامية التابعة لخطوط فيتنام الجوية قد دخل

فيها الركاب ثم اقلعت في الساعة الرابعة وهو الموعد المحدد لإقلاعها من دون تأخير.

وهذا شيء نادر في مواعيد إقلاع الطائرات إذ صارت الشركات العالمية تعتبر أن تأخر ربع ساعة ونحوها عن الموعد المحدد في الأصل لا يعتبر تأخيراً يستحق الاعتذار عنه إلى الركاب. وهي طائرة نفاثة صغيرة الحجم من صنع روسي تتسع لحوالي ٨٤ راكباً إلا أن مقاعدها ضيقة. وقيام الطائرات الفيتنامية في موعدها المقرر أو نحوه شيء جربته من أمرها بعد ذلك.

ولا شك أن الأمر له علاقة بدقة العمل ونظامه من واقع المعايشة الطويلة لحرب بل حروب ضروس خاضها الشعب الفيتنامي بإمكاناته الضئيلة، وانتصر فيها مما ولد عنده حب النظام والدقة، في تنفيذ الأوامر.

وطارت الطائرة مباشرة فوق مدينة بانكوك الممتدة التي قد تسارع إذا رأيت نهرها وما يتفرع منه من قنوات وما يخلفه من برك لتربية الأسماك ومستنقعات لزراعة الأرز فتسميها مدينة المياه.

والواقع أن الأمر ليس بعيداً من ذلك فقد كنت قرأت قبل سنوات قليلة أن بانكوك تغوص في الأرض كل عام بمعدل يسير من السنتيمترات. وذلك لكون أرضها مشبعة بالرطوبة، وقد كثرت فيها الأبنية الضخمة الثقيلة قالوا: ولذلك تغوص المنازل الثقيلة في أرضها بمقدار ضئيل غير محسوس لكنه موجود.

وكانت بانكوك في الأصل وربما إلى ما قبل أربعين سنة أشبه بالمدينة الصغيرة، أغلب منازلها من الخشب وهو الأصلح لأرض مثل

أرضها. ثم شملها التطور الذي أصبح الآن جارفاً بحيث يمكنك أن ترى الأبنية الضخمة العالية في كل اتجاه، والأهم من ذلك أنك ترى الرافعات القوية تعمل في بناء المزيد من الأبنية الضخمة التي يصل بعضها إلى ٣٠ طابقاً في اتجاهات كثيرة من المدينة.

هذا وقد أوغلت الطائرة فوق ريف تايلند ولكنها كانت توغل ارتفاعاً في الجو حتى انماعت الأشياء على الأرض في ارتفاعها كما تنماع الشخوص في أحلام المنام.

واتجهت الاتجاه الصحيح إلى مدينة (هوشي منه) التي شغلت العالم بأخبارها إبان ما يسمى بحرب فيتنام التي قامت بها الولايات المتحدة وحلفاؤها الأغنياء الأقوياء وأعملت جميع ما لديها من الأسلحة الفتاكة وغير الفتاكة في أرض فيتنام وعلى رؤوس شعبها ولكنها خرجت في النهاية مذمومة مدحورة أمام تصميم شعب فيتنام الفقير الضعيف في أسلحته ومعداته، القوي بتحمله ومثابرته. وكانت تسمى آنذاك (سايقون) وكانت عاصمة لجمهورية فيتنام الجنوبية المتحالفة مع أمريكا وحلفائها فلما سقطت أمريكا وأعوانها وهربوا معاً إلي الخارج وحد الفيتناميون بلادهم جنوبها وشمالها في دولة واحدة هي دولة فيتنام وأسموا هذه العاصمة الجنوبية التي كانت تسمى (سايقون) على اسم زعيمهم الوطني (هوشي منه) الذي سيأتي بعض الحديث عنه عندما نزور متحفه في مدينة (هانوي) عاصمة فيتنام. ولا شك في أن بعض الناس سيظنون أن النصر الذي أحرزه الفيتناميون كان سببه كونهم شيوعيين وهذا غير صحيح.

كما أن مساعدة الاتحاد السوفييتي والصين الشيوعية للفيتناميين في مرحلة من المراحل ليست هي التي صنعت النصر للفيتناميين، وإنما

صادف أن الفيتناميين كانت قيادتهم التي كافحت الاستعمار الفرنسي والنفوذ الأمريكي بل الغربي بعد ذلك هي قيادة شيوعية، وإلا لو كانت تعتنق مذهباً آخر وأخذت بالأسباب التي أخذت بها، وصممت التصميم نفسه على الكفاح، فلا شك أنها ستنتصر كما انتصرت أو أكثر من ذلك.

وهذه سنة من سنن الكون الثابتة و **﴿لن تجد لسنة الله تبديلا﴾**، و **﴿لن تجد لسنة الله تحويلا﴾**.

وهي أن من أخذ بالأسباب وصل إلى النتائج، والعكس بالعكس.

ولم نجد في جيوب المقاعد في الطائرة أية جرائد أو مجلات أو منشورات، وهذه عادة عرفتها من طائرات الشيوعيين في كل بلادهم أو البلاد التي كانت بلادهم عندما زرتها وعلى رأسها بلاد الاتحاد السوفيتي.

كما أن مكبر الصوت في الطائرة لم يعلن أية معلومات مما يتعلق بالرحلة، والأماكن التي تطير فوقها الطائرة.

وتخدم الطائرة مضيفتان فيتناميتان لهما المظهر العام المعروف في أهل جنوب آسيا الشرقي ابتداء من بورما وفيتنام وانتهاء بنهاية حدود اندونيسيا الواقعة قرب القارة الأسترالية ولكن مع فروق يلاحظها المتتبع لمثل هذه الأمور.

فالمضيفة بيضاء أكثر من التايلنديات وسوف يأتي الحديث عن الملاحظات على الشعب الفيتنامي في قسمي أرضه الجنوبي والشمالي عندما نصل إلى هناك بإذن الله.

كانت الضيافة جميلة وسخية مثل الجمال المتمثل في هاتين المضيفتين وهو جمال خاص بهذه المنطقة لا يسميه جمالاً إلا من عاشوا فيها أو الفوا النظر إلى وجوه أهلها، أما من يحكم في أذواقهم الجمالية واقع بلادهم، وما يحيط بها من أقوام يشابهونهم من بعض الوجوه مثل البلدان العربية فإنه ربما لا يراه كذلك فكانت الضيافة علبة جميلة من اللدائن الصافية التي تبدو كالزجاج الصافي ولكن كان من جمال مظهرها ما كدره مخبرها وهو أن الطبق الرئيسي فيها كان فخذ دجاجة تحته شريحة من لحم الخنزير، ولحم الدجاج في هذه المنطقة البوذية محرم لكونه ذبح بأيدي قوم ليسوا من أهل الكتاب، فإذا خالطه الخنزير زاده تحريماً على تحريم ولذلك لم نقرب شيئاً مما فيه إلا قطعة صغيرة مغلفة من الحلوى.

ثم وزعت المضيفتان قطعة مغلفة من (الشوكولاته) عليها كتابة بالعربية تبين انهم قد استوردوها من غرب ماليزيا. وكان الماليزيون قد أعدوها للتصدير للبلدان العربية وغيرها، كما وزعوا أكياساً صغيرة تحتوي على حبات من الكروشو المملح معبأة أيضاً في ماليزيا. وقد كتبوا اسمها عليها بالإنكليزية (حاجي) من الحج.

ثم جاؤوا بالشراب الخفيف وأكثره معلب، وبعده فاكهة من اليوسفي وهو المندرين لكل راكب ثمرة واحدة وكان مسك الختام فنجاناً من الشاي، وكل ذلك نظيف وبأدب جمّ.

قلت: إن الرحلة لم يكن فيها اعلان عن أي شيء يتعلق بها، ولذلك عندما وصلنا إلى ساحل بحري ذي شعب وخلجان داخلة في البر وألسنة من الأرض والجة في البحر، وهو مغمور بمياه نهرية تراها

مسرعة في ذهابها إلى البحر أو يخيل إليك في بعض الأحيان أنها كالمستنقعات أو المياه الراكدة. ولا ندري أهي حدود تايلند الجنوبية الشرقية أم هي من حدود ماليزيا الغربية الشمالية.

أما ركاب الطائرة فإن أكثرهم من ذوي المظهر الآسيوي الجنوبي الشرقي ـ معذرة عن تكرر هذه التسمية الثقيلة لأنها ضرورية للتعريف، وفيهم عدد قليل من ذوي المظهر الأوروبي، وعربيان هما أنا ورفيقي الشيخ علي عيسى وهو مصري عاش منذ ربع قرن في تايلند واكتسب الجنسية التايلندية، ويحمل الآن جواز سفر تايلندياً، ويجيد اللغة التايلندية قراءة وكتابة ويتكلم بها كما يتكلم بها أهلها.

وقد اخترته لصحبتي في دول الهند الصينية لهذا السبب ولخبرته الطويلة في العمل الإسلامي في هذه المنطقة، وإن كان مثلي لم تسبق له زيارة لهذه البلاد وإنما نزورها معاً لأول مرة.

وقبل الوصول عندما بدأت الطائرة التدني وهي تتدلى من الجو بدت الأرض معمورة خضراء بل سوداء من شدة الخضرة يشقها نهر ذو شعب بعضها تراها أشبه بالنهر المستقل إذ لا تدرك لها ارتباطاً بالنهر الكبير من الطائرة.

وزعوا على الركاب استمارات الدخول وهي طويلة مفصلة إلا أنه نفعني أن جوازي السياسي لا يطلب عرفاً من حامله أن يكتب إقرارات جمركية.

## في مطار هوشي منه:

قبيل الوصول بدت المنطقة من ارتفاع منخفض منطقة خضراء

خضرة شاملة معمورة كلها بالزراعة تتخللها أنهار ومستنقعات وتجمعات للمياه ومنها أحواض الأرز الغارقة في المياه. بل إن مقادير المياه فيها تبدو هائلة أكثر مما تبدو من بانكوك ومن تايلند بكثير.

وهبطت الطائرة في الخامسة والثلث من قبل المغرب بعد طيران من بانكوك استمر ساعة وثلثاً.

ورغم غرابة المنطقة وهذا الجو الندي بل البالغ الرطوبة والخضرة الذي ينافي الجو في بلادنا لم أستطع التغلب على الشعور بالإعجاب ببطولة الأبطال من الرجال في فيتنام الذين وحدوا بلادهم رغم تحدي العالم الغني القوي لهم وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية أقوى قوة عسكرية واقتصادية في العالم.

ولا يحد من الإعجاب بفعلهم كونهم شيوعيين لأن الشيوعية ذاهبة زائلة لكونها نظاماً لا إنسانياً، أما الوحدة الوطنية فإنها ثابتة مستمرة.

وذكرت بهذه المناسبة بلاداً من بلادنا العربية لعبت بها الأهواء الدولية شرقية وغربية واتفقت معها الأغراض الشخصية لزعامات محلية حتى صارت ولا تزال هي الضحية.

رأينا مدارج المطار طويلة ممتدة، لأن مدينة (هوشي منه) كانت قبل توحيدها مع فيتنام الشمالية عالمية مزدهرة اقتصادياً وسياحياً مثلها في ذلك مثل (بانكوك).

وكانت الأعشاب والنباتات البرية التي تحيط بمدارج المطار كثيفة إلى درجة رأيتهم يكافحونها بالحش والقص ولكن ذلك لم يفعل فيها شيئاً.

وقد رأيت في مطارها ما أكد في نفسي ما سمعته أخيراً من اتجاه حكومة فيتنام إلى الانفتاح الاقتصادي تبعاً لزوال الشيوعية من كثير من البلدان وانفتاح العالم بعضه على بعض وذلك يتمثل في وجود طائرات ضخمة لشركات عالمية منها الفرنسية والاسترالية.

وبدت أبنية المطار قديمة غير بهيجة ولا مجددة الطلاء.

دخلنا إلى قاعة الوصول مشياً على الأقدام من الطائرة فوجدناها قاعة الوصول وتسلم الأمتعة ومقر الجمرك. ولم يفتشوا أمتعتنا وإنما اكتفوا بإدخال الحقائب الكبيرة داخل فاحص كهربائي، أما الصغيرة فلم يدخلوها في الفاحص ولم يفتحوها ولم يفتشوها وذلك بسبب الجواز السياسي.

وجدنا العاملات في المطار في القاعة من النساء أكثر من الرجال بعضهن عليهن لباسهن الوطني المميز الذي يتألف من سروال أبيض طويل يضرب إلى الكعبين فوقه قميص طويل كالفستان (المكسي)، إلا أنه مشقوق من اليمين واليسار شقاً يتعدى الوركين. وفوقه صدري أو قميص يكون غالباً طويل الكمين فهو ساتر كلياً، بل هو أكثر ستراً من لباس كثيرات من النساء المسلمات العاملات في المطارات في البلدان الإسلامية.

وكانت النساء العاملات في المطار على غاية من اللطف وحسن التصرف في التعامل مع الركاب القادمين، فمثلاً لم يصل صندوق لي من الورق المقوى فيه سجاجيد صلاة وهدايا رخيصة أعددتها لأئمة المساجد والعاملين في حقل الدعوة الإسلامية في فيتنام فكانت اجراءات تسجيله سهلة سريعة. وقد أرسلوا مبرقة تلكسية إلى مطار

بانكوك فجاء بعد يومين وتبين أنه لم يشحن من هناك.

وإلى جانب حسن المعاملة فإن الصباحة في الوجوه هي الظاهرة مع وجود التقاسيم التي لم تألفها عيوننا، ولا تعدها أذواقنا جميلة من تقاسيم خاصة بمنطقة جنوب آسيا الشرقي، وذلك عكس ما عليه الحال في تايلند، حيث يكون الجمال أو حتى مجرد أن يكون وجه المرأة معتاداً للعربي هو النادر وعكسه هو الشائع.

وإلى جانب المظهر يشعر المرء من معاملتهم في المطار أنهم على غاية من الذكاء وسرعة الفهم.

## مدينة هوشي منه:

ركبنا سيارة أجرة (تاكسي) كما يسمونها مع أنها حافلة صغيرة تحمل إثنى عشر راكباً، ونقدنا أجرتها لمكتب في المطار تديره امرأة مهذبة (١٥) دولاراً أمريكياً. ومما يسجل لها أنني أعطيتها عشرين دولاراً أمريكياً فأعطتني خمسة دولارات أمريكية نقداً فذكرت الهند التي كنت فيها قبل أقل من شهر فكان أهلها حتى في الفنادق والمصارف لا يعطونك أي مبلغ يبقى لك عندهم بالعملة الأمريكية وإنما يعطونك إياه بعملتهم التي هي الروبية وبالسعر الرسمي الذي يقل بحوالي الثلث عن السوق الحرة.

وسألناها عن فندق مناسب في وسط المدينة فذكرت لنا فندق (ركس) وقالت: إنه جيد وفي وسط المدينة وسعره خمسون دولاراً لليلة الواحدة في غرفة خاصة.

انطلقت الحافلة الصغيرة التي أسموها (تاكسي) وهي جيدة نظيفة مع شوارع خَيَّم عليها الظلام فلم نتبين شيئاً من معالم الطريق حتى وصلنا إلى فندق ركس في قلب المدينة.

فأنزلنا الفندق بسرعة في غرفتين جيدتين واسعتين في كل واحدة سريران وتلفاز وثلاجة وحمام خاص غاية في النظافة، بل إن جميع ما في الغرفة هو في مستوى فنادق الدرجة الأولى ذات النجوم الخمس مع أن الفندق أخبرنا أن أجرة الغرفة (٤٩) دولاراً وليس خمسين، وزاد من لطفه ما واجهناه في كل فنادقهم وهو أنهم لا يطلبون من النزيل أن يملأ بطاقة التسجيل في الفندق بنفسه، بل يطلبون منه بلطف أن يريهم جواز سفره فيسجلون بعض المعلومات منه ثم يعيدونه حالاً للنزيل ولا

يطلبون منه أن يدفع شيئاً من المال مقدماً، بل لا يسألونه حتى عن طريقة الدفع أهي نقداً أم بالبطاقة.

وفي الغرفة زوج من الأحذية من قش ناعم لاستعماله داخل الغرفة عوضاً عن نعال السبت (الشبشب). وفرشاة كبيرة لتنظيف الملابس من الغبار ونحوه مع أن الرطوبة هي شاملة والخوف من تأثير الرطوبة أكثر من الخوف من تأثير الغبار وفيها مصابيح كهربائية تفتح بإدارة مفتاحها باليد وكأنها مصابيح الزيت القديمة. وللغرفة شرفة خاصة واسعة ذات واجهة مستورة بستائر قماشية مضاعفة، سهلة الإنزلاق.

أما موظفو الفندق فإنهم من رجال ونساء على غاية من التهذيب يبادرونك بالابتسام وينحنون أمامك كما يفعل أهل الملايو وأندونيسيا ويبدون أكثر ذكاء وأسرع فهماً من التايلنديين.

## نظرة أولى:

غادرنا الفندق بعيد الإطمئنان على الغرف والصلاة جمعاً في تمشية ليلية لإلقاء نظرة عاجلة على ما حول الفندق، وأهم ذلك ميدان مجمل مشجر فيه مقاعد حجرية قليلة يسمونه حديقة ركس. وفي ركن منه تمثال لرجل فيتنامي ملتحٍ بلحية تشبه لحية (هوشي منه) وهو يضع يده على أطفال فيتناميين.

كثير من القوم كانوا في الميدان أو حوله يقضون وقتاً، ومن الغريب أن بعضهم قد اتخذوا من ظهور دراجاتهم النارية مقاعد إذ عدد المقاعد الحجرية فيه قليل، وقد احتلها أناس قبلهم.

أمام تمثالهم الوطني ويقع في ميدان كبير أمام فندق ركس الذي نزلنا فيه بمدينة هوشي منه

وجلسنا على أحد المقاعد بعد انتظار طويل من أن يفرغ مكان للجلوس فكانت جلسة ممتعة لأنها في بلاد غريبة عنا قلباً وقالباً أو قل: إنها بعيدة في المكان والزمان وهي أبعد من ذلك في الديانة والتقاليد.

وهناك شيء غريب في هذه الجلسة في هذا الميدان الذي يعتبر مقراً أو ممراً للأجانب من أوربيين وأمريكيين ومن يكونون في مظهرهم كالأستراليين، وهو أن يبادرك طفل صغير ذكي نظيف الثوب والبدن فيسلم عليك ببراءة ويقترب منك ويحتك بك. فتحس وأنت غريب برغبة في أن يبقى حولك ويكون عمره في الغالب بين الخامسة والسابعة، وفي الأخير بعد أن يحس بطبعه أو بتربيته أنك قد أنست به يمد يده اليك، وتأتي أمه أو الموكلة به فتفهمك أنه بحاجة إلى أن تنفحه قليلاً من النقود.

وكنت خشيت في أول الأمر أن الأمر فيه انتشال نقود من الجيب أو مخادعة عن شيء من هذا القبيل، ولكن تبين لي أخيراً أنه لاستدرار العطف.

ثم تأتي بنيات أكبر سناً ويكن في الغالب في سن التاسعة إلى الثالثة عشرة، ومع الواحدة منهن أوراق نقدية قديمة أو دفاتر صغيرة أو معهن نقود معدنية كذلك أو صور زهور وتذكارات زهيدة الثمن يعرضنها عليك بعد أن يتلطفن فيبتسمن وقد يسلمن عليك فتشتري من واحدة ما تريده بقيمة دولار أو نصف دولار فتأتي الأخريات ويقفن ويلحفن في عرض بضائعهن فهذا مما يكدر الجلسة أحياناً، وإن كان يجملها أحياناً أخرى إذا كنت خالي الذهن أو تبحث عما تسمعه أو تعرفه في هذه البلاد مثلنا.

وهنا بنية أخرى في غاية الذكاء على صغرها وتتكلم الإنكليزية بطلاقة فتعرض عليك أن تترجم بينك وبين هؤلاء الباعة الصغار، ثم تأتي مسرعة ببضاعة تعرضها عليك مثلهم، وذلك من حوانيت قريبة فيها مثل هذه البضاعة التي يشتريها السياح.

وأول نظرة فيهم تجعلك تحكم بأنهم أذكياء، يحبون التعارف مؤدبون لولا الإلحاح في السؤال أو البيع من بعضهم. ولا شك أن مرجع ذلك إلى الفقر المدقع وانحطاط مستوى المعيشة، نتيجة للحكم الشيوعي المتعصب للشيوعية المطبق في بلادهم.

كما أن لغتهم غريبة على السمع فيها شبه من ناحية اللفظ باللغة التايلندية، ولكن ليس لها صلة قوية بها رغم قربها منها، وقد أخبرني رفيقي الشيخ علي عيسى الذي يجيد اللغة التايلندية كما قدمت بذلك وأنه لم يفهم من لغتهم كلمة واحدة وقد حاول وأنا أسمع أن يجعلهم يفهمون أي شيء من التايلندية فلم يستطع.

## شعب فريد:

إنهم شعب فريد ذو لغة فريدة حتى إن اللغة الصينية المجاورة لبلادهم التي هي لغة عريقة كانت لغة الثقافة لعدة أمم مجاورة للصين كالكوريين واليابانيين الذين كانوا يكتبون لغتهم بالحروف الصينية، إلى وقت قريب ولا تزال تلك الحروف معروفة عندهم ليست لها علاقة باللغة الفيتنامية. ومخارجها غريبة إذ يخرجونها بمخارج هادئة وبأصوات غير مرتفعة رغم ما عرف عن هذا الشعب من الشدة والقوة في الحرب.

وكثيراً ما كنت بعد ذلك أكاد أضحك وأنا أستمع إليهم يتحدثون بلغتهم هذه التي تشبه مواء السنانير المتقطع أي غير المتصل.

وربما تكون لنا عودة إلى الحديث عن هذه الأمور فيما بعد.

وفي هذا الليل في هذا المكان الذي يكثر فيه الأجانب يتبادر إلى الذهن الحديث عن جنود الليل، والجواب: إن مظاهر ذلك تكاد تكون معدومة وإن كانت موجودة على قلة، ففي أحيان قليلة عرفناها هذه الليلة وبعدها يقترب سائق ركشا ويسمونها (شكلوه) فيهمس في أذنك عما إذا كنت تريد شيئاً.

ولكن ذلك أقل من البلدان الأخرى، وهو أمر لا يذكر بالنسبة إلى ما عليه الحال في تايلند.

والأمن مستتب فيما رأيناه وفيما قيل لنا بعد ذلك والرخص بالغ.

والأهم عندنا هذا الترتيب والنظام الموجود رغم استرخائه وذهابه من البلدان الشيوعية الأخرى.

## يوم الجمعة ٢٣/٥/١٤١٢ هـ ـ ٢٩/١١/١٩٩١ م:
## ركشا فيتنامية:

وجدنا في ميدان منتزه (ركس) الواقع أمام فندقنا فندق ركس مكتباً سياحياً مراقباً من الحكومة قد كتب على لافتته أنه يصرف الدولار الأمريكي بثلاثة عشر ألفاً ومائتي (دونغ) و (الدونغ) هو العملة الوطنية لهم وهو من العملات الوطنية الهابطة حتى إنني أحمل معي نسخة من تقرير كتبه مندوب البنك الإسلامي للتنمية بعد زيارته لفيتنام في عام ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢ م، ذكر فيه أن الدولار الأمريكي يساوي (٩) دونغات وها نحن الآن نرى السعر الرسمي للحكومة يجعله بـ ١٣٢٠٠ دونقاً.

صرفنا بعض الدولارات ثم ركبنا دراجتين من دراجات الركشا التي يجرها الآدمي. و (الركشا) عندهم كالموجودة في الهند تقريباً وهي دراجة هوائية لا محرك فيها لها ثلاث عجلات إحداها الإمامية وفوقها سائقها الذي يسيرها بتحريكها برجليه واثنتان خلفيتان فوقهما مقعد مريح لشخص واحد يجلس مطمئناً وسائق الدراجة الراكب أمامه يسيرها به.

وقد جعلوا للعربة مظلة تقي الراكب من الشمس ومن المطر

وذلك لكثرة المطر ولكن لا يكون فيها شيء منها يقي السائق ذلك.

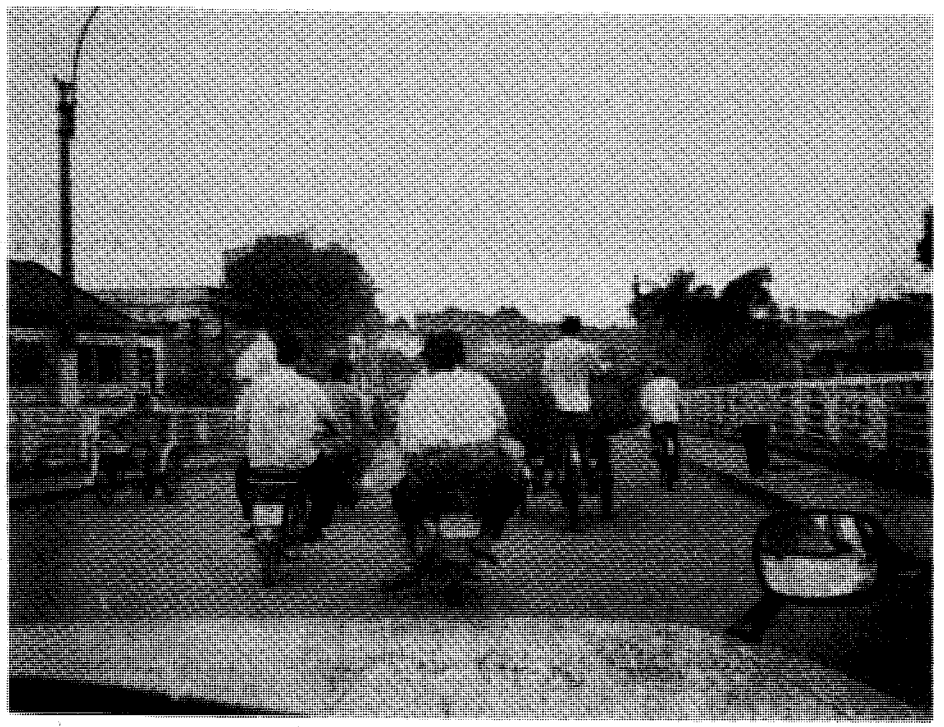

أحد شوارع مدينة هوشي منه (سايجون)، التقطت الصورة من السيارة في الطريق الى «مسجد جامع الإسلامية» بالمدينة.

ركبنا دراجتين بأجرة قدرها وبيانها ـ كما يقولون ـ خمسة آلاف دونغاً للاثنين ويساوي ذلك أكثر قليلاً من ثلث دولار وأقل كثيراً من نصف دولار.

وعندما ركبنا والسائقان يجاهدان كل واحد منهما بجر حمله الذي هو نحن قلنا: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾.

ومن الطريف أنهم من باب المجاملة وسهولة معاملتهم للأجانب، وجرياً على عادة لهم في ذلك من دون شك جعلوا يسيرون

بنا متجاورين فكنت أتحدث مع رفيقي الشيخ علي عيسى ونحن راكبان كل واحد على دراجة في وسط الشارع يساعدهم على ذلك كون شوارع المدينة واسعة ذات أرصفة تبعد المارة عن مضايقة الدراجات وتبعد الدراجات عن مضايقة المارة.

ولاحظنا أن دراجة الركشا عندهم مخصصة لراكب واحد وان كان يحدث أن يركب فيها إثنان أو ثلاثة من الأطفال، أو امرأتان يتزاحمان فيها، بخلاف دراجة الركشا الماثلة لها الموجودة في الهند وبنغلادش ولا توجد في باكستان فإنها تحمل ثلاثة.

ومن الملاحظ أن دراجات الركشا هذه لا توجد إلا في بلدان فقيرة معينة في القارة الهندية وفي جنوب شرق آسيا، ولا توجد في بعضها كتايلند رغم الحاجة إليها فإنها ممنوعة عندهم، وإنما استعاضوا عنها بما أسموها (موتور ـ ركشا) وهي دراجة نارية في الأصل ذات ثلاثة عجلات قد جعل فيها صندوق ذو شكل مثلث رأسه الأمامي فيه السائق والخلفي فيه مقعد عريض يتسع لثلاثة ركاب فتسير ولها قعقعة بل فرقعة تسهم في الضوضاء والجلبة التي تحفل بها عاصمة (سيام): بانكوك.

سار الرجلان بنا ونحن نتحدث محمولين في الشارع ونتأمل شوارع هذه المدينة الواسعة، وميادينها المتعددة التي ليس فيها تجديد ولكن ليس فيها تخريب فكلها عامر صالح.

ورأيت بعض اللافتات القديمة فيها التي لا يزال فيها اسمها القديم (سايقون) باقياً، ومن ذلك مكتب للسياحة كتب عليه (سايقون توريزم) وعدة لافتات أخرى فيها الاسم القديم للمدينة وليس الجديد (هوشي منه)، والجو في هذا الصباح لا بأس به، وكان حاراً عندما

قدمنا أمس وحرارته من أجل رطوبة فيه وليست من أجل درجة حرارة مرتفعة.

## شخصية إسلامية ولكن:

كنا نحمل معنا عنوان شخص مسلم اسمه (عثمان بن عمر) كان قد كتب للرابطة كتاباً يطلب فيه المساعدة على بناء مسجد في فيتنام اسمه مسجد الخيرية. فأريناه سائقى (الركشا) وهم يقرأون الحروف اللاتينية لأن لغتهم تكتب بها.

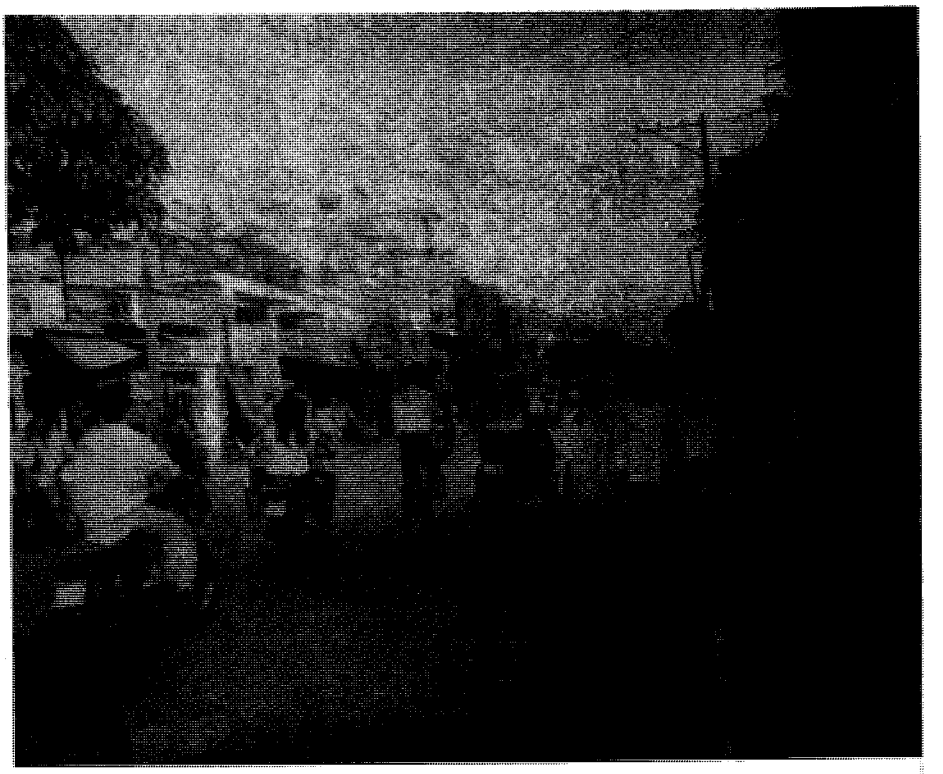

أحد شوارع مدينة هوشي منه

فوصلا ميداناً جيداً عليه بناء ممتاز من عهد الفرنسيين.

ثم سارا مع شارع رئيسي واسع ولا تفاهم معهما مطلقاً لأنهما لا يعرفان غير لغتهما الفيتنامية ومع ذلك لم يكفا عن الحديث فيما بينهما وفيما يوجهان من حديث لنا لا نفهم منه شيئاً. حتى وقفا في الشارع العام عند مدخل شارع فرعي ضيق فأشارا أن انزلا، ونزلنا بالفعل فرأينا العنوان حانوتاً جيداً فيه رجل مشرق الوجه، والإشراق في وجوه الفيتناميين قليل بسبب رطوبة الجو، وثقل الهواء. ومعه ثلاثة رجال كلهم مسلمون ظاهر ذلك من مظاهرهم إذْ هم بالملايويين او الأندونيسيين أشبه منهم بسائر الفيتناميين.

فرحنا بذلك وسلمنا عليهم وألقينا بالتحية ولكننا لم نجد صدى لكلامنا إذْ لم يفهموا منه إلا السلام وحتى السلام لم يردوه لأنه ضاع في زحام الكلام فعجزت أفهامهم عن استيعابه.

وحاولنا الكلام وحاولوا الفهم ولكن المحاولات كلها كانت فاشلة إذْ لا يحسنون لغة نحسنها، وأخبرناهم بالإشارة أننا من مكة المكرمة، فبان التأثر على وجوههم فأسرعوا بإحضار مشروب عصير فاكهة محلية يسمونه (روما) لم نعرفه كما لم نعرف لغتهم.

وجاءت أسرة صاحب الحانوت الأخ عثمان بن عمر وهي والدته وزوجته وهما مستتان وصهر له مع زوجته والتفوا حولنا، ولكن كانت الكلمات الممزوجة بالدهشة تموت على الشفاه إذ لا لغة تجمعنا. فطلبنا منهم طلباً فهموه بعد إلحاح، وهو أن يستدعوا الأخ عبد الحليم سليمان الذي كان رئيساً للمسلمين منذ سنوات عسى أن نجده يعرف شيئاً من العربية يكفي للتفاهم، كما سألناهم عما إذا كانوا يعرفون احداً من المسلمين يتكلم الإنكليزية.

حانوت لبيع الأشجار في هوشي منه

فذهب منهم اثنان وبقينا مع الآخرين نتبادل النظرات وابتسامات الحيرة على الشفاه، ثم ذهبت أتمشى حول محلهم من السوق معلقاً مصورتي في يدي فرأيت بضائعهم التي تصنع في بلادهم رخيصة جداً، ومن ذلك قبعة جميلة من القماش عريضة الجوانب بسبعة آلاف (دونغ) ويساوي ذلك نصف دولار.

ولم يمكن معرفة مقدار الثمن مع البائع إلا بكتابته على ورقة واطلاعنا عليه، إذ الأرقام هنا هي الأرقام العربية التي نسميها الإفرنجية.

واستمر تدفق الدراجات أو لنقل فيضان الدراجات في الشارع

الرئيسي حتى فاقت كثرتها ما هو موجود في شوارع المدن الصينية المعروفة بكثرة دراجاتها.

ودراجات الركشا لا يدانيها في الكثرة مدان حتى في مدن الهند وبنغلادش المشهورة بكثرة ركشها ـ جمع ركشا ان صح التعبير.

والركشا مخصصة ـ كما قدمت ـ لراكب واحد غير أنني رأيت أكثر من ركشا تحمل امرأتين متلاصقتين فيها أو تحمل طفلين أو ثلاثة، أما الرجلان فإنني لم أرهما يركبان في ركشا واحدة.

وعجبت لكثرة الأطفال في الشوارع، ولا شك في أن لضيق البيوت دخلاً في كثرة رؤية الأطفال في الشوارع ـ وربما كان هذا تعويضاً عما أفنته الحرب من أهل فيتنام وهو تعويض لم يقصده احد من الناس وانما هو من الله تعالى من دون أن يخطط له مخطط.

كما لاحظت كثرة الشحاذين الذين يقصدون الأجانب خاصة بالسؤال والاستجداء، ولا أراهم يلحون على المواطنين بالسؤال.

## الإرداف على الدراجة النارية:

عاد الرجلان اللذان ذهبا يبحثان عن أحد المسلمين الذي يمكن أن يتفاهم معنا فقدما دراجتيهما الناريتين وأشار كل واحد منهما إلى واحد منا أن اركب خلفي على الدراجة ، وركبت وأنا مشفق من أن لا أحسن الثبات على ظهر هذه الدراجة النارية بل على وركيها، لا سيما أن الدراجات كانت كثيرة كثرة عظيمة في هذه الساعة من النهار التي تعدت العاشرة.

وهذه من المرات القليلة التي ركبت فيها الدراجة النارية، ومما

أذكره من ذلك ركوبي في (سرنقر) عاصمة كشمير، وفي مدينة ببنشر عاصمة ولاية أريسا في الهند، وكل ذلك لم يكن باختياري لأنني أقول لمن يطلب مني أن أركب الدراجة إنني أفضل أن أستأجر سيارة أجرة فأنا استطيع ذلك.

وهنا لا توجد سيارات للأجرة سائرة في الشوارع، إنما تطلب من مكاتب سياحية قليلة لا نعرفها.

## الفـــرج:

وجاء الفرج عندما وقفت بنا الدراجتان أمام جامع ضخم سري المظهر ذي منارات أربع شامخة وعدة قباب تطيف به أفنية واسعة

أحد شوارع مدينة هوشي منه

جميلة حتى يصح أن يكون معلماً مهيباً عديم النظير من معالم المدينة، وهو مطلي بطلاء أبيض قشيب يمثل الصفاء والنقاء.

واسمه (جامع المسجد للمسلمين) هكذا تقول هذه العبارة غير الفصيحة لهذا المسجد العظيم. وكتبوا تاريخ بنائه بالعربية عام ١٣٥٢ هـ. وتحته معنى ذلك بالإنكليزية.

عندما رأينا المسجد قلنا في أنفسنا: لقد جاء الفرج فلا بد من أن نجد إماماً يعرف قدراً من العربية أو يعرف من يعرف ذلك.

وكان الفرج على هيئة أخ مسلم مسن يلبس ثوباً سعودياً تحته سروال حجازي يتدلى طرفاه حتى يكاد يصل إلى الكعبين وفوق رأسه عمامة صغيرة، وعلى صدره صدري «حجازي» أيضاً فسلم وأحفى السلام، وهو في مظهره يشبه الجاويين إلا أنه ذكر أنه من تشامبا وإن كان قال: إن اللغة تختلف فإن كثيراً من الباحثين يؤكدون العلاقة بين أهل تشامبا وبين الجاويين. وبادرناه بالسؤال عما إذا كان يعرف العربية؟ فأجاب: نعم.

وقد تبين انه يعرف العربية بالفعل ولكن كان عهده قد بعد بأهلها وأذناه قد استغربتا عن سماع ألفاظها، فكان لا بد له من أن ينصت جيداً للكلام بالعربية ولو كان الصوت مرتفعاً، ويفضل أن يكلمه المتكلم منا بتؤدة وتمهل وألا يسرد الجمل متلاحقة. كما أنه يفضل الكلمات والجمل العربية القديمة أو بعبارة أصح يفضل أن يتجنب المصطلحات الحديثة في اللغة مثل كلمة (طبعاً) وكلمة (الظروف) بمعنى الأحوال.

وعرفنا ذلك من طبعه فكان مفيداً لنا جداً ـ جزاه الله خيراً ـ

سألناه أين تعلم العربية؟ فأجاب: إنه درسها في فيتنام على الشيخ عمر علي مفتي المسلمين في فيتنام سابقاً، وأنه رحل إلى مكة المكرمة عام ١٣٦٩ هـ وبقي فيها مدة قصيرة، وأنه هو إمام هذا المسجد الذي هر أكبر المساجد في هذه المدينة.

الشارع الذي يقع فيه مسجد جامع المسلمين بمدينة هوشي منه

## المساجد في هوشي منه:

جرى بحث معه بحضور الإخوة المسلمين الذين جاؤوا معنا وأخوة لنا آخرين وجدناهم في هذا المسجد حتى الآن، لأن اليوم هو الجمعة، فكانت نتيجته أن أكبر المساجد في هوشي منه هو هذا

المسجد العظيم ويعرف عند الناس بالمسجد الهندي، لأن الذين بنوه هم إخواننا المسلمون من أهل الهند وكانوا تجاراً أغنياء في هذه المدينة ولكنهم رحلوا عنها وتركوها عندما استولت الشيوعية على البلاد، وذكروا انهم كانت لهم املاك من الأبنية (العمارات) والحوانيت والمحلات التجارية وغير ذلك من العقارات.

وذكروا أنه يوجد في مدينة (هوشي منه) ثلاثة عشر مسجداً، ٧ منها كبار و٦ صغار.

وذكروا أن عدد المسلمين يزيد لأن الفيتناميين من غير المسلمين يدخلون في الإسلام وإن كان ذلك على نطاق ضيق لقلة امكانات المسلمين وضعف وضعهم الاجتماعي.

كما توجد مساجد خارج المدينة منها مسجد لأخوة مسلمين فيتناميين يقع في بلدة (تانغ بو) وتبعد حوالي ٤٠ كيلو متراً عن المدينة.

والتنويه بأن المسجد للفيتناميين أمر مهم لكون الأغلبية الساحقة من المسلمين هم من قبيلة تشامبا أو لنقل من منطقة تشامبا التي تقع في الحدود ما بين فيتنام وكمبوديا ـ وأما المسلمون من الفيتناميين الأصلاء فإن عددهم قليل. وذكر ان عددالمسلمين حسبموا يظنون يبلغ ما بين ٤٠ ألفاً إلى ٥٠ ألفاً في فيتنام كلها منهم سبعة آلاف في مدينة هوشي منه وحدها من مجموع سكان المدينة البالغ أربعة ملايين ونصفاً من مجموع سكان دولة فيتنام الذي يعد ٦٨ مليوناً من البشر.

وأكثر المسلمين يقطنون في منطقة الحدود ما بين كمبوديا وفيتنام، تلك المنطقة التي كانت فيها سلطنة إسلامية قوية عريقة قضى عليها الفيتناميون في القرن الخامس عشر الميلادي كما تقدم ذكره.

وتبعد منطقة الحدود بحوالي ٢٥٠ كيلو متراً من هوشي منه هذه (سايقون سابقاً).

**المطعم الإسلامي:**

نوَّهوا بالمرافق التابعة للمسجد التي تقع في محيطه ملحقة به مما جعله أشبه بالمركز الإسلامي. فذكروا منها المدرسة الإسلامية ومقر الجمعية الإسلامية المشرفة على المسجد، وبيت الإمام وغيره من العاملين في المسجد، والمطعم الحلال. وهنا قلنا لهم: ألا يوجد مطعم يقدم اللحم الحلال غيره للمسلمين؟ فأجابوا بالنفي، وأكدوا أنه هو المطعم الوحيد للمسلمين في المدينة.

ومعرفة (المطعم الحلال) أمر مهم لنا لأن أهل هذه المدينة ليسوا من أهل الكتاب الذين يحل طعامهم وإنما هم من البوذيين.

وجدنا المطعم في قسم خلفي من أبنية ملحقة بالمسجد يجمعها فناؤه إلا أن المسجد مرفوع يصعد إليه بدرج عالٍ.

والمطعم يشغل حجرات عدة وقسماً من الفناء مظللاً بأشجار ضخمة وارفة الظلال حتى كأنه منها في سقف، ولذلك رأيناهم نثروا الموائد تحت الأشجار نثراً، إلى جانب الموائد الموجودة داخل الغرف.

طلبنا الطعام والساعة تقارب الحادية عشرة والنصف لأن الصلاة في الواحدة، ونحن لم نأكل طعاماً في هذا الصباح.

فكان من طعامه الإربيان الذي هو (الروبيان) بلغتنا العامية

والجمبري بلغة المصريين، ومعه السمك والأرز الأبيض الساذج الذي لم يخالطه مخالط من إدام أو ابزار أو غيرهما. كما جاؤوا بالكاري وهو مرق غليظ لا يكون كثيراً في الصحن، ولكن تكون معه بعض الخضروات القليلة، وأما الشراب فإنه الكوكا كولا والسفن أب وقد طلبناه لعدم ثقتنا بنظافة مائهم الذي يشربونه من الأنابيب.

وكان ثمن ذلك كله ٤٥ ألف دونغ، والدولار الواحد يساوي ١٣٥٠٠ دونغاً فهو إذاً بحوالي ثلاثة دولارات وثلثاً، عرفنا أن حوالي نصف هذا المبلغ كان ثمناً للكوكا كولا والسفن أب لأنهما مستوردتان من خارج البلاد وثمنهما لذلك غال بخلاف بقية الطعام التي هي كلها من بلادهم فإن ثمنها رخيص جداً.

وأما الطعام فإنه لذيذ وقدطهي بطريقة مزجت بها الطريقة الهندية بالطريقة الوطنية فقد كان خالياً من الدسم الكثير، وهذا من مميزات الطعام الفيتنامي إلا أنه كثير الفلفل وهذا من مميزات الطعام الهندي. ولا شك في أن هذا الطعام لو كان في محل واضح على شارع تجاري عام، وكانت نظافة القائمين على المطعم وكذلك أثاثه على المستوى المطلوب لكان عليه إقبال عظيم.

ومع ذلك رأينا عدداً من الآكلين لا بأس به في هذه الساعة المبكرة، وفيما رأيناه من أمره بعد ذلك إذ كنا نتردد عليه لا يكلفنا الوصول إليه من فندقنا إلا أجرة ركشا تبلغ ربع دولار أمريكي.

وفي نهاية الغداء هذا اليوم أردفنا الأخوان صاحبا الدراجتين إلى فندقنا فندق ركس.

## جمعة فيتنام:

توجهنا من الفندق إلى (جامع المسجد للمسلمين) كما اسموه لأداء صلاة الجمعة فوصلناه قبيل الواحدة فوجدنا الشيخ محمد يوسف إمام المسجد واقفاً أمام المكبر يعظ الناس بلغة القوم وهي لغة تشامبا واللغة الفيتنامية. وهما لغتان مختلفتان فالأولى لغة المسلمين والثانية لغة سائر المواطنين.

ثم أذن المؤذن فأخذ عصا غليظة مستقيمة طويلة جداً كان أعلاها يرتفع عن رأسه، وصلّى المؤذن على النبي ﷺ من مكبر الصوت وقد أذن الأذان مثل أذاننا تماماً فنهض القوم لأداء السنة، نهض المؤذن ثانية فأذن الأذان الثاني.

فصعد الإمام محمد يوسف المنبر ومعه العصا الغليظة، التي كان المؤذن قد أمسك بها وهو يؤذن وصعد على المنبر الذي هو من الرخام وليس له حافتان يستند الإمام بيده، أو كلتيهما عليها.

لذلك أمسك العصا الغليظة الطويلة بصدره وأمسك كتاباً مجلداً بيديه كلتيهما، فخطب منه خطبتين عربيتين مسجوعتين لا أظن أن في المسجد من يفهمها غيري وغير رفيقي الشيخ علي عيسى.

وبعد الخطبة دخل في الصلاة دون أذكار قبلها وبعد الإقامة، فقرأ في الصلاة وأطال قراءة متقنة مجودة خاشعة، وبعد أن انتهى من الصلاة دخل هو والجماعة في تسبيح وتهليل بصوت منخفض منفرد، وأدوا السنة أربع ركعات بعد الصلاة.

وبعد ذلك دعا دعاء مطولاً باللغة العربية ثم بدأ القوم يصلون على النبي ﷺ بصفة جماعية منغمة وبصوت عالٍ ارتج له المسجد

الذي كان قد امتلأ أو كاد بالمصلين، وقد قدرت عدد المصلين بـ ١٠٧ وذلك كله من غير تهيؤ سابق ولا إعلان عن قدومنا.

وهذا العدد هو من الرجال وأما النساء فقد حضرت منهن طائفة صلين في رواق منفصل عن المسجد من جهة الجنوب ولكن من يكون فيه يرى الإمام أو من خلفه ففيه باب ونوافذ كبيرة مفتوحة، والنوافذ الواسعة في هذه البلاد الحارة الرطبة أمر له أهميته.

وألقيت فيهم بعد الصلاة كلمة بالعربية كان الشيخ محمد يوسف يترجمها لهم وكنت أتعمد أن أستعمل في كلامي الكلمات والجمل العربية القديمة التي يفهمها، وقد تضمنت الكلمة التعريف بالغرض من وصولنا إلى هذه البلاد وهو الاتصال بالإخوة المسلمين والإطلاع على حالة مساجدهم من أجل التعاون في المستقبل معهم على البر والتقوى. ومن ذلك التعاون على إصلاح ما يحتاج إلى إصلاح من مساجدهم وترميم ما يحتاج إلى ترميم منها، كما أن من أهم أهداف رابطة العالم الإسلامي التي نعمل فيها توفير المعرفة بأحوال المسلمين من أجل التواصل والتآلف اللذين لا بد لهما من معرفة حقيقية بأحوال المسلمين.

وإن المسلمين في هذه البلاد رغم البعد الجغرافي لهم مثل الأخوة المسلمين في داخل بلادنا السعودية وفي البلدان القريبة لأنهم سواء لدينا في المنزلة لا نميز أحداً منهم عن أحد إلا بمقدار ما يقدمه من عمل للدين الإسلامي الحنيف.

وقدمت لهم نصحى لما ينبغي أن يكون عليه المسلم من التخلق بالأخلاق الإسلامية الرفيعة التي بينت لهم طرفاً منها، ومن التميز على

غيره من غير المسلمين بكونه يجب أن يكون خيراً للجميع، وإذا لم يستطع أن يقدم لغيره خيراً فإنه يستطيع أن يقدم المساعدة الشخصية اليدوية وإذا لم يستطع ذلك فإنه يجب عليه أن يكف أذاه عن الناس وأن يساعد ولو بلسانه على ذلك لأن الرسول ﷺ يقول: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

ودعوت الله تعالى بأن يقدر الاجتماع بهم مرة ثانية في مكة المكرمة والمدينة المنورة حيث نلقاهم زواراً ومعتمرين هناك. فتأثروا من ذلك وكاد بعضهم يبكي وسألوني بعض الأسئلة المتعلقة بما ذكرته.

## أوقاف المسجد الجامع:

كان بين الحاضرين خازن جمعية المسجد، وما أقل ما يخزنه الآن من مال في ظل هذا النظام الشيوعي الذي أفقر البلاد والعباد، وكبل أيدي التجار فصار هو التاجر حتى بالزاد والمزاد، فسألته عن المواد التي يحتاج إليها المسجد للحاجات المتكررة مثل الكهرباء والماء والصيانة فذكر والقوم يسمعون أن ذلك من تبرعات المسلمين القليلة التي نجمعها خاصة يوم الجمعة.

وقال: لقد كان المسجد لا يحتاج إلى ذلك لكثرة الأوقاف التي كانت موقوفة عليه وكان عددها (٥٤) بيتاً موقوفة على المسجد.

وكرر إمام المسجد ذلك وأن عدد البيوت التي كانت موقوفة على المسجد كان (٥٤) بيتاً، وقالوا جميعاً: إنها خرجت من أيدينا الآن فقد أسكنت فيها الحكومة أناساً من غير المسلمين زعمت أنهم يحتاجونها للسكن.

قالوا: والشيء الذي نخشاه أن لا تعاد إلينا إذا ما حسنت حالة الاقتصاد بعد الانفتاح الاقتصادي الذي بدأت الحكومة به في الوقت الحاضر.

وكان مما قالوه يؤكدون به التغيير الذي طرأ على فكر الحكومة من ناحية الاقتصاد أن التجارة الداخلية الآن حرة من ناحية أن التاجر يستطيع أن يشتري ما يجده من السلع ويبيعها كما يشاء إذا لم تكن من السلع الأساسية التي حددت الدولة أسعارها للشعب:

## الجـزيـــة:

وقال الشيخ محمد يوسف بعربيته القديمة: الآن حرية في التجارة، لكن (الجزية) كبيرة، ولما استفسرت منه عن الجزية هذه تبين أنه يريد بها الضرائب التي تفرضها الحكومة على التجار فهي تترك لهم الحرية في التجارة ولكنها تتقاضى ضرائب عالية على دخولهم.

غير أن الشيخ لم يعرف كلمة (ضريبة) لأنها من الكلمات العربية المستحدثة، التي لم تكن مستعملة قبل انقطاع الاتصال ما بين بلاده وبين البلدان العربية.

وقد ذكرتني هذه اللفظة (الجزية) بعض ما يشنع به اعداء الإسلام على النظام الإسلامي من فرضه الجزية على أهل الذمة زاعمين أن ذلك ظلم لا يليق. ونسوا أو تناسوا أن الحكومات الحالية تفرض ضرائب متنوعة على مواطنيها وعلى غيرهم كثيراً ما تفوق ما يفرضه الإسلام من جزية، لأن الجزية في الإسلام لا تكون إلا على المكتسب القادر على ذلك.

ولا نزال الآن نرى اليهود الذين يحتلون فلسطين وغيرها من الأرض الإسلامية يفرضون على سكانها العرب من مسلمين وغير مسلمين ضرائب احتلال وغيرها من أنواع الضرائب تفوق أضعافاً ما يُفرض من المسلمين على أهل الذمة، يتقاضونه من الجزية على من يحتلون بلادهم أو من يقيم فيها من رعاياهم غير المسلمين. ولم نجد منكراً لفعل اليهود ذلك ـ لا من أهل المسيحية ولا من أهل العقائد المدنية الحرة. فكيف يختصون الجزية التي يفرضها الإسلام بالاستنكار مع أنها في مقابل الحماية وتوفير الأمن للمواطنين غير المسلمين في بلاد الإسلام، ولا يستنكرون الضرائب الباهظة التي يفرضها غير المسلمين على من يسيطرون عليهم من المسلمين؟

## مدرسة نور الإيمان:

تقع هذه المدرسة في بناء ملحق بالمسجد من بين عدة أبنية كما قدمت. وقد كتبوا تاريخ إنشائها في عام ١٩٦٨ م.

كما كتبوا عليها بالإنكليزية. وفتحت هذه المدرسة العربية بيد المستر فون فان بنغ مساعد محافظ (سايقون) في ٩/٦/١٩٦٨ م.

وذكروا لنا أن عدد طلابها خمسون وأنهم يدرسون في مساء كل يوم إلا يوم الجمعة والأحد فإنهما يوما عطلة لهم. كما ذكروا أن لها معلمين وجدنا أحدهما أختاً مسلمة بل بنتاً مسلمة، اسمها رفيعة ذكروا أنها جاءت تدرّس في المدرسة نيابة عن والدها لأنه مريض.

ويعلمون فيها مبادىء قراءة القرآن الكريم وما عبروا عنه (بفرض عين) الذي يريدون به أركان الإسلام وقواعده الرئيسية التي لا يعذر المسلم بجهلها.

وفي المدرسة سبورتان لفصلين، على إحدى السبورتين بحروف عربية البسملة ودرس في لغة تشامبا التي تكتب بالحروف العربية، وكذلك على السبورة الأخرى كتابة بالحروف العربية ولكن بلغة تشامبا أيضاً.

ومقاعد المدرسة لا بأس بها، ولكنهم يشكون من قلة الإمكان لتطويرها، فسألتهم عن نفقات المدرسة من أين يحصلون عليها فأجابوا بترجمة من الشيخ محمد يوسف بأنه صندوق خيرات أي تبرعات.

## مقر الجمعية الإسلامية:

وهي جمعية خاصة بتسيير أمور المسجد الجامع الكبير هذا والمدرسة، ويقع مقرها في الطابق الأرضي، جلسنا في قاعة واسعة منه فيها خزائن مليئة بالكتب والمصاحف أكثرها من المصاحف المطبوعة في الهند ومنها مصحف كبير الحجم طبع في الهند، طبع حجر نادر، مما يعطي انطباعاً عن القائمين على هذه الجمعية وأنهم كلهم من أهل الهند.

وهكذا أخبرونا بحضور الأخوة المسلمين من أهل فيتنام، فذكروا أن القائمين على أمر المسجد في هذه الجمعية هم من أهل الهند الذين بقوا في فيتنام، بخلاف أكثر المسلمين الهنود فإنهم غادروها بعد أن استولى عليها الشيوعيون حتى إنه لم يبقَ من المسلمين الهنود الآن إلا عدد يقدر ما بين ٢٥٠ و ٣٠٠ نسمة في مدينة هوشي منه (سايقون) كلها، فرئيس الجمعية وأمين الصندوق فيها كلهم من أهل الهند.

وفي القاعة الواسعة التي هي مقر الجمعية صورة لعربي يقود

بعيره متجهاً إلى مسجد مرسوم في الصورة، وهذا أمر له معنى عظيم ينبغي أن نفهمه نحن العرب، فنساعد إخوتنا في الإسلام الذين يحرصون على إبراز تراثنا ومظاهر الدين الإسلامي الذي شرفنا الله تعالى بحمله على كل الأمم.

ولا شك أنه لو كان الدين الإسلامي دين أمة واعية عارفة بما يجب أن تعمله تجاه دينها وثقافتها الأصيلة لسارعت تلك الأمة إلى نشره وتعميمه في الخافقين، حتى غير المتدينين من قادتها فإنهم يسارعون الى ذلك لكون من يدخل في دين الإسلام يسارع إلى تعلم اللغة العربية من أجل أن يؤدي بها فروض دينه، وأن هذا وحده يجب أن يكون حافزاً لما ذكرناه فكيف بنا نحن الذين نعلم أن الدين الإسلامي هو منبع ثقافتنا ومصدر حضارتنا ورمزعزنا وفخرنا بما قدمته أمتنا في ظله فخراً باقياً على الدهر.

وبهذه المناسبة سألنا هؤلاء الأخوة عما إذا كانوا يذكرون أن أحداً وصل إليهم من البلدان العربية وتبرع لهم بمال؟ فأجابوا بأنهم قد رأوا بعض العرب وخاصة بعض بحارة السفن التي تأتي إلى بلادهم لنقل الأرز أو لغير ذلك، يأتون واحداً أو اثنين من أجل أن يؤدوا الصلاة، وبخاصة إذا كان ذلك يوم الجمعة، قالوا: وأما التبرعات فإنهم لا يذكرون شيئاً من ذلك.

وليس بين جمعية المسجد أحد من العرب، وذلك أن العرب الذين كانوا موجودين في هذه البلاد قبل أن يستولي عليها الشيوعيون كانوا تجاراً فرحلوا وتركوها وأغلبهم من أهل اليمن فعاد بعضهم إلى اليمن وبعضهم ذهب إلى أماكن أخرى، ومن هؤلاء شخصان قابلتهم في (نيوكلدونيا) في جنوب المحيط الهادىء.

قالوا: ولم يبقَ الآن في مدينة (هوشي منه) إلا خمسة أو ستة من أبناء العرب المولودين في هذه البلاد. وطبيعي أن نقول: إنه لا توجد في هوشي منه سفارات لدول إسلامية، لأن السفارات كلها في العاصمة (هانوي) وسوف نتحدث عنها عندما نصل إليها إن شاء الله.

## إلى جامع المسلمين:

قلنا: إن حالة المساجد في البلدان الشيوعية وبخاصة إذا كانت بلدان أقليات مسلمة هي مهمة جداً، لأنها تُوضح حالة المسلمين، وبيان قدرتهم على العمل لدينهم الإسلامي الحنيف داخل نظام ذلك البلد. ولذلك حرصنا على زيارة المساجد كلها في (هوشي منه) كما كنا نحرص على ذلك في بلدان شيوعية أخرى، ولنا في ذلك هدف آخر، وهو تقديم مساعدات مالية رمزية عاجلة للإخوة المسلمين القائمين على تلك المساجد، وان نعرف ما تحتاج إليه في المستقبل حتى نقدم لها مساعدات مالية مجزية في المستقبل على ضوء مشاهداتنا هذه إن شاء الله تعالى.

لذلك ذهبنا مع بعض الإخوة ومنهم الشيخ محمد يوسف إمام الجامع الكبير الذي ذكرته لأنه الشخص الوحيد الذي عرفناه بمعرفة العربية على كبر سنه وعدم سرعته في التحدث بالعربية.

ركبنا سيارة لشخص من سائر الناس يرتزق بها، وهي ليست سيارة أجرة لأن سيارات الأجرة المعروفة عندنا وفي الأقطار الأخرى غير الشيوعية ليست موجودة في هذه البلاد إلا عند مكاتب سياحية حكومية يؤجرونها بعقد يوقعونه مع المستأجر كما سيأتي.

وسائق السيارة غير مسلم فانطلق بسيارته في شوارع هوشي منه (سايقون سابقاً) الواسعة المليئة بالدراجات على اختلاف أنواعها من (ركشاوية) إلى دراجات هوائية معتادة وهي الأقل، إلى الدراجات الأكثر وهي نارية تزمجر محركاتها وتختلط أصواتها حتى تؤلف صوتاً أجش غير منسجم ولا متناسق، بل هو غاية من الإزعاج.

ولاحظت عادة متبعة عندهم كثيراً، وهي عادة الإرداف على الدراجات النارية فترى كثيراً منهم قد أردفوا شخصاً أو أشخاصاً معهم على الدراجة بمعنى أركبوهم خلفهم، وفي حالات كثيرة يكون هؤلاء المردفون ـ بفتح الدال ـ أكثر من واحد وبخاصة من أفراد الأسرة الذين يركبون معاً على دراجة نارية واحدة.

أحد شوارع مدينة هوشي منه (سايجون)

وفي حالات أخرى عديدة كنت أرى امرأتين تركبان الدراجة إحداهما خلف الأخرى.

أما إرداف الرجل لامرأة خلفه وهو الشائع في أوروبا والأقطار التي قلدتها فإنه موجود ولكنه ليس كثيراً.

ومن الملاحظ في شوارع (هوشي منه) ان أشجار الشارع تكون بالغة الارتفاع، وهذا بلا شك يدل على أن العناية بتشجير هذه الشوارع قديمة، لأنها لا بد أن تكون قد غرست منذ عهد بعيد.

## حوانيت الأكتاف:

لم أسمع بهذه التسمية من قبل ولكنني أطلقتها على ما رأيته في بلاد الجنس الملايوي في إندونيسيا وقرى تايلند وأمثالها، وذلك في أن يجعل البائع أو البائعة البضاعة في وعائين اثنين معلقين بعصا غليظة ويحملها على كتفيه على هيئة الميزان بأن يجعل إحدى الكفتين تتأرجح في الأمام والأخرى في الخلف بالنسبة إليه، أو أن يحملها على كتفيه الاثنين ويمسكها بيديه فترى الكفتين يتأرجحان يمين جسمه ويساره، وهو يسير هكذا ببضاعته يعرضها على الناس، فمن أراد أن يشتري منه أوقفه ونظر في بضاعته. وغالباً ما تكون من الفواكه والخضار أو من الأطعمة القليلة. والحوانيت ـ كما نعلم ـ هي الدكاكين.

ولم أرَ ذلك شائعاً إلا في بلدان الجنس الملايوي ومن شابههم، وقد رأيتها اليوم وأمس كثيراً في هذه المدينة.

والغريب أنه في مثل هذه البلدان يكثر أن تكون الحاملة لهذه الأشياء امرأة عليها قبعة عريضة تقيها أشعة الشمس التي تكون استوائية

أو قريبة من الاستوائية، اضافة إلى كون القبعة العريضة تثبت بنفسها على الرأس ولا تحتاج إلى تعهد وعناية..

## القبعات الفيتنامية:

بالنسبة إلى القبعات الفيتنامية فإنها ذات شكل متميز عن غيرها من قبعات الأندونيسيين والتايلنديين وإن كانت تجمع بين تلك القبعات صفة الاتساع وكونها تنسج من القش أو الخوص.

فالقبعة الفيتنامية تتميز بتقعيرها بمعنى أنها أشبه بغطاء الطبق الذي تراه مرتفع الوسط إذا وضعته على الأرض أو على طبقه، وليست مستوية التسطيح، كما أن مكان الرأس منها صغير إلى درجة تكاد معها أن تسارع فتجزم إذا رأيت القبعة موضوعة على الأرض بأن رؤوسهم صغيرة مع أن الفيتناميين متميزون بالذكاء وليسوا من صغار الرؤوس الذين لا يتميزون بذكاء غير معتاد.

ومررنا بمعبد بوذي ذي طبقات عديدة، والغريب في الأمر هنا ليس في وجود المعابد البوذية، وإنما الغريب في قلتها، فالقوم بأكثريتهم الساحقة بوذيون قدماء في اعتناق البوذية، والمفروض أن تكون المعابد لديهم كثيرة كثرتها في تايلند التي هي ذات أغلبية بوذية مثلهم، وقد قرأت أن في تايلند خمسمائة ألف معبد بوذي طبقاً لأحصاء تايلندي حكومي.

وربما كانت القلة الظاهرة في المعابد البوذية هنا هي بسبب استيلاء الشيوعيين على الحكم الذين يحاربون الأديان ويتبنون سياسة الإلحاد، ولذلك لا تنشأ في ظلهم معابد جديدة، وإنما يبقون في الغالب على المعابد القديمة ذات الأهمية الأثرية.

## مسجد جامع المسلمين:

كان أول ما أدهشنا من هذا المسجد رؤية منارته على البعد التي وان لم تكن شامخة فإنها متميزة، ثم رأينا اسمه مكتوباً بالعربية على لائحته وواجهته (مسجد جامع المسلمين)، وجامع هذه ليست مرادفة لكلمة مسجد كما صار بعض الناس في لبنان مثلاً يطلقونها على

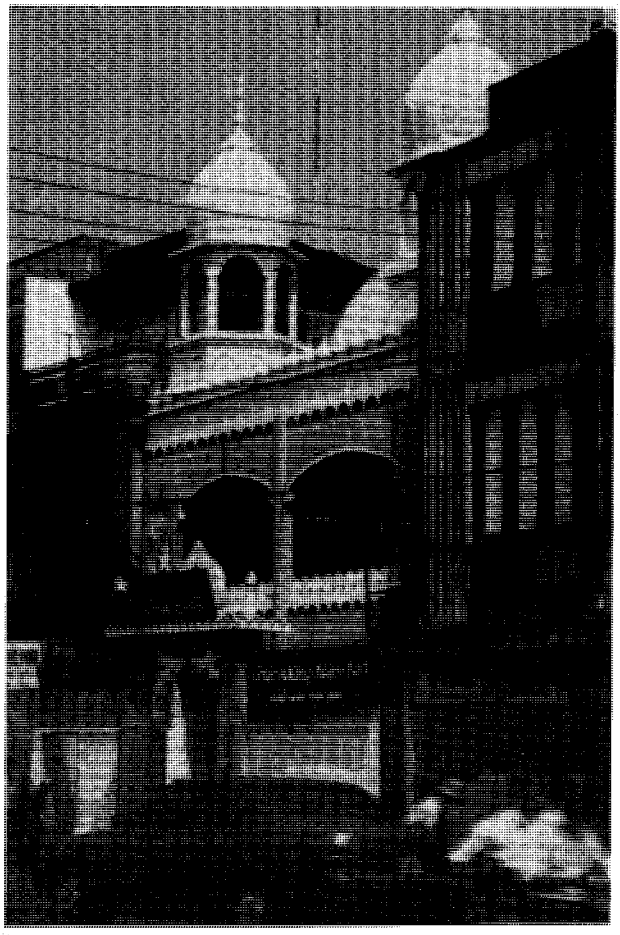

مسجد جامع المسلمين

المسجد أي مسجد، وإنما المراد من ذلك أنه مسجد تصلي فيه الجمعة. وفوق اللافتة صورة الهلال تتوسطه نجمة وهو الشعار الذي صار شعاراً للمسلمين على طول العالم وعرضه في مقابل الصليب الذي هو شعار المسيحيين.

ويقع المسجد على شارع رئيسي مليء بحركة الدراجات ومعها بعض السيارات لأنه الشارع الواسع الذي يفضي من قلب المدينة إلى المطار ويسمى (انقوين مان ترو).

بني المسجد في عام ١٩٧٣ م، بناه الحاج عمر علي رحمه الله وكان مفتياً لفيتنام، ذكروا أنه أحضر النقود التي بناه بها من المملكة العربية السعودية، ومن ماليزيا وان (تانقو عبد الرحمن) رئيس وزراء ماليزيا السابق ساعده على ذلك.

والمسجد متوسط السعة ومع ذلك أخبرونا أن عدد الذين يؤدون صلاة الجمعة فيه لا يقل عن مائتين كل أسبوع، وأنه يضيق بهم وعللوا ذلك بأن بيوتاً للمسلمين كثيرة تحيط به، كما ذكروا أن عدد الذين يؤدون الصلوات الخمس المفروضة في الأيام المعتادة يتراوح ما بين ٣٠ إلى ٤٠ مصلياً. ويقع المصلى الرئيسي في الطابق العلوي إذ يتألف المسجد من طابقين أحدهما أرضي فيه المدرسة الإسلامية والثاني علوي فيه المصلَّى الرئيسي.

كما أخبرونا أن المصاريف المتكررة للمسجد من ماء وكهرباء وأمثال ذلك يحصلون عليها من تبرعات المسلمين وبخاصة بعد صلاة الجمعة حيث يتبرع المسلمون بما يتيسر فيجمعونه وينفقونه على المسجد، ولم ترد إليهم أية إعانات مالية من خارج بلادهم كما ذكروا لنا.

## جمعية مسلمي هوشي منه:

توجهنا إلى مقر جمعية مسلمي (هوشي منه) ويقع في زقاق جانبي متفرع من الشارع الرئيسي، خلف المدرسة الإسلامية الواقعة في الطابق الأرضي من (مسجد جامع المسلمين هذا)، وهي كالمسجد تقع في حي فيه بيوت للمسلمين ذكروا أن مجموع سكان المسلمين فيه ٧٧٠ مسلماً واسم الحي (تون يانغ).

وجدنا الجمعية قد أعدت فوق مائدة مستطيلة، أوراقاً وأقلاماً لتقييد ما يحتاج إليه، كما أحضرت شاياً من الشاي الفيتنامي الذي يشبه الشاي الصيني فهو خفيف لونه بين الخضرة والحمرة ساذج لا سكر فيه

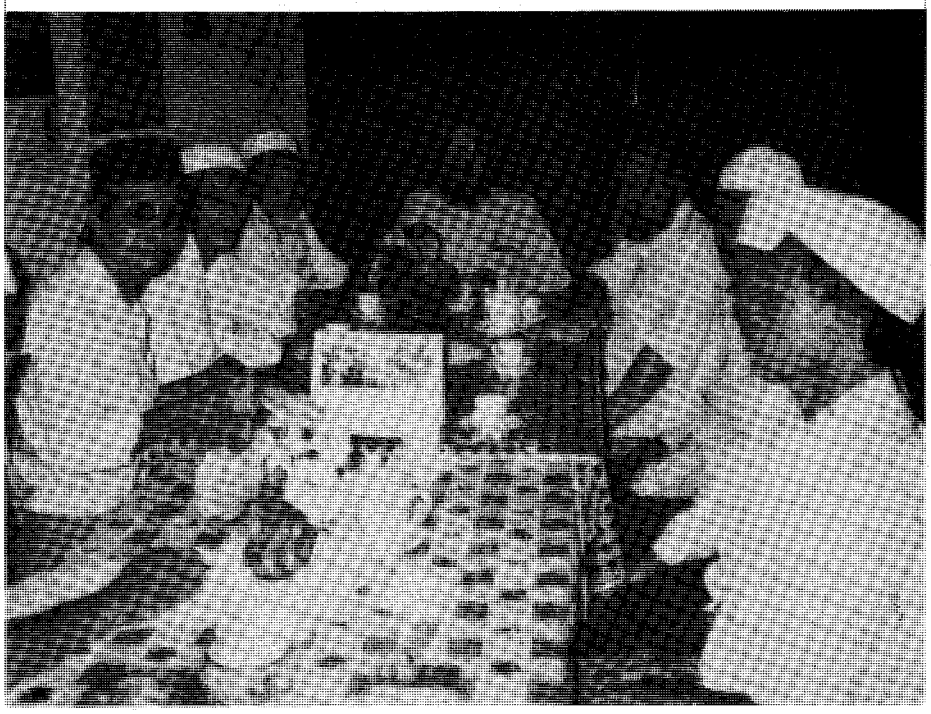

أثناء الاجتماع بالجمعية الإسلامية في هوشي منه

ولا حليب. ولا يحضرون ذلك لمن يطلبه لان الشاي الاحمر المعروف لدينا ولدى الأوروبيين غير مستعمل عندهم.

وقد حضر الجلسة عدد من أعضاء الجمعية منهم رئيس المسلمين السابق عبد الحليم سليمان، أما الرئيس الحالي للجمعية، وهو بحكم رئاسته لها يعتبر رئيساً للمسلمين واسمه (إمام إبراهيم) فإنه لم يحضر لكونه موجوداً خارج المدينة، وذكروا أنه سوف يحضر بعد ذلك. كما حضرها نائب الرئيس الأخ الحاج إدريس ساميل وقد لازمنا طيلة وجودنا في (هوشي منه) وكان وجوده معنا دائماً لا سيما أنه يتكلم قدراً لا بأس به من الإنكليزية، كما حضر أمين الجمعية (طيب فهمي).

ذكروا أن جمعيتهم هذه تمثل المسلمين في هذه البلاد رغم كونها خاصة بمسلمي هوشي منه، ورغم وجود أعداد كبيرة من المسلمين في منطقة تشامبا على الحدود ما بين ـ كمبوديا وفيتنام ـ لكونها الجمعية المنظمة القائمة في هذه المنطقة.

وأخبرونا أن جمعيتهم تهتم بالأمور الدينية العائدة للمسلمين وإن من عملها اعداد طعام الفطور في أيام رمضان، حيث يجمعون المال والطعام من القادرين ويقدمونه للفقراء والمحتاجين، كما ذكروا أنهم يدفعون رواتب لاثنين وأربعين معلماً من معلمي الدين الإسلامي في الكتاتيب، وأن راتب المعلم منهم هو (٨٠) ألف دونغ ويساوي ذلك حوالي ٦ دولارات أمريكية.

ولذلك يعطون أئمة المساجد مبالغ أقل من ذلك لأن هذه هي قدرتهم التي يستطيعونها **﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾**.

وأكدوا على حاجتهم للمساعدة بقولهم: إن ٦ دولارات في الشهر التي نعطيها لمعلمي الدين نعرف أنها لا تكفي ولكن ماذا نصنع؟ ونحن لا نستطيع الحصول على أكثر من ذلك.

ومن اللطيف الذي صنعوه رغم قلة إمكاناتهم أنهم أوضحوا أماكن المساجد الموجودة في هذه المدينة (هوشي منه) وعددها (١٤) مسجداً على خارطة للمدينة مفصلة قد ذكرت فيها أحياؤها بالتفصيل.

وقد استمرت هذه الجلسة المفيدة بعض الوقت معهم حصلنا فيها من المعلومات عن اوضاع الإخوة المسلمين في هذه البلاد على ما لم نكن نعلمه.

## اللباس التقليدي:

وفي طريق العودة إلى الفندق رأيت امرأتين عليهما لباس النساء الخاص بهذه البلاد الـذي تلبسه العاملات في الدوائر الحكومية التي تحافظ على المظهر الوطني ومن ذلك العاملات في المطار وهو سروال طويل غالباً ما يكون أزرق اللون يصل إلى القدم وليس ضيقاً كسراويل الأوروبيات ولا واسعاً كالذي يكون على الباكستانيات وفوقه قميص طويل من نفس لونه وفي مثل طوله إذ يصل إلى القدمين أيضاً، ولكنه يكون مشقوقاً من الجهتين اليسرى واليمنى، إلى ما فوق الورك، بل قد يصل شقاه إلى الجنبين، وذلك بحجة عدم عرقلة السير، ويبين منه السروال كله أو يكاد.

وقد غرقنا ونحن راجعون إلى الفندق في فيضان الدراجات الذي رأيته، بل يمكنه أن يتغلب في ذلك على الصين المعروفة بكثرة

دراجاتها، وقد ذكرت مشاهداتي في الصين في عدة كتب أكبرها كتاب: (داخل أسوار الصين).

**أحد شوارع هوشي منه المزدحم بالدراجات**

وأكد الإخوة المرافقون أن سبب الزحام الشديد من الدراجات وبخاصة منها النارية الكثيرة العدد هو أن هذا الوقت الخامسة إلا ربعاً هو موعد انصراف الموظفين من المكاتب الرسمية بين حكومية وغيرها إذْ ينتهي العمل اليومي عندهم في الرابعة والنصف.

ويلاحظ من عادات النساء هنا الشائعة في الصين أيضاً أن تجعل المرأة وبخاصة من الشابات شعر رأسها جديلة واحدة خلف رأسها، مع طول شعرها.

## مائدة فيتنامية:

كان الأخ عثمان بن المفتي السابق عمر علي رحمه الله قد دعانا إلى مأدبة عشاء يقيمها في بيته هذه الليلة، ودعا أيضاً الشيخ محمد يوسف إمام الجامع الكبير، وذلك لكون وجوده ضرورياً للترجمة إذْ بدونه لا يمكن التفاهم معهم بشيء.

كانت المأدبة فيتنامية بطعامها الذي تألف من الأرز الأبيض الساذج الذي لم يخالطه مخالط غير الماء حتى الملح لا يضعونه فيه، ومعه نوعان من المرق الغليظ المسمى بالكاري في كل واحد منهما نوع من لحم الدجاج أعد بطريقة تختلف عن الطريقة التي أعد بها النوع الآخر. كما أحضروا بطاطس مقلياً على طريقة خاصة بهم، وكان الشراب فيتنامياً خالصاً يشبه الكوكا كولا ولكنه يعتمد على الدارصيني وهو القرفة بلغة المصريين المعاصرين وهو ينتج من بلادهم بكثرة وكان معه نوع آخر من عصير أخضر اللون ذكروا أنه من فاكهة غير معروفة لنا، ولكنها تكثر عندهم!

أما الفاكهة فكانت موزاً صغيراً لذيذ الطعم رقيق القشر، غالي الثمن بالنسبة إلى أنواع الموز الأخرى وقد عرفته بذلك قبل ذلك في البلدان التي تنتج الموز، ومعه نوع من الحلوى التي صنعت في البيت، وكانت المأدبة أسرية حضرتها أسرة المذكور وفيهم أمه وهي عجوز جيدة الصحة سليمة الحواس مع أنه في حدود الخمسين وزوجته وابنته مع زوجها وهما شابان ليس لهما إلا طفل واحد، وكانوا يؤانسون بالكلام، ويظهرون الود والاحترام.

ولم أرَ نساءهم المسنات يحتشمن من الرجال الأجانب فكن

يجلسن معنا ويتحدثن بواسطة المترجم، ووجدنا أن أعظم امنياتهن أن يحججن بيت الله الحرام.

وقد استغرقت المأدبة حوالي الساعتين، وكانت مفيدة لنا لأننا سمعنا خلالها ما لم نسمعه من قبل عن أحوال المسلمين في هذه المنطقة من جنوب فيتنام، وعن أحوالهم في منطقة (تشامبا) التي هي الموطن الرئيسي للمسلمين وتقع على حدود فيتنام وكمبوديا ومنها أصل الأخوين كليهما وهما: الداعي عثمان، والمترجم محمد يوسف. وعندما استأذنا في الإنصراف اعتذروا لنا بأنه لا توجد لديهم الآن إلا

أحد شوارع مدينة هوشي منه

دراجة نارية واحدة سوف تنقلنا إلى فندقنا بالتناوب فتحملني أول الأمر حيث أركب خلف سائقها ثم تعود إلى مرافقي الشيخ علي عيسى، وبعد ذلك تعود لتحمل الشيخ محمد يوسف إلى الجامع، وذلك لعدم وجود سيارات الأجرة، ولأن دراجات الركشا غير لائقة كما أنها فيما يقولون غير آمنة في الليل.

ومع أننا عدنا في الليل فإننا لم نسلم من فيضان الدراجات حيث ظللنا نخوض فيه من بيت الداعي إلى الفندق، ولم تكن توجد في هذه الساعة سيارات بل كان الزحام كله من الدراجات النارية.

## يوم السبت ١٤١٢/٥/٢٤ هـ - ١٩٩١/١١/٣٠ م:

جدد الفندق تحيته التي هي من الفاكهة التي تكثر في هذه البلاد، وكانت أمس من الموز الأصفر الصغير ومن البرتقال الأخضر واليوم جاؤوا بها من التفاح الذي يأتيهم من مناطق جبلية في شمال بلادهم ومن ثمرة واحدة من جوز الهند وهو ثمار النارجيل. وعندنا أن أشجار التفاح والنارجيل لا يجتمعان في مكان واحد ولكن هذه البلاد ممتدة ولذلك اختلف الجو الجبلي في شمالها عن جنوبها الحار.

### جمع الطعام:

اعتدنا في البلدان البوذية أن نرى صغار الرهبان وهم الشباب ومن في حكمهم يدورون في الشوارع ويقفون عند البيوت يلتمسون من الناس أن يعطوهم من الطعام الذي هو الأرز ما تيسر، ولا طعام في هذه البلدان البوذية إلا الأرز فلا أعرف شعباً بوذياً يأكل أهله الخبز بصفة رئيسية، ولذلك يمكن القول: إن البوذية والأرز متلازمان كما أمكن القول إن الإسلام والتمر متلازمان بمعنى أن التمر لا يكثر في غير بلاد المسلمين. وهذا هو الواقع القديم وقت أن كانت كل البلاد يقتصر أهلها على الطعام الموجود أصلاً لديهم.

وقد رأيت جمع الرهبان البوذيين للطعام واضحاً كل الوضوح في بورما وبعض المدن الصغيرة في تايلند. واليوم رأيت منه شيئاً مختلفاً في هذه البلاد، ففي الصباح بعد الباكر أي في حدود الساعة الثامنة والنصف رأيت صفاً من الرهبان البوذيين الكبار الحليقي الرؤوس الحفاة الأقدام الذين يرتدون ملابس مصبوغة باللون الأصفر وهم في صف واحد كل واحد منهم يسير وراء الآخر بحذائه لا يميل عنه يسرة ولا يمنة، ومع كل واحد منهم وعاء من الخشب قد رفعه فوق يديه وقد مدهما كأنما تتهيآن لأخذ ما يلقى في هذه الإناء من طعام.

وهم يمشون الهوينا بخلاف الشبان من الرهبان الذين يسيرون بصفة معتادة، ولكنني لم أرَ أحداً وضع في الأواني التي معهم شيئاً مع أنني تابعتهم وصورتهم وهم يقطعون شارعين اثنين، وذلك بخلاف ما رأيته في بورما حيث يرى المرء في الأواني التي يحملها الرهبان أرزاً يكون مطبوخاً.

وملابس هؤلاء الرهبان مثل ملابس أولئك مؤلفة من قطعتين أشبه ما تكونان بلباس الإحرام المؤلف من إزار ورداء، وهم يلبسونها في العادة كما يلبس المحرم ثياب الإحرام.

## جولة على المساجد:

ذهبنا إلى مكتب للسياحة واقع على ميدان ركس الجيد الذي يقع عليه فندقنا فاستأجرنا منه سيارة صغيرة مكيفة الهواء جديدة من الساعة التاسعة صباحاً حتى السادسة مساء بـ ١٦٠ ألف دونغ ويساوي ذلك (١٣) دولاراً أميركياً أو خمسين ريالاً سعودياً على وجه التقريب، وهذا رخص بالغ، والغرابة جاءت في كثرة الإجراءات وتعقيدها بحيث أن

المكتب حرر عقدا بيننا وبينه أشبه بالإتفاقية الرسمية مكتوباً بالإنكليزية فأعده موظف ووقعته عن الشركة موظفة، ثم قبض النقود رجل آخر وأعطتنا إيصالاً بها موظفة أخرى.

## جامع السعادة:

مررنا بالشيخ محمد يوسف الذي غدا لساننا الناطق في هذه البلاد بدونه لا نستطيع أن نفهم من أحد ولا أن نفهم أحداً ما نريد أن نقوله وذلك لعدم وجود من يتكلم العربية غيره، ولقلة من يتحدث الإنكليزية من الإخوة المسلمين.

وانطلقنا إلى (مسجد السعادة) مع الشوارع بالسيارة ووسط فيضان الدراجات المعهود، وفوق هذه الدراجات النارية المعتادة الحجم أجسام ضئيلة لذلك غالباً ما تكون أكثر من واحد.

ولاحظت أنهم يمتون بصلة ولو صلة الموقع الجغرافي بالجنس الملايوي، من عادة الابتسام السريعة عند الفريقين فما أن يرى الواحد أو الواحدة منهم أنك تنظر إليه وهو راكب على دراجته وأنت راكب في سيارتك حتى تنفرج شفتاه عن ابتسامة عفوية معروفة عند الجنس الملايوي.

وفي هذه الساعات المليئة بالحركة لأنها ساعات الذهاب إلى العمل رأينا الحافلات كثيرة، والزحام فيها شديداً، ولكنه دون شدة الزحام في كثير من المدن الكبيرة المزدحمة كالقاهرة مثلاً، وعجبت لماذا لا تكون الدراجات كثيرة في شوارع القاهرة كثرتها في هذه المدينة، وذكرت أن السبب في ذلك هو سهولة تملك السيارات في

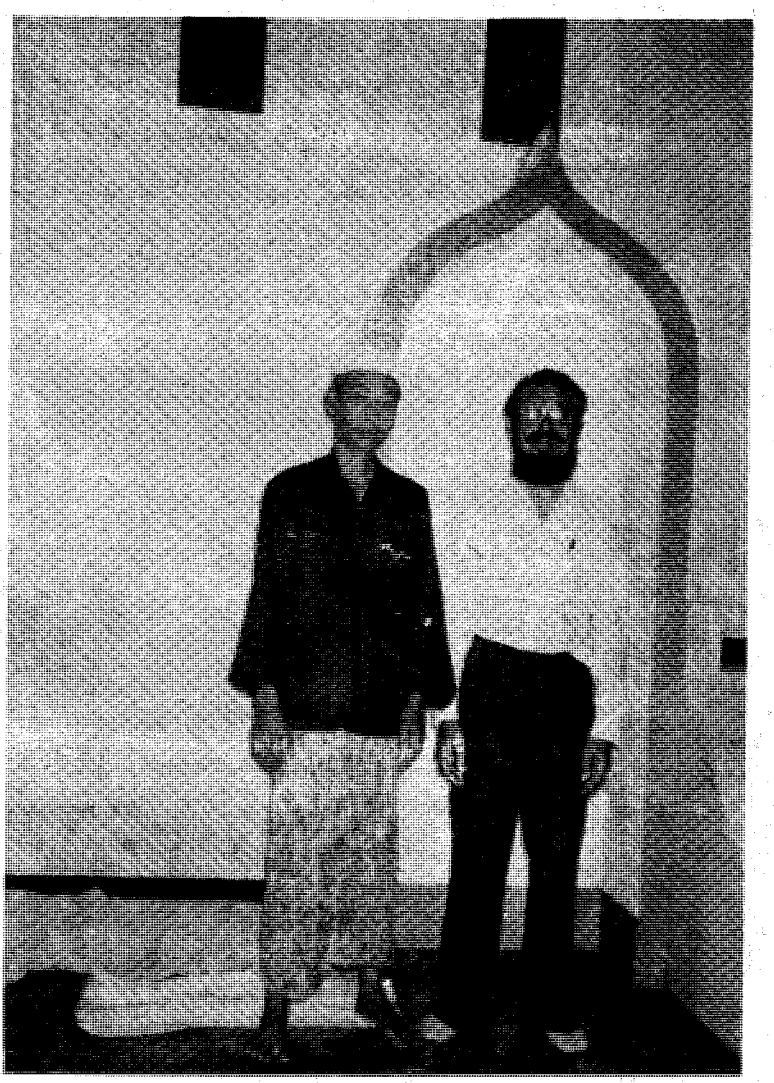

مع إمام مسجد جامع الإسلامية بمدينة هوشي منه

مصر لمن يملكون ثمنها بخلاف هذه البلاد، وتعجبت من كثرة السكان الذين ضاقت بهم شوارع هذه المدينة وكأنهم لم يحاربوا من قبل ولم تقتل الحرب منهم أعداداً كبيرة، وتذكرت أن سكان مدينة (هوشي منه)

وحدها هم أربعة ملايين ونصف وأن عادة هذا الجنس الأصفر هي الإكثار من النسل.

ومررنا بحي يسمى (ني يو) متوسط أي ليس بالرديء ولا بالجيد كالذي فيه فندقنا الذي لم تنفعه جودته القديمة عند رداءته الجديدة بسبب الإهمال الناتج عن قلة المال والأعمال عند سائر الناس.

ومنازل حي (ني يو) هذا مبنية من الإسمنت لأن هذه المدينة كانت عاصمة لفيتنام الجنوبية وكانت مزدهرة من الناحية التجارية والاقتصادية.

أحد الميادين الكبيرة بمدينة هوشي منه ويقع أمام قصر الحكم سابقاً

وفي هذا الحي ميدان غير واسع اسمه على اسمه، وقد لاحظنا كثرة الميادين في هذه المدينة إلا أنها غير بالغة السعة، وذلك لكونها أنشئت قبل التطور الأخير الذي استمر في البلدان الرأسمالية الحرة، ووقف بل تجمد في البلدان الشيوعية.

كما مررنا بأماكن مستديرة وهي الواسعة كالميادين الصغيرة ولكنها تكون مفروشة بالأعشاب ومزينة بالزهور يجعلونها في مفارق الطرق المتشعبة يستغنون بها عن إشارات المرور لأنه ليست في بلدتهم جسور للسيارات.

ولمناسبة الحديث عن المرور أقول: إن أكثر المفارق غير المستديرة يكون فيها شرطة للمرور يديرونه بالإشارة بأيديهم، وذلك لعدم الجسور كما قدمت.

## سوق شعبي:

مررنا بسوق شعبي مزدحم فأوقفنا السيارة ونزلت أصور ما فيه من أناس وبضائع ولكن المصورة خانتني فلم ينجح الشريط الذي صورت فيه.

والسوق الشعبي هذا أكثر ما فيه الأطعمة من خضروات ولحوم وبقول، وكل ذلك غض طري، وذلك لقلة الثلاجات الضخمة التي تحفظ فيها الأغذية أو لانعدامها عند التجار، فرأينا الموز فيه أنواعاً منوعة، وهذا ليس بعجيب لأن البلاد حارة رطبة، وهذه هي أمنية أشجار الموز.

كما رأينا لحماً عندهم من لحم الماعز الذي ذبح لتوه يبيعون

الكيلو الواحد منه بـ ١٨ ألف دونغ أي بدولار وثلث أو نحو خمسة ريالات سعودية.

ولحم البقر يباع الكيلو منه بـ ١٦ ألفاً، والدجاجة الواحدة بـ ١٤ ألفاً أي حوالي الدولار، والأرنب عندهم بكثرة يباع الكيلو منه بـ ٣ آلاف دونغ أي أقل قليلاً من ربع الدولار وهناك خضروات غريبة وأشياء معروفة الإسم مجهولة الرسم عندنا مثل ثمار التمر الهندي الطازجة وثمار الكاكاو الطازجة أيضاً، وهي في نهاية الرخص ومثل عروق الزنجبيل الطرية، وقل مثل ذلك عن الليمون (البنزهير) والبصل الصغير وكل البصل الذي رأيته هنا صغير وليس في جودة بصلنا، وثمن الكيلو منه ٨ آلاف دونغ أي أقل قليلاً من ثلثي دولار، وكذلك الثوم كالموجود عندنا وهو بعشرة آلاف دونغ أي حوالي ثلاثة ريالات سعودية للكيلو الواحد.

وهم كسائر أهل جنوب شرق آسيا يعتبرون من أكلة الثوم المكثرين حتى يتضايق الزائر لبلادهم من ذلك، وأذكر أنني كنت في كوريا أتضايق من رائحة المصعد عندما أدخله فأجد رائحة الثوم قد صبغته مع أنه ليس فيه أحد، ولكن كان الذين استعملوه قبلي يأكلون الثوم بكثرة.

وفي السوق لحم خنزير كثير لم يرض أخونا ومترجمنا الشيخ محمد يوسف أن نقف عنده أو أن نسأل عن ثمنه استقذاراً له، مع أننا نعرف أن القوم من أكلة لحم الخنزير، وذلك لسهولة تربية الخنازير في مثل هذه البلاد الخضراء الكثيرة القمائم المتولدة من أوراق الأشجار المتساقطة على المستنفعات والأراضي الندية التي تألف الخنازير أكلها كما تألف أكل القمائم.

ويقع هذا السوق في حي اسمه (آن دونغ) أي الشرق الآمن فآن آمن، ودونغ تعني الشرق.

وبيوت هذا الحي كسابقه من الإسمنت من طابقين وطابق واحد مسنمة السقوف اتقاء للمطر الكثير في هذه البلاد المطيرة.

وبعض البيوت المجددة هي من لبن الإسمنت لأنها بنيت أو جددت في هذا العهد الشيوعي الذي لم تبقَ فيه ثروة بيد أحد من الشعب.

وفي آخر هذا الحي كنيسة تبدو مبنية على طراز بعض الكنائس الموجودة في فرنسا، وذلك لكونها بنيت إبان الاستعمار الفرنسي لهذه البلاد.

وعلى ذكر الكنيسة نقول: إن نسبة النصارى في هذه البلاد لا تتجاوز ٤٪ رغم جهود المنصرين في زمن الاستعمار الفرنسي ثم في زمن التحالف مع أمريكا، ومع ذلك فإنهم موجودون، وكنائسهم موجودة، ويعرف بعض المثقفين الكبار السابقين الذين تسلموا وظائف عالية بأنهم كانوا من المسيحيين، لأنهم هم الذين أتيحت لهم فرص التعلم والمهارة في عهد الاستعمار.

## طريقة طريفة:

من ألطف ما رأيته في زحام الدراجات النارية وغيرها من الدراجات الركشاوية والهوائية أن رجلاً راكباً على دراجة نارية ليس لها صحن توضع فيه الأشياء الثقيلة، وحتى لو كان فيها مثل ذلك الصحن

فإنه لن يتسع لما معه، وذلك أن الذي معه هو إطارات من إطارات السيارات غير المنفوخة، فما كان منه إلا أن أدخلها واحداً فوق الآخر من رأسه إلى أسفل بطنه فصارت حول جسمه حلقات متتابعة، وقد استطاع بهذه الطريقة أن يحملها على دراجته وإن شئت التظرف قلت: إنه حملها على جسمه وهي مع جسمه محمولة على دراجته، وهذا من لطيف الحيلة.

هذا وقد ظللنا فترة نسير في داخل هذه المدينة الكبيرة التي وان لم تكن من عمالقة المدن فإنها من أكثرها دراجات بدون شك، إن لم تكن أكثرها بالفعل وأقول هذا أنا الذي رأيت العالم كله تقريباً في أي اتجاه اتجه المرء إليه من الكرة الأرضية.

ولاحظت أن اللافتات مكتوبة بلغتهم الفيتنامنية ذات الحروف الغريبة التي قد تشبه على البعد بعض الحروف الصينية ولكنها غيرها. بل لا صلة لها بالصينية، وفي بعض الحالات يكتبون اللافتة بالإنكليزية وتحتها اللغة الوطنية. وهذا قليل.

أما اللغة الفرنسية لغة المستعمرين السابقين فإنه لم يبقَ منها من اللافتات شيء.

وعندما أمعنا في ضواحي المدينة قلت للشيخ محمد يوسف مرافقنا والمترجم لنا: إنني أعتقد أننا ذاهبون الآن جهة قرية (نام بو) التي هي قرية مسلمة للمسلمين الفيتناميين الأصلاء الذين هم من الجنس الفيتنامي الغالب على هذه البلاد فقال: هذا صحيح، هذه هي جهتها، فقلت له: ألا نستطيع أن نذهب الآن إليها لأنها لا تبعد عن مدينة (هوشي منه) إلا بـ ٢٧ كيلو متراً وهذه السيارة معنا؟

فقال: وهذا أيضاً صحيح، ولكننا لا نستطيع أن نذهب إليها، لأنها خارج المدينة، ولا يستطيع أحد من الأجانب أن يذهب خارج المدينة إلا بإذن، ونخاف نحن من الحكومة إذا ذهبنا بدون إذن، وكنت أردت أن نزور أولئك الإخوة المسلمين الفيتناميين ونشجعهم ونقوي الصلة بهم عسى أن يكون في ذلك ما يكون سبباً في دخول أناس جدد من بني قومهم في الإسلام خاصة إذا ساعدناهم على توسعة مسجدهم، أو على إرسال مدرس أو مدرسين لهم لتدريس صغارهم وإرشاد كبارهم وترجمة الموضوعات الإسلامية المهمة إلى لغتهم التي هي لغة الأكثرية من أهل البلاد.

## حي كاي فو:

مررنا بحي شعبي آخر ذي منازل متصلة وأحياناً تكون متلاصقة اسمه (كاي فو) وهو حي شعبي أكثر ما فيه ظهوراً بسطات أي بضائع قليلة تعرضها النساء للبيع كما هي العادة في الأحياء الشعبية في بلاد الصفر في جنوب شرق آسيا كله، وفي البلدان الإفريقية. والحوانيت متصلة في الشوارع وأكثرها كما أخبروا مملوكة لسائر الناس والمراد بذلك أن البضائع التي فيها هي ملك لأشخاص وليس للحكومة. وإن كان بعض أهل الحوانيت هذه إنما هم بمثابة وكلاء البيع للحكومة التي تحتكر الاستيراد والتصدير كما تحتكر المشروعات الكبيرة من الصناعة والزراعة.

ولاحظنا أن الزفت في الشوارع ليس في حالة جيدة كما هي في قلب المدينة التجاري مثل الحي الذي فيه فندقنا، فذلك شوارعه جيدة لزفلتة.

وكذلك الأرصفة التي تكون في أكثر الأحيان موجودة ولكنها على حالة رديئة من بعد عهدها بالصيانة والعناية.

## حي نام كاو:

تركنا الشارع العام الذي كنا نسير فيه في حي (نام كاو) الذي وصلنا إليه بعد (كاي فو)، ودخلنا في شارع فرعي يسمى (ين تن) وذلك من أجل الوصول إلى مسجد السعادة الذي يسكن حوله ما لا يقل عن ستمائة من الأخوة المسلمين.

ويكثر الصينيون في حي (نام كاو) يظهر ذلك واضحاً من وجود الطلاسم وهي تماثيل منحوتة، وجمل مكتوبة بالصينية يضعونها على بيوتهم من أجل حمايتها من الأضرار، وهم بطبيعة الحال من الصينيين الكفار.

ولكن بيوتهم صغيرة حقيرة فتجد البيت وأغلبها من لبن الإسمنت من طابقين لا يزيد عرضه على الشارع عن أربعة أمتار أو ثلاثة، وفوقه طابق مثله، ويستعملون الشرفات في البيوت كثيراً وأغلبها مكشوفة ليس لها حيطان إلا قضبان من الحديد تمنع السقوط، وذلك من أجل ألا تحجب الهواء الذي يكون رطباً في الصيف وحتى في هذا الفصل الذي يعتبر بارداً لا يكاد المرء يستغني عن المروحة أو المكيف، غير أن المكيفات والمراوح عندهم تكاد تكون معدومة بسبب الضيق الاقتصادي الذي فرضه عليهم الشيوعيون، وأما لباسهم فإنه لا يبعد عن ذلك فأكثرهم ـ والمقصود بهم الصينيون من سكان هذا الحي ليس على القسم الأعلى من أجسامهم شيء من اللباس بسبب

الحر وعدم المبالاة، وأطفالهم الصغار شبه عراة.

**مسجد السعادة:**

وجدنا في الاستقبال عند وصول المسجد طائفة من الإخوة المسلمين من أهل الحي الذي ذكروا أن فيه ستمائة من المسلمين على رأسهم رئيس جمعية المسجد الأخ (الحاج عثمان) ولم يستطيعوا أن يزيدوا في اسمه على (الحاج عثمان) مع أن وصفه بالحاج قد اكتسبه بعد أن كبر وأدى فريضة الحج، وقالوا: هذا هو اسمه الكامل عندما سألتهم عن اسمه الكامل.

وفيهم أيضاً الأخ (محمد يوسف) خازن جمعية المسجد.

حدثنا عن بناء المسجد بأن ذلك كان في عام ١٩١٨ م وأنه بني في ذلك التاريخ لأول مرة يعني أنه لم يكن في مكانه مسجد قديم صغير جددوا بناءه.

وذكروا أنه بني من التبرعات ـ وهذا ظاهر ـ ولكن أي تبرعات، قالوا: إن بناءه وكذلك الإنفاق المتكرر عليه وعلى مدرسة إسلامية إنما هو من (خيرات) المسلمين.

وكلمة (خيرات) يراد بها هنا تبرعات أو صدقات، فسألتهم من أين لهم الصدقات وهم فقراء؟ فأجابوا: بأنها ليست منهم وإنما هي من إخوانهم المسلمين المهاجرين في فرنسا يرسلون إليهم الخيرات قبيل شهر رمضان من أجل توفير طعام الإفطار لفقراء المسلمين، كما يرسلون إليهم التبرعات للإنفاق على المسجد.

ولا شك أن ذلك قليل كما أخبرونا وأنه لا يفي بالحاجة ولكن هو الذي باستطاعتهم الحصول عليه.

كما ذكروا أنهم يستعينون أيضاً بتبرعات محلية صغيرة من المسلمين الموجودين في الحي على قلة ذات اليد عندهم.

وأخبرونا أن عدد المصلين في المسجد يوم الجمعة يتراوح ما بين ٦٠ إلى ٧٠، وفي الأوقات المفروضة المعتادة ١٥ إلى ٢٠.

وهذا قليل بالنسبة إلى عدد المسلمين هنا، ولكن بعضهم بعيد عن المسجد، وبعضهم أثرت فيهم التربية الشيوعية القائمة على الإلحاد.

ولذلك عندما سألتهم عما إذا كان المسلمون يزيدون، ذكروا أنهم لا يزيدون وأنهم لا يعرفون أن أحداً من جيرانهم الصينيين الكفار دخلوا في الإسلام.

ولا شك أن السبب في ذلك هو ضعفهم في الدعوة، وتدني أحوالهم الاقتصادية الذي يجعل الناس من غير المسلمين ينظرون إليهم وكأن دينهم دين الفقر والتخلف، وإلا فإن الفقر وحده ليس مانعاً من الدعوة إلى الإسلام ولا صاداً عن الدخول فيه، لأن كثيراً من المسلمين الفقراء ذوي البصيرة في الدين قد ادخلوا اعداداً من الناس في الإسلام حتى من الأغنياء.

وذلك بتمثلهم الإسلام حقيقة ثم بتمثيلهم له أمام الناس قولاً وعملاً واعتقاداً ونشاطاً في الدعوة إلى الله.

أحضر هؤلاء الإخوة الكرام دفتر الزيارات الخاص بالمسجد

والمدرسة فلم أرَ فيه ولا كتابة واحدة بالعربية، وليس فيه ذكر لأي شخص عربي زارهم قبلنا، مما جعلنا نعتقد أنهم منسيون أو كالمنسيين من إخوانهم المسلمين في الحواضر الإسلامية.

ولذلك سألتهم عما إذا كانوا قد تسلموا تبرعات من اخوانهم المسلمين من خارج البلاد غير قومهم الفيتناميين؟ فأجابوا أنهم لم يتسلموا أي شيء إلا أنهم يذكرون أن رابطة العالم الإسلامي كانت قد أرسلت قبل ٩ سنين عشرة آلاف دولار أمريكي تم توزيعها على المساجد والمؤسسات الإسلامية في فيتنام.

## المدرسة الإسلامية:

وبجانب المسجد مدرسة إسلامية في مقر متصل بالمسجد بل هو جزء منه رأيناً فصلاً فيه مقاعد خشبية جيدة وسبورة عليها كتابة بالعربية مع أننا جئنا إليهم دون موعد مسبق، وإن كانت الكتابة تدل على عدم معرفتهم بالشهور العربية وهي. السبت ٤ ربيع الآخر ١٤١١ هـ، بسم الله الرحمن الرحيم:

وتحت ذلك بالعربية أيضاً، الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، قبلنا ودون معرفةٍ ربنا.

يراد أنهم قبلوا بالإسلام ديناً دون أن يروا الله سبحانه وتعالى، وهذا مثل قول العامة في بلادنا: (الله ما شيف بالعين لكن عرف بالعقل)، وشيف: رؤي.

أخبرونا أن تلاميذ المدرسة عددهم (٥٠) وهم مختلطون ما بين

الذكور والإناث، وعدد المدرسين ثلاثة، ومع ذلك يعانون صعوبة في توفير الرواتب للمدرسين ويستعينون على ذلك ببعض ما يدفعه القادرون من أولياء أمور الطلبة.

ورأيت سبورة أخرى قد كتب عليها بالحروف العربية (لا كاو فاتحه) ذكروا أنها من لغة تشامبا وأن معناها قراءة الفاتحة على أرواح الموتى من المسلمين.

وقد تجولت في الحي بعد ذلك وألح عليَّ طائفة من الأطفال عندما رأوا المصوِّرة بيدي في التقاط صورة لهم وانضم إليهم بعض النسوة، وصفقوا عندما لمع نور المصورة ورقصوا فرحاً كما يفعل بعض الإفريقيين.

ولاحظت أن في هذا الحي كما في أكثر الأحياء الشعبية شبهاً كبيراً بأحياء التايلنديين، فالنساء يطبخن الطعام في الشارع يبعنه على المارة، ومن ذلك: قالية الموز وهي التي تبيع الموز المقلي بالزيت حاراً، بل إنها تقليه أمامك وهو رخيص ولذيذ اشترى أحد الإخوة المرافقين لنا شيئاً منه.

وهو منظر مألوف في أكثر بلدان تايلند، بل هو مألوف في أكثر البلدان الاستوائية في آسيا وإفريقية.

وهنا لا بد للسائح أن ينظر في وجوه الناس ليقارن في نفسه بينها وبين من رآهم قبل ذلك، فكانت المقارنة أن البائعات لسن على شيء من الجمال وأن عيون الناس هنا صغيرة تكاد تختفي من وجوههم عند الضحك بل حتى عند الابتسام.

ويبعد هذا الحي ٨ كيلات عن فندقنا، وكل ذلك عبر شوارع مكتظة بالناس والدراجات، لذلك استغرق وصولنا إليه من الفندق ٥٠ دقيقة.

أمام مسجد جامع الإسلامية بمدينة هوشي منه حيث يقع المسجد على شارع رئيسي بالمدينة

كررت السؤال عن قرية (تام بو) قرية الفيتناميين المسلمين الأصلاء التي ذكروا أن فيها مسجداً لهم، وأنها تقع إلى هذه الجهة التي فيها مسجد السعادة هذا، ولكنها خارج مدينة (هوشي منه) فذكروا صعوبة الوصول إليها لأنه لا بد من إذن من حكومة فيتنام التي تحظر على الأجانب أن يغادروا العاصمة إلى البلدان التي تقع خارجها إلا بإذن خاص، ذكروا عائقاً آخر وهو أن طريق السيارات التي يذهب

جهتها لا يصل إليها وإنما ينقطع قبل الوصول إليها بثلاثة كيلوات لا بد للمسافر أن يقطعها على قدميه لأن السيارات لا تستطيع السير عليها.

وقال آخرون: إن هناك طريقاً آخر بعيداً يحتاج فيه إلى ركوب قوارب في النهر.

## إلى حي نونيغ تاي:

ويبعد عن مسجد السعادة هذا بثلاثة كيلو مترات ويعتبر في وسط مدينة (هوشي منه)، والقصد من ذلك زيارة مسجد كبير هناك، ذهبنا إليه مع شارع واسع ذي اتجاهين تفصل بينهما جزيرة فيها حشائش وحشية أي غير مزروعة ومع ذلك هي مهملة.

واشتد الزحام كالعادة من الدراجات بأنواعها في هذه الشوارع ولكن الملاحظ أن عدم السرعة هو الغالب عليهم سواء من كان منهم على سيارة مثلنا وهو قليل أو من كان على دراجة نارية.

وصلنا للجامع الذي يقع على شارع مهم اسمه (ون داي) فوجدنا اسمه عليه بالعربية (جامع المسجد)، ويراد بذلك (مسجد الجامع) أو (المسجد الجامع) وتحته بالعربية ١٣٥٥ هـ، ١٩٣٢ م. وفوق ذلك البسملة أي (بسم الله الرحمن الرحيم)، ولكنها غير مكتوبة بالحروف وإنما بالأرقام التي ترمز إليها وهي (٧٨٦)، وهذه عادة رأيتها مستعملة كثيراً في بورما، حيث يكتب المسلمون على الأبنية الضخمة التي يملكونها هذه الأرقام (٧٨٦) التي تعني (بسم الله الرحمن الرحيم) بحساب الجمل.

والمسجد فخم المظهر له أربع مآذن عالية وقبة، وقد بناه الهنود كما كانوا قد بنوا المسجد الأول الذي رأيناه، فهذا هو ثاني مسجد لهم في هذه المدينة (هوشي منه) التي كانت تسمى (سايقون) في السابق، وليس لهم مسجد ثالث.

ومصلاه الرئيسي مستطيل كما هو طابع المساجد في هذه البلاد بأن يبنوها مستطيلة نوعاً ما وليست عريضة أو مربعة كما يفعل بعض الناس في مساجدهم، وبجانبه بركة للوضوء مليئة بالماء على عادة أهل الهند وبخاصة في الجنوب هناك حيث أكثر المسلمين يتمذهبون بمذهب الإمام الشافعي، وفيه رواق خارجه يصلى فيه أيضاً إذا امتلأ المسجد بالمصلين مع أنهم أخبرونا أن عدد المصلين قليل بالنسبة إلى ضخامة المسجد، وبالنسبة إلى عدد المسلمين الذين كانوا موجودين في هذه البلاد قبل استيلاء الشيوعيين على الحكم، إذ رحلوا مثلما رحل غيرهم من التجار وأرباب الأموال.

عقدنا جلسة مفيدة في داخل المسجد مع رئيس جمعية المسجد الأخ محمد صالح بن يوسف وهو موظف حكومي يعمل في الكهرباء وإمام المسجد (حاجي محمد إدريس بن يوسف)، وهو ليس أخاً للأول، وعدد غيرهم من المسلمين.

ذكروا أن المسجد يحتاج إلى إصلاح فسقف الرواق يكف أي ينزل منه المطر، كما يحتاجون إلى إصلاح آخر مجموعه (٢٠) مليون دونغ ويساوي ذلك ألفاً ومائة دولار أمريكية، وأنهم عاجزون عن توفير هذا المبلغ، مع أن المسجد كانت له أوقاف كثيرة منها خمسون بيتاً، ولكن الحكومة الشيوعية صادرتها وأسكنت فيها أناساً من الذين تقول إنهم لا بيوت لهم مع أن توفير حاجتهم من البيوت من مسئولية هذه

الحكومة التي تعلن أنها شعبية جاءت لتوفير ما تحتاجه عامة الشعب من مأكل وملبس ومسكن، وقد وعدناهم بإرسال هذا المبلغ من رابطة العالم الإسلامي وبأننا سوف ندفع مبلغاً رمزياً من المال لمساجد هذه المدينة سنسلمه للجمعية الإسلامية هنا غداً، أما الإمام الأخ (محمد إدريس يوسف) فيتقاضى راتبه من (الخيرات) كما يقولون أي من التبرعات، وهو ذو مظهر جاوي فهو من قبيلة تشامبا ويضع (غترة) على كتفه.

وقد أخبرونا أن الذين يصلون الجمعة فيه لا يزيدون على ٤٠ والصلوات اليومية ١٠ مصلين، وذلك لكون المسلمين الهنود الذي كانوا يسكنون في هذه المنطقة الغالية من وسط المدينة قد رحلوا ويصلي الآن فيه أخوة من (تشامبا) القبيلة المسلمة المشهورة في هذه البلاد.

وللمسجد فناء مكشوف غير واسع ولكنه مظلل بأشجار ضخمة باسقة رأيت تحت أحدها عجوزاً من المسلمات قد جلست فوق أرجوحة معلقة في غصن قوي من أغصان الشجرة ما أن رأت أننا وصلنا إليها حتى بادرت بتغطية رأسها وشعرها، أما الحجاب بمعنى تغطية الوجه فذلك غير موجود في هذه البلاد بين المسلمات، بل غير موجود في المنطقة كلها.

## إلى المسجد المبارك:

انتقلنا في وسط المدينة مع شوارع واسعة ذات أشجار باسقة وسوق ـ جمع ساق ـ غليظة، ومع الزحام المعتاد من الدراجات ومن الأناسي.

ووسط المدينة مُعتنى به، فالزفت جيد في أرض شوارعه وإن كانت الأرصفة فيها ليست بذاك، ومررنا فوق جسر كبير على نهر (بن دونغ) والنهر نفسه ضخم، ومع ذلك فهو ليس بالنهر الذي أسست عليه المدينة ذاك نهر أكبر منه اسمه (نهر سايقون) سوف يأتي الكلام عليه عندما نصل إليه بإذن الله.

ومع وجود هذا النهر الخضم الذي يشعر بالغنى ووفرة المياه، فإن البيوت التي على ضفافه على عكس ذلك فهي بيوت من الخشب الذي اسود من القدم ومن الصفيح الذي احمر على الدهر حتى صار اللون غير البهيج هو الغالب على الجميع.

وأما البيوت التي خلف هذه البيوت الواقعة على ضفافه فإنها مبنية من الإسمنت أكثرها من طابق أو طابقين، ولكنها غير بهيجة أيضاً فأكثرها قد بهت طلاؤه وذهب رونقه.

وأردت أن تقف السيارة فوق الجسر من أجل تصوير النهر فذكروا أن الوقوف فوق الجسر ممنوع.

نزلنا بعد تجاوز النهر فدخلنا في حي بيوته اسمنتية صغيرة وشوارعه أزقة ضيقة فأوقفنا السيارة ودخلنا نسير على أقدامنا في زقاق من تلك الأزقة حتى وصلنا في رأسه إلى المسجد المبارك وقد كتبوا عليه اسمه بلغة تشامبا ذات الحروف العربية (سوراو مبارك) وبالملايوية بني عام ١٩٦٧ م.

وسوراو: عندهم تعني المسجد الصغير مثلما أن الجامع يعني المسجد الكبير الذي تقام فيه الجمعة أو يصلح لأن تقام فيه الجمعة.

ومع ذلك لم ندخل إلى (المسجد المبارك) مباشرة، وإنما ذهبنا إلى بيت غير بعيد منه وهو لأحد الإخوة المسلمين واسمه (سليمان محيي الدين) وهو نائب رئيس جمعية المسجد وأول ما فيه غرفة

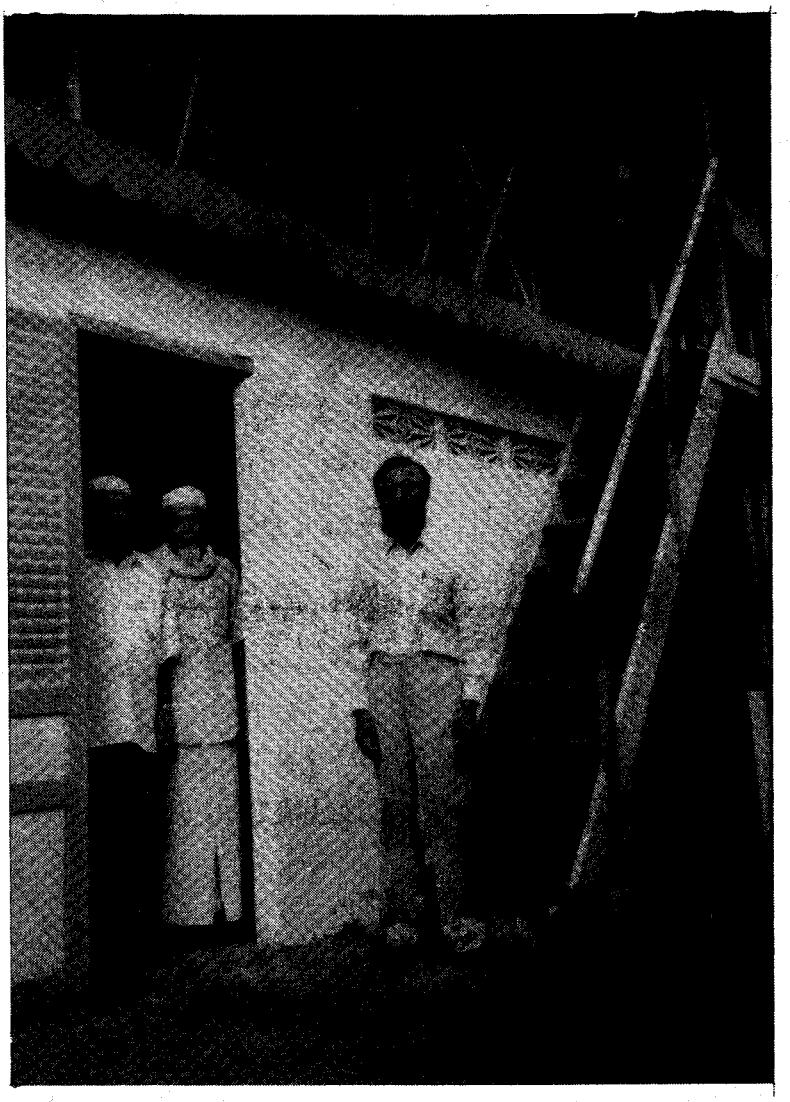

المسجد المبارك

الجلوس التي تقع علي الزقاق مباشرة. وهذه عادتهم في أكثر منازلهم الصغيرة هنا أن يدخل الداخل من الشارع إلى غرفة الجلوس كما يدخل من دخل شقة صغيرة في بناء كبير من الباب الخارجي إلى غرفة الجلوس.

جلسنا لعدة دقائق ننتظر صاحب المنزل فرأيت في منزله لوحات تشهد على أنه منزل مسلم متدين من ذلك الشهادتان بالعربية بخط جميل، وصورة لمسجدين، وقد ذكروا أن الأخ (سليمان محيي الدين) يشتغل بالتجارة، ثم حضر رئيس جمعية المسجد وهو الأخ (عمر بن محمود) والإمام الحاج يعقوب بن عبد الله وهو متفرغ للإمامة في هذا المسجد وليس له عمل آخر.

بحثنا معهم بعض شؤون المسجد فذكروا أنهم لم يتسلموا أية مساعدة من الخارج إلا ما كانوا يتلقونه من أبناء وطنهم المسلمين المهاجرين في أوروبا وأمريكا، وكلهم من تشامبا.

ثم انتقلنا لرؤية المسجد فوجدناه في غاية الضيق لا يكاد يتسع لعشرين من المصلين، ومع ذلك ذكروا لنا أنه يصلي فيه الجمعة ما بين ٣٠ إلى ٤٠ ولا أراه يتسع لذلك.

وهو في الطابق الثاني من بناء ضيق له درج من الخشب الواقف يشفق من يصعد منه من الإنزلاق أو عدم استطاعته الصعود لا سيما بالنسبة لكبار السن الذين هم المواظبون على الصلاة في العادة، وهذا من العجب. ومن العجب فيه أيضاً أن الإمام كانت في يده لفافة من التبغ وهو يدخن داخل المسجد وفي حضورنا، ونحن ضيوف من مكة المكرمة لم يمنعه ذلك من التدخين، فطلبت منهم بوساطة المترجم

الإمام الشيخ محمد يوسف أن لا يدخن أحد في المسجد، لأن الدخان له رائحة كريهة عندما لا يتعاطاه مثلنا، كما ينبغي أن ينزه المسجد عنه.

وعلى ذكر الدخان لاحظت أن كثيراً من المسلمين مثل غيرهم من سائر الناس هنا يدخنون كثيراً، وقد أثر الدخان في أفواههم لوناً ومادياً غير محبب، وفي صدورهم التي غدت لها فحيح، وفيها سعال شديد، وربما رجع ذلك إلى سوء التغذية مع الدخان الى جانب ما قد يكون في الدخان الذي تنتجه بلادهم من رداءة أو عدم تنقية مما يزيد من ضرره.

قالوا وهم يأسفون لضيق المسجد: إن بجانبه بيتاً لأحد المسلمين يريد أن يبيعه ونحن في حاجة إليه لتوسعة المسجد ولكن ثمنه غالٍ إنه يطلب (١٥) مليون دونغ. وقد استعظموا ذلك مع أنه لا يزيد على ألف ومائة دولار، فوعدتهم خيراً، ونزلت لأرى هذا البيت فوجدته ضيقاً، ولكن ثمنه بخس فهو لا يتجاوز أربعة آلاف ومائتي ريال سعودية.

دخلنا في الزقاق مباشرة إلى غرفة الجلوس والاستقبال في البيت وهي بعرض البيت كله على الزقاق، لأن عرض البيت ٤ أمتار وطوله ستة أمتار ونصف، أي أن مجموع مساحته هي ٢٦ متراً مربعاً، ومع ذلك هي نافعة للمسجد لأن المسجد لا تزيد مساحته فيما قدرته على ٤٠ متراً مربعاً.

ورأيت في غرفة الجلوس في بيت المسلم هذا زوجته جالسة

وعندها ثلاثة أطفال أصغرهم موضوع في أرجوحة من القماش معلقة في السقف.

وضيقه هذا منسجم مع ضيق الزقاق الذي يقع فيه إذْ لا تتجاوز سعته وإن شئت قلت: ضيقه عن متر الى متر ونصف.

ثم عدنا إلى حيث أوقفنا سيارتنا في الشارع الرئيسي خارج الحي ويسمى هذا الشارع (فام تاهي)، أما الحي فاسمه (رات أن).

وقد ودعنا الإخوة المسلمون الذين تجمهروا علينا لأنهم عرفوا بقدومنا بسرعة بسبب ضيق الحي وقلة من يأتي إليهم من الأجانب.

ولم أرد الإنصراف عن هذه المنطقة إلا بعد الوقوف على ضفة

جسر على أحد أنهار مدينة هوشي منه (سايجون)

هذا النهر التي يقع الحي فيها على سوء حالته وحالة أهله من الناحية الاقتصادية.

فذهبنا نسير على أقدامنا حتى ضفة النهر لأن السيارة لا تصل إليها لضيق الطريق بين البيوت وعدم وجود الزفت فيه.

فوجدته كما رأيته من فوق الجسر عريضاً ضخماً جمّ المياه ووجدت مجاري المياه الخبيثة الخارجة من البيوت تصب فيه.

وقال لي الشيخ محمد يوسف: إننا لا نشرب منه، إن مياه الشرب تأتي من نهر (داون تاي) خارج المدينة، وأهم ما هو ظاهر فيه هو أن البيوت التي تقع على ضفافه مرفوعة عن الماء بخشب وبعضها نصفها فوق الماء، ونصفها فوق اليابسة، ولكنها كلها مرفوعة بأخشاب عن الأرض أو عن الماء.

ولمناسبة إعجابي بهذا النهر وغزارة مياهه مع أنه ليس النهر الرئيسي في المدينة قال لي الشيخ محمد يوسف: إنه توجد في منطقة (هوشي منه) عشرة أنهار.

ووقفنا بعد ذلك في شارع اسمه (يان باناك) واقع في حي (تي بانغ) من أجل التصوير وملاحظة الناس، ولأنهم أخبرونا أن أكثر سكان هذا الحي هم من المسلمين.

ولم يضف هذا إلى معلوماتنا إلا تأكيد كون مدينة (هوشي منه) مدينة واسعة، وأنها لو قدر لها أن تخلع عنها قيود الشيوعية فإنها سيكون لها مستقبل اقتصادي باهر.

## جامع الأنور:

كان الذهاب بعد ذلك إلى (جامع الأنور)، حيث وقفت سيارتنا في شارع رئيسي غير واسع، دخلنا منه إلى زقاق ضيق لا يتسع لمرور السيارة، ومع ذلك هو في غاية السوء من حيث عدم النظافة والعناية، وتقع عليه بيوت صغيرة من الخشب الرديء سقوفها من القش، وقد تكون لبعضها أساسات من لبن الإسمنت، ومع ذلك كله فهي مهملة إهمالاً ظاهراً يظهر ذلك من عدم ترميمها أو إصلاحها مما يدل على الفقر وضيق ذات اليد.

ونفدنا من ذلك الزقاق الضيق إلى زقاق آخر أقل منه ضيقاً. ولكن رأينا فيه ما يدل على أن سكانه من الفقراء وإن لم نكن في حاجة إلى دليل وهي مقادير من قشور جوز الهند التي هي ثمار النارجيل قد نشروها على الأرض لتجف ثم يستعملوها للوقود، وكذلك رأينا فيه حزماً من سعف النارجيل معدة للوقود.

ثم وصلنا الجامع (جامع الأنور) فوجدنا طلبة المدرسة الملحقة به، بل الواقعة في جانب منه وهم يخرجون من المسجد بعد أن أدوا صلاة الظهر وهم بمظاهرهم الإسلامية التي من أهمها عندهم أن يكون على الرأس غطاء من قلنسوة (طاقية) أو نحوها وعلى أساتذتهم قمص عربية طويلة كالقمص التي نلبسها نحن في بلادنا.

واحتجت إلى وضوء فأخذوني إلى مضخة أرضية يدفع الماء منها باليد يرفعها رجل منهم ويخفضها فيصب منها الماء، فصلينا الظهر والعصر جمعاً في المسجد وحدنا.

ثم تأملته بعد الصلاة وهو مستطيل إلا أنه بجميع مساحته لا يعد

كبيراً، والمراد بذلك المصلى خاصة، وإلا فإن المسجد كله ليس صغيراً، إذ له أروقة محيطة به، منها رواق تشغله مقاعد للمدرسة الإسلامية، وقد كتبوا على محرابه بخط عربي جيد، (بسم الله الرحمٰن الرحيم، وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا).

أما سبورة المدرسة فإن عليها كتابة بالحروف العربية ولكنها بغير العربية قال بعضهم: إنها باللغة الملايوية ولا أدري معنى هذا إلا أن تكون بلغة تشامبا التي يقول بعضهم بوحدة أصلها مع شعب الملايو على اختلاف بين الناس فيما إذا كان أهل تشامبا قد جاؤوا إلى هذه المنطقة الواقعة بين ما يعرف الآن بأنه الحدود بين فيتنام وكمبوديا في أزمان قديمة، أم أن أهل الملايو كان طائفة منهم من أهل تلك المنطقة في الأصل، وانتقلوا إلى الملايو بعد ذلك، وقد سبق ذكر ذلك.

قابلنا نائب رئيس جمعية المسجد الأخ سليمان بن محمد وهو من تشامبا وأخبرونا أن رئيس الجمعية وإمام المسجد ليسا موجودين الآن، ولكن نائب الإمام وهو الأخ محمد صالح كان موجوداً، وهو الذي أخبرنا والقوم يسمعون أن عدد المصلين في هذا الجامع يوم الجمعة يتراوح ما بين ٦٠ إلى ٧٠ مصلياً وفي الأوقات المعتادة ٣٠ مصلياً.

والواقع أننا رأينا تصديق ذلك في عدد المصلين الذين حضروا الصلاة بعد الظهر هذا اليوم.

التف علينا طائفة من الإخوة المسلمين وحدثونا أن (الجامع الأنور) هذا بني بناءه الحالي في عام ١٩٨٥ م وأنه كان في مكانه قبل زمن مسجد صغير، وأنه كان قد جدد في عام ١٩٦٤ م. وأخبرونا

بشيء مهم هو أنه قبل ٤٥ سنة لم يكن في هذا الحي ولا منطقته أحد من المسلمين الذي هم من مواطني فيتنام ويقصدون بذلك بالدرجة الأولى المسلمين من أصل (تشامبي) وإنما كان هناك مسلمون من أهل الهند ولكنهم رحلوا عن البلاد.

ثم انتقل المسلمون هؤلاء وسكنوا هذا الحي وعدداً من الأحياء وأمثاله في مدينة (هوشي منه) جاؤوا إليها من منطقة الحدود بين كمبوديا وفيتنام التي هي منطقة تشامبا.

وقد عزموا علينا أن نبقى قليلاً عندهم وفرشوا حصيراً على الأرض جلسنا عليه معهم وانتهزت هذه الفرصة للحديث معهم في أمور دينهم وفضل من تمسك به مثلهم رغم الصعاب من قلة الأنصار، ونقص الأموال وضعف الوسائل. وقلت لهم: إنني أرجو أن يكتب لكم أجر القابض على دينه في آخر الزمان الذي قال فيه رسول الله ﷺ: سيأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر، له أجر خمسين، قال الصحابة: منا أم منهم؟ قال: بل منكم.

أي له أجر خمسين من صحابة رسول الله ﷺ، وكفى بذلك أجراً، بل فخراً وقدراً.

وقد شددت على وجوب تربية أولادهم تربية إسلامية لأنهم عماد المستقبل ولأن ذلك أمانة في أعناقهم.

ثم حدثونا عن المدرسة الإسلامية هذه الملحقة بالمسجد فذكروا أن عدد طلابها ٦٠ طالباً وأنهم يدرسون فيها خمسة أيام في الأسبوع.

وبينما كانوا يتحدثون كان بعضهم يحضرون الشراب المثلج

الغالي بالنسبة إليهم وهو الميرندا لأنهم يستوردونه استيراداً كما كانوا يحضرون نوعاً من أنواع الكعك المستدير وهو خاص ببلادهم. وسألتهم عن حاجاتهم العاجلة الملحة مما يتعلق بأمور دينهم، فقالوا: إن سكان الحي من الفقراء ولدينا أرض للمسجد نريد أن نبني عليها بناء مستقلاً للمدرسة. ولكن المبلغ الذي يحتاجه البناء ضخم جداً، إنه عشرة آلاف دولار!

فأخبرتهم بأننا في رابطة العالم الإسلامي مستعدون لمساعدتهم بالمبلغ كله شرط أن يكتبوا طلباً بذلك مصدقاً من الجمعية الإسلامية في هوشي منه أو يسلموه إلينا إلى جانب ذكر الأشخاص المخولين بقبض النقود وانفاقها على البناء، ويجب أن تزكيهم الجمعية الإسلامية لهذا الغرض.

وكنت أنظر إلى موقع المسجد فأجده يقع في ظل ظليل من أشجار باسقة أعلاها أشجار النارجيل وأقصرها أشجار الموز والباباي والعمبة (المانغو).

## جامع الإسلامية:

هكذا اسمه، وربما صح تخريج ذلك بكونه جامع الأمة الإسلامية أو الطائفة الإسلامية، ويقع على شارع (تراون هون داو) من حي (نان تن) الذي هو في القلب التجاري من مدينة هوشي منه. تحيط به الحوانيت التجارية الكبيرة التي تحولت بعد الشيوعية إلى محلات تبيع البضائع التي توزعها الحكومة أو تبيع أشياء صغيرة لا يؤبه لها، لأن التجارة الخاصة التي تعتمد على التصدير والاستيراد غير موجودة

وإنما تقوم بذلك الحكومة. أول ما استرعى انتباهنا عندما دخلناه أن محرابه منحرف عن القبلة قليلاً لخطأ في تحديد القبلة عند بنائه، وقد فرشوا سجادة صغيرة تبين الاتجاه الصحيح للقبلة الذي ينحرف قليلاً عن اتجاه المحراب إلى جهة اليسار، ومثل هذا الأمر وقع في عدة بلدان وأماكن من العالم لا أراني بحاجة إلى تحديدها وإنما أذكر بهذه

مدخل جامع الإسلامية

المناسبة أن الإخوة المسلمين من أهل سورينام، وهم من أهل إندونيسيا في الأصل قد ظلوا لسنوات طويلة يصلون إلى جهة الغرب لأن قبلتهم في بلادهم إندونيسيا هي الى جهة الغرب، فظنوا وهم من العوام الذين جلبهم المستعمرون الهولنديون إلى سورينام من أجل زراعة السكر وغيره أن قبلة سورينام كقبلة إندونيسيا وبنوا مساجدهم على هذا الأساس، وبعد أن وصل إليهم عدد من علماء إندونيسيا في الأزمان الأخيرة نبهوهم إلى أن القبلة في سورينام هي إلى جهة الشرق وليست إلى جهة الغرب، فحولوا مساجدهم إلى الاتجاه الصحيح للقبلة، ورأيت حين زرت سورينام أحد المساجد بمحرابين: الأول يتجه إلى الغرب وقد تركوه وهو القديم والثاني يتجه إلى الشرق وهو الحديث، وقد ذكرت ذلك في كتاب (رحلات في أمريكا الجنوبية).

وفيما يتعلق ببناء هذا المسجد كان قد بني في عام ١٩٤٨ م ولكنه دمر إبان الحرب التي وقعت في فيتنام الجنوبية آنذاك بين حكومتها وبين عصابات الفيت كونج الشيوعية، ولم يكن تدميره مقصوداً من الطرفين، وإنما وقعت عليه قنبلة فدمرته.

وبناؤه الحالي تم من تبرعات من أهل هذه المدينة ومن الإخوة في ماليزيا، وذكروا أنهم يرغبون في بناء طابق ثانٍ فوقه لأنه الآن يضيق بالمصلين لكونه في سوق البيع والشراء وحوله كثير من المسلمين.

وتقع شرقاً منه مدرسة إسلامية أُغلقت بسبب قصور النفقة.

## مسجد الرحيم:

حان موعد الغداء بعد زيارة (جامع الإسلامية) فذهبنا إلى الغداء

في المطعم الإسلامي المعتاد وكان معنا ثلاثة من الإخوة المسلمين أحدهم الشيخ محمد يوسف الذي كان ملازماً لنا للترجمة جزاه الله خيراً.

وكانت قيمة الوجبة لخمسة أشخاص ٥٠ ألف دونج، وذلك أقل من ٤ دولارات أمريكية، وسبب كونه أرخص من الوجبات السابقة أننا لم نطلب فيه شراباً غازياً كالكوكا كولا والميرندا الذي هو غالٍ لكونه مستورداً.

وبعد الغداء توجهنا إلى (مسجد الرحيم) ويقع في ناحية مهمة من قلب المدينة تحيط به الأبنية المتعددة الطوابق، له بوابة خارجية

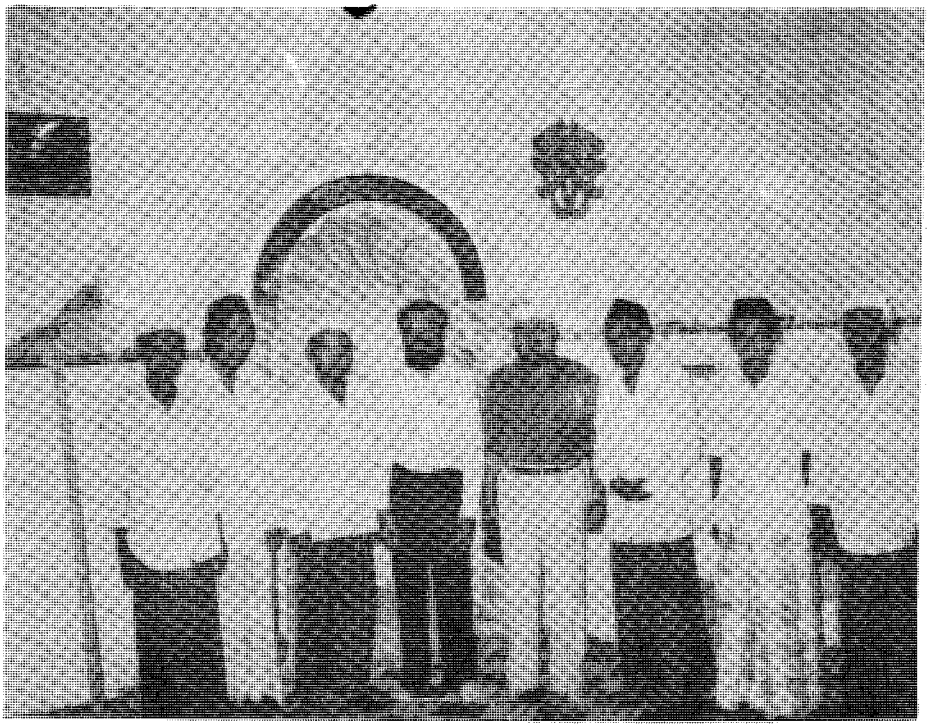

مع إمام وأعضاء مسجد الرحيم بمدينة هوشي منه أمام المحراب

على الشارع تفضي إلى فناء مكشوف ويصعد منه إلى المصلى الرئيسي بدرج قصير فيصل الداخل إلى رواق بعده المصلى.

وقد كتبوا عليه اسمه بالعربية (مسجد الرحيم) وتحته بالإنكليزية (مسجد رحيم أسـو سيشن مسك ١٨٨٥).

## العرب في هوشي منه:

نوهواً بأنه مسجد للعرب والإندونيسيين والماليزيين وهذا أول مسجد بل أول موضع إسلامي يذكر فيه العرب.

وذلك أن العرب كانوا جالية ذات عدد لا بأس به جاء أغلبهم من جيبوتي حيث الاستعمار الفرنسي إلى فيتنام هذه عندما كانت مستعمرة فرنسية فاشتغلوا بالتجارة وأسس كثير منهم أعمالاً تجارية وهم في أغلبهم من أهل اليمن، ولكن عندما استولى الشيوعيون على الحكم في فيتنام وأمموا التجارة - ها العرب كما هجرها غيرهم من التجار الأجانب.

وقد ذكروا لنا أن عدد العرب في هذه المنطقة من المدينة كان حوالي ٢٠٠ شخص وهم كانوا غالبية العرب في المدينة.

وقد جاء إلى المسجد مصادفة ودون ترتيب سابق شاب عربي اسمه (منصور بن أحمد صالح) وهو لا يعرف العربية، ولكن كان الحديث معه بوساطة المترجم، قال الشاب العربي: والدي موجود الآن في صنعاء وأمي إندونيسية الأصل، فيتنامية الجنسية تقيم الآن في الولايات المتحدة الأمريكية وتعمل هناك، تعرف عليها والدي ورزق

بي منها وكلاهما غادر (هوشي منه) وبقيت فيها وحدي، وأنا الآن أعمل بائعاً متجولاً لا يزيد ما أكسبه على لقمة العيش الضرورية.

قال الحاضرون وهو معهم: لم يبقَ من العرب الآن في (هوشي منه) إلا خمسة أو ستة أشخاص، بسبب صعوبات المعيشة في هذه البلاد.

تجولنا في المسجد مع رئيس الجمعية التي تشرف عليه وهو الأخ (حيدر بن سنون) أصله من الملايو والإمام علي بن أحمد ماليزي الأصل أيضاً. فوجدناهم قد تأنقوا في زخرفة المسجد وتزيينه، بخلاف المساجد الأخرى ومن ذلك أن أبوابه الداخلية من الزجاج الذي كتبوا عليه بالعربية لفظ الجلالة (الله) واسم الرسول ﷺ (محمد) والشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، كما علقوا بداخله لوحات عربية عديدة.

ويقع على شارع (تام كي كوي) من المنطقة الأولى في هوشي منه (سايقون سابقاً)، سألتهم عما إذا كانوا قد تسلموا مساعدة على استمرار تسيير أمور المسجد من الخارج فنفوا ذلك، إلا مساعدة قدمت إليهم من رجل مولود في هذه البلاد أبوه عربي وأمه من تشامبا، وذكروا أنه يعمل الآن في جدة في المملكة العربية السعودية.

ورأيت العمال يعملون في ترميم جانب من المسجد، وكل العمال ليس على أجسادهم إلا (تبان) وهو السروال القصير المعروف الآن باسم (شورت) وليسوا من المسلمين.

وقد أخبرونا أن عدد الذين يصلون الجمعة في المسجد (٥٠) مصلياً وفي الصلوات اليومية ٢٢. وذلك لكون المسلمين الذين كانوا

يسكنون قريباً من المسجد في هذا الحي المهم من المدينة وهو حي (رقم ١) قد تركوها إلى الخارج.

وفي جانب منه مدرسة إسلامية لتعليم الأطفال مبادىء القراءة والكتابة بالعربية فيها ٢٥ طفلاً وطفلة.

وتفتح بعض البيوت على فناء المسجد الخارجي ذكروا أنها كلها من بيوت المسلمين ويلعب حولها عدد من أطفال المسلمين من بينهم طفل عريان عمره في حدود السنتين والنصف اعتذروا عن عريه بكونه مختوناً وأرونا ختانه الذي لم يبرأ مكانه بعد.

أحد شوارع مدينة هوشي منه (سايجون)

ومن الطريف أن زوجة الإمام كانت حاضرة مع عدد من الأخوات المسلمات فدعتنا لتناول الغداء، ولم يدعنا لذلك أحد من الرجال فاعتذرنا بأننا قد تغدينا قبل ذلك.

وقد ودعنا جماعة مسجد الرحيم بحفاوة، فذهبنا بعده إلى المطار للمراجعة حول صندوق من أمتعتي تخلف في بانكوك وفيه هدايا للمساجد وللإخوة المسلمين في هذه البلاد أهمها سجاد من سجاد الصلاة، فكان المنظر المتكرر هو فيضان الدراجات في كل اتجاه من الشوارع في المدينة.

وتمتد البيوت المتلاصقة إلى قرب المطار حيث تقل وتكثر الأشجار الضخمة حتى وصلنا المطار وعنده حي قديم أشبه بالقرية التي كانت منفصلة عن المدينة، ولكن عمارة المدينة لحقت بها.

وكانوا يمنعون الدخول إلى قاعات الوصول وينفذون ذلك بصرامة، غير أنني عندما أخبرتهم بغرضي من الدخول أفسحوا لي الطريق وسمحوا بدخولي حتى منطقة وصول الأمتعة بعد الجوازات حيث لم أجد الصندوق، وأخبرونا أنهم تسلموا برقية من مطار بانكوك بأنه موجود لديهم وأنهم سيرسلونه في طائرة الغد بعد الظهر، وقد تسلمته بعد ذلك في الموعد المحدد.

وقد أعجبني تطبيق النظام والحرص على ضبط الأمور في المطار من دون تزمت وتشدد، بل انهم في أكثر تصرفاتهم في مطاراتهم يشبهون الأوروبيين الذين يجمعون بين الحزم والسهولة في ضبط مثل هذه الأمور.

## يوم الأحد ٢٥/٥/١٤١٢ هـ - ١/١٢/١٩٩١ م:
## على نهر سايقون:

ذهبنا ظهراً لرؤية النهر الذي سميت المدينة قديماً على اسمه وهو نهر سايقون وهو كبير في عرض النيل، ومع ذلك ليس هو بالنهر الوحيد في هذه المدينة، بل إن منطقتها تحفل بعشرة أنهار كما سبق نقل ذلك.

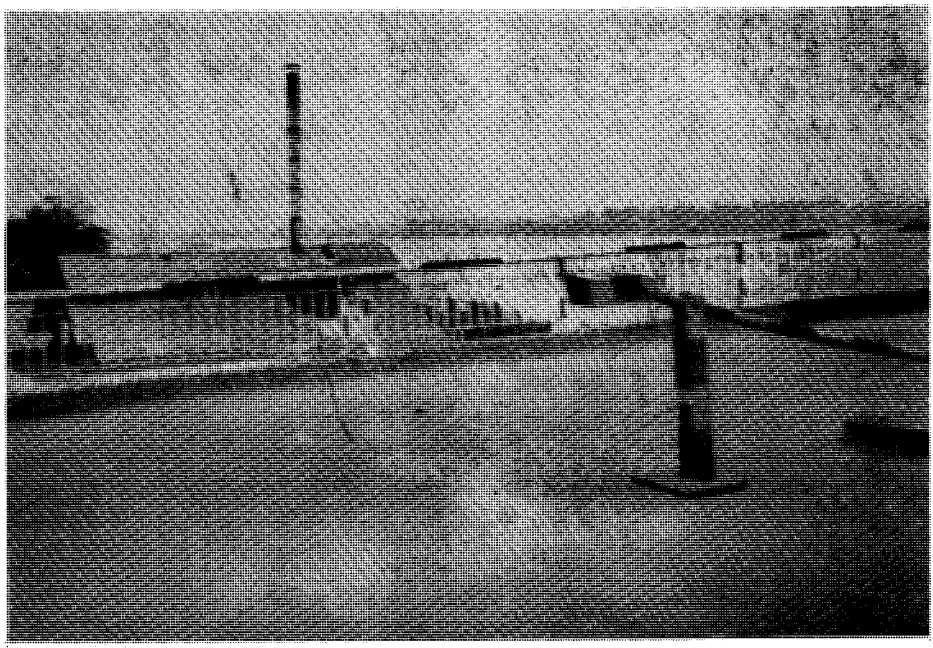

جانب الشارع الذي يحاذي (سايجون): مدينة هوشي منه

وتقع أبنية فاخرة متعددة الطبقات على ضفته بينها وبينه شارع الشاطىء الذي لم يكن فاخراً ولا معتنى به، ومن تلك الأبنية فندق ماجستك ـ أي العدالة ـ والعدالة في البلدان الشيوعية كالحرية هي اسم بلا مسمى، أو هي موجودة بالنسبة للشيوعيين الحكام محرمة على غيرهم.

أما الضفة الجنوبية فإنها مناطق شعبية ذات منازل من الخشب الرديء حتى الكنائس فيها التي رأيناها ترفع صلبانها في غير شموخ هي من الخشب مثل بقية المنازل.

وقد تناولنا الغداء اليوم في المطعم الإسلامي الوحيد في المدينة

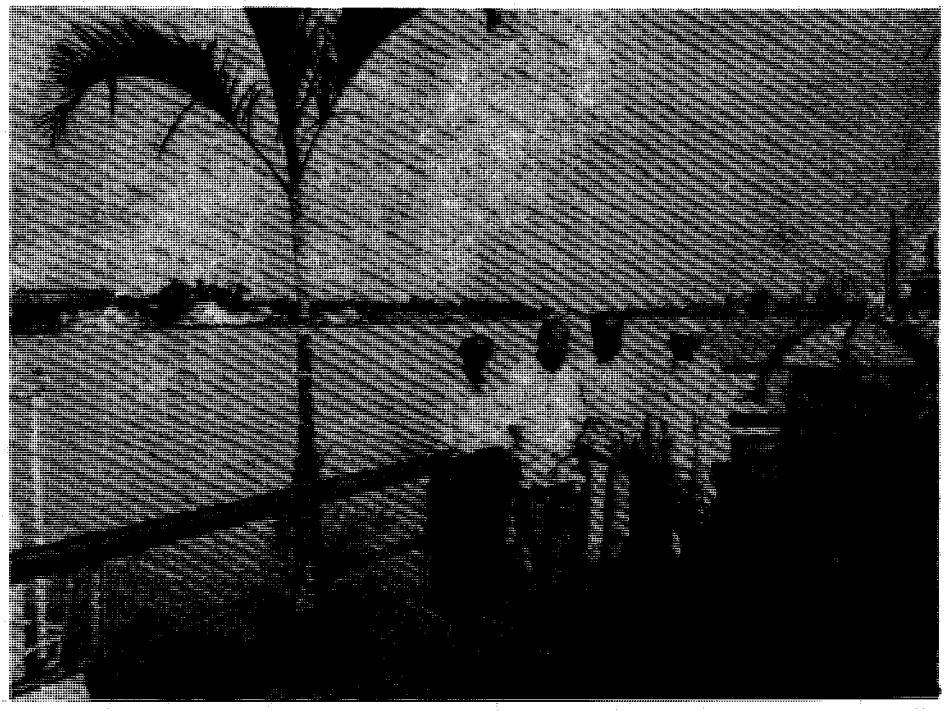

كما تقدم. وعجبنا لرؤية سياح أجانب مع أدلائهم من المواطنين قد حضروا إلى هذا المطعم وهم يأكلون ومعهم مصوراتهم، وذلك رغم كون أثاث المطعم ومظهره لا يغري بذلك، فذكر الإخوة المسلمون أن بعض السياح من غير المسلمين يأتون للأكل في هذا المطعم الإسلامي لنكهة في طعامه متميزة لذيذة ولنظافة الطعام نفسه الذي لا يدخله لحوم لا يأكلها الغربيون مثل لحوم الكلاب التي اشتهر الفيتناميون بأكلها.

## ميدان الحرية:

عدنا إلى القلب الفاخر السكنى القديم من المدينة، الواقع إلى الشمال من نهر سايقون والجو صحو والشمس حارة رغم كوننا في

ميدان الحرية بمدينة هوشي منه

فصل الشتاء الآن فسرنا مع الشوارع الواسعة المعتادة التي ضاقت على سعتها بآلاف الدراجات.

ويحفل هذا القلب الفاخر أو الذي كان فاخراً من مدينة (سايقون) كما كانت تسمى بالأبنية الغالبة ذات الطوابق المرتفعة، وبالمحلات التي كان يؤمها المترفون الذين كان الرواج الاقتصادي الموجود في المدينة يغذي ترفهم حتى وصلنا ميداناً واسعاً قد غرس جزء كبير منه بأشجار باسقة ويقع عليه قصر رئيس جمهورية فيتنام الجنوبية في القديم قبل اتحادها مع فيتنام الشمالية ويسمى (جندي كلوب) أي ميدان الحرية.

وكان آخر رئيس للجمهورية سكن في هذا القصر هو انقوين ون تيو، ولا يزال حياً يعيش الآن في كندا.

## سوراو نور الإسلام:

وسوراو: تعني المسجد الصغير باصطلاحهم كما سبق أن أوضحنا ذلك.

أول ما رأيناه منه اسمه مكتوباً بالعربية (سوراو نور الإسلام).

وجدنا في الاستقبال الإمام حاجي هارون بن علي والمعلم (زكريا بن أبو بكر)، والمراد بذلك معلم الدين الإسلامي بالمدرسة الملحقة بالمسجد ومعلماً آخر اسمه (حاجي محمد أشعري).

وهو مسجد صغير مؤلف من طابقين يقع المصلى الرئيسي في الطابق الثاني، بني المسجد أول ما بني في عام ١٩٦٠ م ثم جدد في

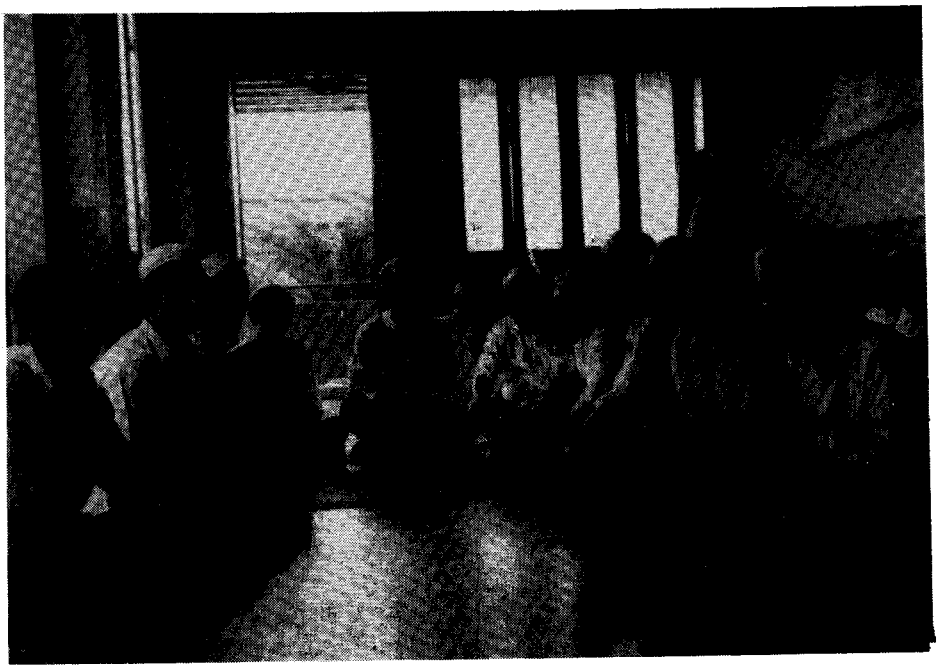

مسجد نور الإسلام بمدينة هوشي منه

عام ١٩٧٠ م، ويصلي الجمعة فيه ـ على ضيقه ـ ٤٠ مصلياً والمغرب والعشاء ١٠ مصلين.

وقد أخبروتا أن المسلمين وصلوا إلى هذا المكان قبيل عام ١٩٦٠ م، جاؤوا من منطقة تشامبا الواقعة على حدود كمبوديا بسبب حرب الاستقلال بين الوطنيين الفيتناميين والفرنسيين. ويشتغل أكثرهم بالتجارة. وذكروا أن عدد الأسر التي يمكنها أن تصل إليه يعني أنها تسكن غير بعيدة منه ٢٦٥ أسرة مسلمة، وفيه مدرسة في الطابق الثاني أو السطح، حيث سقفوا جزءاً منه فصار غرفة طولها ٤ أمتار في ٣ يدرس فيها ٢٥ صبياً و ١٤ بنتاً.

ومن طريف ما كتبوه على السورة بالعربية ما هذا نصه:

«سبت باولى جمادا الأولى ١٤١٢ هـ.

الحديث من سفر على البر والبحر فيقرأ هذه الآيات: لا يمسه إلا مطهرون، آمنه الله من موت الفجعة»، وتحت ذلك تفسيرها باللغة التشامبية ذات الحروف العربية.

وواضح أن فيه لحناً أفظعه ما وقع في الآية الكريم: لا يمسه إلا مطهرون حيث الصحيح إلا المطهرون، بالتعريف.

وقد التف علينا طائفة من الإخوة المسلمين أهل الحي واحضروا الشاي الممزوج بالحليب وهم أول من رأيتهم يفعلون ذلك إذ الشاي الفيتنامي لا يشرب بالحليب في العادة، وإنما يفعل ذلك الهنود حيث اعتادوا ألا يشربوا الشاي إلا بالحليب لأن شايهم يكون أسود ثقيلاً.

ويقع المسجد على شارع تان ون يو من حي في المنطقة الثالثة من هوشي منه التي تقسم إلى اثنتي عشرة منطقة.

## مسجد حياة الإسلام:

ذكروا لنا أننا سنذهب إلى مسجد (حياة الإسلام) ولكننا وجدنا اسمه مكتوباً عليه بالعربية (مسجد الحياة الإسلامية).

وكان الذهاب إليه وسط خضم من الدراجات التي أخذت سيارتنا تشق عبابها، ورأينا بعضها عليها الفتيات بالقبعات الفيتنامية العريضة التي تختلف عن القبعات الصينية الشهيرة، إلا أن الملاحظ أن القبعة التي تكون على رأس الفتاة في مدن الصين وبخاصة في الجنوب

يصحبها غالباً وجود مظلة واقية في اليد أما هنا فإن المظلات قليلة، ولا شك في أن القبعات العريضة تقوم مقام المظلة في الوقاية من الشمس ومن المطر الخفيف أيضاً.

مع إمام مسجد الحياة الإسلامية في مدينة هوشي منه

وعندما رأيت كثرة الدراجات في شوارع هوشي منه هذه تذكرت ما رأيته منذ أيام في شوارع تيرانا عاصمة البانيا حين كنت في زيارتها من قلة الدراجات ومن انعدام السيارات عند المواطنين حتى إن الذي يركب دراجة هوائية يعد من ذوي الحظ العظيم، ولذلك انتشرت عندهم سرقة الدراجات. مثلما انتشرت في لبنان وقت الحرب الأهلية سرقة السيارات.

والمسجد طابقان: الأرضي غرفتان ضيقتان إحداهما اتخذت مستودعاً، والثانية مكان لفصل دراسي، وجدنا فيه اختاً مسلمة اسمها عائشة بنت حاجي عثمان وهي تدرس ١٧ تلميذاً صغيراً من الجنسين وبجانب ذلك مطبخ ذكروا أنه مكان لإطعام التلاميذ.

وقد وصلنا إلى المسجد مع زقاق ضيق فوجدنا المصلى في الطابق الثاني يصعد إليه مع درج واقف من الخشب ينهض من الشارع وليس من داخل المسجد لأن المسجد أضيق من أن يتسع له، كما أنه ليس له فناء مكشوف بل هو جميعه ضيق جداً، ولقد عجبت وأنا أحاول أن أحفظ توازني عند صعود الدرج الواقف الذي يبدأ من الزقاق كيف يستطيع كبار السن من الشيوخ والعجائز الصعود للمسجد مع هذا الدرج.

ومع ذلك وجدنا ما كاد يعرقل سيرنا في أعلاه وهو أحذية المصلين التي وضعوها في أعلى هذا الدرج لأنه لا يوجد في المسجد مكان يتسع لها.

وجدنا القوم يصلون العصر، وتصلي بعض النساء خلفهم في مكان مفصول بين الرجال والنساء بستارة خفيفة من القماش.

ذكر لنا الإمام حاجي طيب أن عدد المصلين يوم الجمعة يبلغ أربعين وفي الأوقات المعتادة ١٠ وقليل من النساء، وقد رأينا ذلك وأعتقد أن الذين صلوا خلفه هم أكثر من عشرة.

وشكوا من أن سقف المسجد يحتاج إلى إصلاح بقيمة ١٥٠٠ دولار وذلك ما لا يستطيعونه.

وهو يقع في الحي ١٢ من هوشي منه وهو حي ذو بيوت من الإسمنت أكثرها مسطحة السقوف رغم كون البلاد مطيرة، يقتضي القياس أن تكون البيوت فيها ذات سقوف مسنمة، إلا أنني لاحظت أنه لا يوجد فيها أي بيت قد جدد بناؤه أو طلاؤه.

ولا شك في أن حالة هذا المسجد وأمثاله في هذه البلاد تدل على مبلغ تقصيرنا نحن المسلمين القادرين في الحواضر الإسلامية على مساعدة إخوتنا المسلمين في بلاد الأقليات، وإلا فإنهم قد بذلوا كل ما يستطيعونه وذلك جهد المقل أثابهم الله.

وقد قيدت ذلك وقيدت ما تحتاج إليه المساجد في هذه البلاد من تعمير وتوسعة وتأثيث وسوف ندفع ذلك كاملاً بإذن الله من رابطة العالم الإسلامي.

## يوم الاثنين ٢٦/٥/١٤١٢ هـ ـ ٢/١٢/١٩٩١ م

## نرى الرجل النحيف:

عندما أرى هذا الشعب النحيف القوام، الضعيف الوسائل، المهلهل الثياب، الذي ليس على وجوه أفراده شيء من الوجاهة من جمال أو حتى بياض مع حسن تقاسيم، أكاد أهون من شأنه في نفسي، بل أكاد أزدريه وأحكم بأنه من هذه الشعوب المهملة ـ بكسر الميم ـ المهملة ـ بفتحها ـ التي تسمى نامية ـ وهي لا تنمو ـ وقد تسمى من شعوب العالم الثالث وهي من شعوب العالم التالف، لكنني ما أن أذكر تاريخه القريب وكيف ناضل وصابر حتى هزم دولة كانت عظمى وهي فرنسا المستعمرة، ثم قارع وقاتل أعظم قوة حربية مالية متفننة في اختراع أدوات القتل والخراب وهي الولايات المتحدة الأمريكية التي لم تذق ذل الهزيمة وعار الانكسار إلا على يد هذا الشعب الفيتنامي الشجاع الذي كان الأمريكيون يعدونه قزماً يعتقدون أنه يكفي لهزيمته أن يهز العملاق الأمريكي سلاحه في وجهه فينهزم دون قتال.

ما أن أذكر ذلك حتى يكبر في عيني ويكبر حتى تطول قاماته القصيرة فتطاول عنان السماء، وتقوى أجسامه النحيلة حتى تصير في قوة أبطال المصارعة، وتنقلب ثيابه المهلهلة حتى تصير دروعاً من

حديد قشيب، وحتى دراجاته هذه التي يركبها بديلة من السيارات التي يركبها الأمريكيون تكبر في عيني حتى تصبح أعظم وأجل، بل وأكثر راحة وأناقة من سيارات (الكاديلاك) والروز رويس التي يركبها قوم مهزومون لم يشعروا حتى بعار الهزيمة فتراهم يفخرون بما يركبون وما يلبسون فهم من العز والمجد عارون. لقد ذكرت مراراً وأنا أرى هذا الشعب النحيل، الذي لا يملك إلا القليل قول الشاعر العربي الحكيم:

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتزدهيه فيخلف ظنك الرجل الطرير
وما حسن الرجل لهم بزين ولكن زينهم كرم وخير

والطرير: الجميل من الرجال، ويزدهيك: يعجبك منظره.

ورغم ما لاقاه الشعب الفيتنامي الشجاع من حروب وكروب منها كرب لا يزال يأخذ بتلابيبه وهو الحكم الشيوعي... فإنه لا تزال في شفاه هذا الشعب بقايا من ابتسامات استوائية ـ نسبة إلى سكان خط الإستواء وما قرب منه ـ عرفنا منها أكثر ما عرفنا ابتسامات الملايويين في ماليزيا وإندونيسيا. وهي ابتسامات عفوية غير متكلفة.

وفيما يتعلق بالجنس الآخر أو لنقل بصراحة بالنظرات الأنثوية فإننا لاحظنا أنها حادة جداً إلى الجنس المتوسط الذي هو الجنس العربي، ولا ندري أهي نظرات اعجاب أم استعجاب، ولكنني رأيت عدداً منهن ترى صديقتها أو رفيقتها هذا المنظر إذا ما رأته قبلها وما أن تسقط النظرات الحادة إلينا فنلتفت إلى مصدرها أو تعرف أننا ننظر إليها حتى تتغطى العيون تحت الوجنات التي ارتفعت بسبب الابتسام من غير كلام.

والشيء الوحيد الذي ينغص من المتعة في السير في هذه المدينة هو كثرة السائلين الملحفين (الشحاذين)، وبخاصة إذا كانوا من الأطفال الذين مرنوا على هذه الأعمال، وما أجدر بهذا الشعب الشجاع، ان ينهى هؤلاء الرعاع عن مثل هذه الطباع.

## سبحان الذي سخر لنا هذا:

ركبنا دراجتين (ركشاويتين) وجعل سائقاهما أو صاحباهما وهما صاحباهما أيضاً يتباريان في الشارع لنتمكن من الحديث ونحن نسير فيه، كما يتمكن الماشيان، ولم نبدأهما بالشكر وإنما كررنا تلاوة الآية الكريمة: ﴿**سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين**﴾، فثنينا بشكرهما على إتاحة الفرصة لنا ونحن راكبان عليهما، لأن جهد الرجلين هو الذي يسير الدراجتين حتى وصلنا إلى فندقنا (فندق ركس)، وكل شيء فيه جيد إلا اسمه لقربه في اللفظ من لفظ (رجس)، فكل شيء فيه نظيف ومعتنى به حتى ليعجزك أن تجد فيه ما ترى أنه يحتاج إلى إصلاح، وإنك لتشعر داخله كأنما أنت في أوروبا ولست في أدغال آسيا حتى ابتسامات الموظفين والعاملين فيه وانحناءاتهم تشعر أنها حقيقية وليست مصلحية، كأكثر الابتسامات الأوروبية.

## التحف الرخيصة:

رخص الأسعار في هذه البلاد عام وليس مقتصراً على الطعام والشراب، بل ان ذلك يشمل كل المصنوعات والمنتجات الفيتنامية.

وذلك لرخص الأجور، وضعف الدخول حتى إن المرء ليعجب

من ضآلة الأجور، ولا يصدق أنها يمكن إن تكفي لما يسد الرمق فمثلاً العامل الماهر يتقاضى راتباً شهرياً متوسطه مائتا ألف دونغ ويساوي هذا ١٤ دولاراً في الشهر. فكيف يعيش هو وأسرته من هذا المبلغ؟

ذكروا لنا أن الغذاء الأساسي للشعب وهو الأرز رخيص جداً، لأنه متوفر لديهم ويصدرون منه مقادير كبيرة وهو محدد السعر لأن الحكومة تبيعه لمن يطلبه بذلك السعر فيباع على المستهلك بسعر ٢٥٠٠ دونغ للكيلو أي أن الدولار الذي صرفناه اليوم بأربعة عشر ألف دونغ فيه خمسة كيلوات ونصف من الأرز، قالوا: وعامة الشعب الذين هم من البوذيين الفقراء يأدمون الأرز بشحم الخنزير، وهو رخيص عندهم لسهولة تربية الخنازير وكونها تأكل القمائم وأوراق الشجر الموجودة بكثرة في هذه البلاد المطيرة، وكذلك السمك رخيص جداً عندهم، لذلك يستطيع العامل أن يعيش بمثل هذا المرتب الضئيل هو وأسرته عيشة الكفاف. وهذا القول في العمال الذين يؤلفون نسبة كبيرة من الشعب، وأما اخوتنا أئمة المساجد فإن رواتبهم أقل من ذلك بكثير، بل أكثر ضآلة، من ذلك مثلاً راتب الشيخ محمد يوسف وهو إمام الجامع الكبير والمرافق المترجم لنا في هذه البلاد هو أقل من دولارين في الشهر إذ يتقاضى من جمعية المسجد ٢٥ ألف دونغ وذلك يساوي أقل من دولارين اثنين، وأكثر أئمة المساجد لا يتسلمون أية رواتب.

ونعود إلى رخص التحف والمصنوعات الوطنية مع التنويه بأن هذا الرخص إنما هو بالنسبة إلى الأسعار العالمية، وبالنسبة الينا نحن الذين نملك أموالاً كافية بالعملة العالمية الصعبة ولله الحمد، أما بالنسبة إلى أهل البلاد فإنها غالية لا تصل طاقتهم إلى التفكير في شرائها.

وجدنا محلاً كبيراً للتحف تعمل فيه عدة بائعات وبينهن امرأة مسلمة اسمها فاطمة، عرفنا إسلامها من كونها تعرض في متجرها من بين ما تعرضه لوحات إسلامية، منها آيات قرآنية كريمة مكتوبة بالصدف الأبيض، ومناظر لمساجد منقوشة بالصدف أيضاً.

إلى جانب علب وقلائد وسبح بديعة الصنع، رخيصة الثمن مما تنتجه بلادهم، ولديها أيضاً أشياء رخيصة كسبح الكهرمان النقي الأصيل كانوا قد استوردوه من الاتحاد السوفييتي وهو الذي يسميه بعض الناس بالعنبر ويستخرج من بحر البلطيق فالسبحة الواحدة منه بعشرة دولارات أمريكية وكنت اشتريت نظيرتها من متجر حكومي في موسكو بخمسين دولاراً وهي في أوروبا الغربية تباع أغلى من ذلك بكثير، أما اللوحات المطعمة بالصدف فإن الواحدة منها بثلاثة دولارات إلى أربعة حسب حجمها، والعلب الخشبية الصغيرة المطعمة بالصدف بأربعة دولارات إلى خمسة وهكذا.

ومن الطريف في أمرِ هذا المتجر الكبير الذي هو حانوت معتاد في بلادنا ذو باب واحد أنه ليس خاصاً بشخص واحد وإنما هو مؤلف من زوايا أو أركان لا يفصل بينها أي حاجز، كل ركن أو زاوية فيه لأحد البائعين وهم مختلطون إلا أن لكل واحد منهم بضاعته وخزانته. وقد كان في الأصل حانوتاً واحداً كبيراً غير أن الحوانيت الكبيرة التي يملكها أرباب الأموال الكبيرة والشركات قد ذهبت مع مجيء الشيوعية. ولا أشك في أن هذه الأسعار الرخيصة سوف تتغير بعد الانفتاح الاقتصادي على العالم الذي بدأ الآن.

**اللغة الفيتنامية:**

عاودنا الجولة على الأقدام في شوارع (هوشي منه) وأزقتها

القريبة من الفندق فكان أن تكرر عجبي من لغتهم الفيتنامية التي هي لغة فريدة لا ترتبط بلغات المنطقة التي حولها مثلما أن الشعب الفيتنامي شعب فريد في أصله لا يرتبط ـ عنصرياً ـ بالمجموعات البشرية المجاورة له كالصينيين والماليزيين.

وهي لغة قبيحة المخارج فيما يبدو من وقعها في أذن السامع الغريب أمثالنا، ولا أجد لها مشابهاً من حيث النغمة والجرس، إلا ما كان من أمر مشابهتها في ذلك للغة التايلندية مع أنها غيرها تماماً ولا ارتباط بين اللغتين.

وعندما أسمعهم يتكلمون بلغتهم بأصوات منخفضة، وغالباً ما يتكلمون كذلك فإنني لا أجد ما أشبه نغماتها به إلا مواء السنانير أي صياحها إذا كانت تفعل ذلك بصوت منخفض.

## صرف الإعانات المالية:

كان موعد الاجتماع ثانية بجمعية مسلمي هوشي منه في الساعة الثالثة ظهراً وذلك لإعطائهم بعض النقود التي خصصناها للمساجد والمدارس في هذه المدينة، وكان الإجتماع بهم الذي مر ذكره اجتماع تعارف وتباحث، وقد رأينا أن نصرف المساعدات المالية للجميع بوساطتها مع تعيين مصارفها، وذلك لكونها جمعية إسلامية معترفاً بها من الحكومة ومن المسلمين وأعضاؤها من العاملين الموثوق بهم.

وقد عقد الاجتماع في مقرهم في الشارع الرئيسي المؤدي إلى المطار فقدمت لهم في البداية هدايا شخصية فيها سجاد للصلاة وسبح ـ جمع سبحة ـ ومناظر وصور مكبرة للحرمين الشريفين.

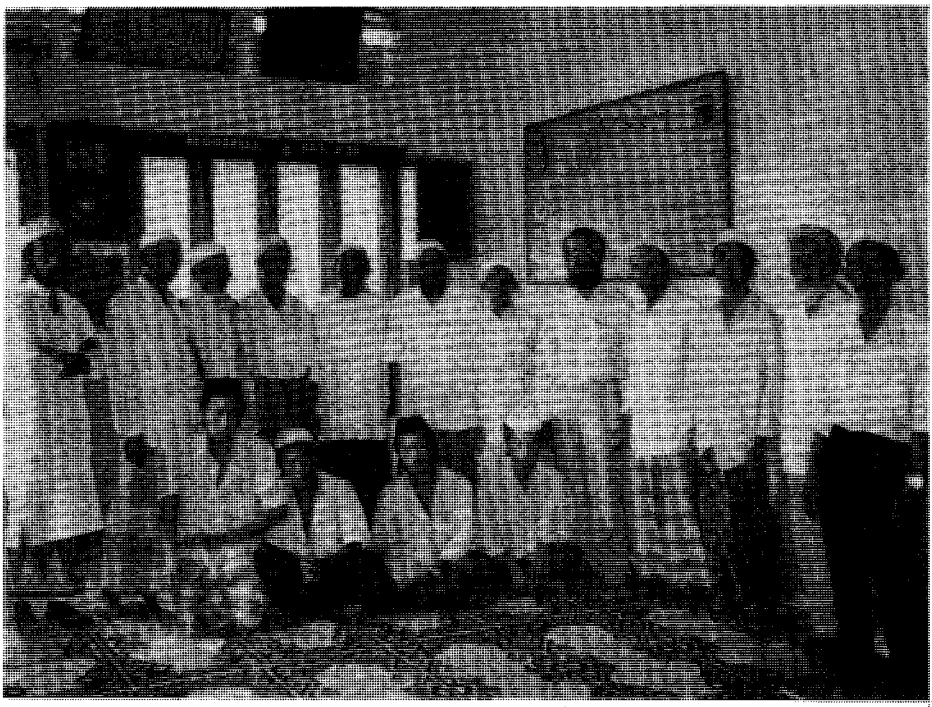

مسجد نور الإسلام بمدينة هوشي منه مع إمام وأعضاء المسجد

ثم أعطيناهم بحضور الجميع وبعض أئمة المساجد المبالغ المالية بالدولار مقسمة إلى مصارف ثلاثة، أولها: اعانة للجمعية على تسيير أمورها، وثانيها: اعانة للأئمة والمدرسين الذي هم المدرسون في المدارس الإسلامية وهي الكتاتيب القرآنية ونحوها. وثالثها: مبلغ مخصص للإعانة على اجراء الترميمات والإصلاحات العاجلة للمساجد في هذه المدينة.

وقد أخبرتهم أن هذه إعانات رمزية أولية أقدمها من رابطة العالم الإسلامي على أن تتبعها مبالغ كافية وذلك بعد أن نشاهد الأمور على الطبيعة، ونقرر ما تحتاجه المساجد والمدارس والأئمة من مبالغ محددة بإذن الله.

كما أعطيتهم سجاداً صغيراً للمساجد، لأنني لاحظت أن بعضها ليس في محاريبها سجاد.

وكانت جلسة مباركة سُرّ بها إخواننا المسلمون، وطلبوا المزيد من الزيارات ما بينهم وبين اخوتهم المسلمين في الحواضر الإسلامية لأن إمكاناتهم محدودة في الوقت الحاضر.

وقد اتفقنا معهم أثناء الجلسة على الاستجابة لبعض مطالبهم، ومن ذلك استضافة بعض كبارهم في الحج ودعوة عدد من زعمائهم لزيارة الرابطة، والتعرف على المسؤولين في المملكة العربية السعودية. ودعوة جمعيتهم لحضور المؤتمرات والاجتماعات الإسلامية.

وفي المساء دعوت رئيس المسلمين الإمام إبراهيم، ونائب رئيس الجمعية على العشاء في المطعم الإسلامي ومعنا الإمام محمد يوسف، فكان العشاء منوعاً فيه طيور صغيرة كالعصافير، أكد الأخوة الذين معنا أنها مما ذبحه المسلمون، وكذلك فيه الدجاج ومرق فيه حبات من الباميا وهو عندهم غليظ كبير الحجم ولكنهم يقطعونه إلى عدة قطع وهو مطبوخ بالتمر الهندي، وكذلك الباذنجان وكان الثمن زهيداً لم يزد على أربعة دولارات ونحن خمسة أشخاص، وقيل لي: إن سبب رخصها أنها ليس فيها شيء مستورد من الخارج مثل الكوكا كولا التي يساوي ثمن العلبة منه ثمن وجبة من الأرز والمرق.

وانفقنا ما قبل النوم من الوقت في الجلوس في ميدان ركس الذي يقع عليه فندقنا وهو حديقة فيها المقاعد الحجرية إلا أنها لم تكن كافية للجميع، لذلك رأيت أناساً كثُراً منهم يجلسون على ظهور

دراجاتهم النارية ومنهم بعض الأسر الذين جاؤوا مع أطفالهم لتمضية جزء من الأمسية في هذا المكان الجميل.

ومن المنغصات فيه كثرة الأطفال وبخاصة من البنات اللائي يعرضن عليك بضائعهن من الطوابع والتذكارات والعملات القديمة من ورقية ومعدنية، ولكنهم يلحون في العرض، ولا ينصرفون عنك إلا بعد أن تبذل مجهوداً كافياً في إقناعهم بعدم رغبتك في الشراء وبأنك لن تستجيب لتوسلاتهم في ذلك، ولا بد من أن يشترك في افهامهم عدد من أعضاء جسمك منها رأسك بهزه يمنة ويسرة ويداك بإيماءات تدل على النفي لأن النفي بلسانك لا يغني شيئاً، أولاً: لأنك لا تعرف لغتهم، وثانياً: لأنهم لا يريدون أن يشعروك بأنك استطعت أن تجعلهم يفهمون لئلا يضطروا إلى الابتعاد عنك.

## يوم الثلاثاء ٢٧/٥/١٤١٢ هـ - ٣/١٢/١٩٩١:

### اللين في المعاملة:

غادرنا فندقنا قبيل الخامسة فجراً بعد أن دفعنا الأجرة ٤٩ دولاراً لليلة الواحدة ومثله في أوروبا بأكثر من ضعف هذا المبلغ مع أن معاملة أهله من عمال ومديرين من أرقى أنواع المعاملة وأسهلها، فعلى سبيل المثال عندما دفعنا المبلغ قبل الخروج لفتاة كانت قرب الصندوق لم تسألنا حتى السؤال التقليدي عما إذا كنا قد أخذنا شيئاً من الثلاجة الصغيرة الموجودة في الغرفة، مع أن الوقت ليل لم يدخل في الغرفة أحد من عمال الفندق بعدنا.

وذكرَت بهذه المناسبة بعض الفنادق في دول متخلفة. وكيف يرسلون موظفاً يعد ما في الثلاجة رغم نفي النزيل أنه قد أخذ منها شيئاً.

ذهبنا إلى المطار للسفر إلى هانوي العاصمة فكان الأمر على مثل ذلك من السهولة واليسر أو أكثر منه، فكانت السرعة في الاجراءات وعدم التعقيد إضافة إلى أنه زاد معنا وزن في الأمتعة فتجاوزوا عنه.

كما أن التفتيش من أجل الأمن كان يتسم بالضبط والسهولة

أحد الشوارع الرئيسية بمدينة هوشي منه

فبطاقة الصعود إلى الطائرة مسجلة على الحاسب الآلي لا بد أن تتأكد منها الموظفة ولكنها تفعل ذلك بسرعة، وكذلك تفتيش حقائب الأيدي والأبدان يتم بالكهرباء من عيون صغيرة فاحصة.

والشيء اللافت للنظر أكثر من غيره رخص البضائع المعروضة في قاعة المغادرة رخصاً لا يصدق، حتى الأقلام المستوردة يبيعونها فيها أرخص من سعرها عندنا، وهذا شيء لم أره في غير هذه البلاد، فمثلاً شربنا كأساً من القهوة جاؤوا بالسكر لها في أكياس ورقية صغيرة معتادة، وتقاضوا قيمة الكأس ألف دونغ، أي أن الدولار الواحد فيه ١٤ كأساً من القهوة، أو بعبارة أوضح أن أربعة عشر شخصاً يستطيعون

أن يشربوا كلهم القهوة بدولار واحد مع أنها في مقهاة المطار التي تكون غالية في العادة. بحيث يحتاج الشخص الواحد إلى دولارين لشرب مثل هذا الكأس.

وبسبب هذا الرخص المتناهي عندهم جرؤنا على القول بأن نقودهم فيها بركة عظيمة، إذ كان الواحد منا يصرف دولارات قليلة فيأخذ عوضاً عنها نقوداً من نقودهم تملأ جيوبه، ويظل ينفق منها زمناً يخيل فيها أنها أكثر مما كانت عليه.

وقد لاحظت في هذه البلاد الشيوعية شيئاً لم أره في غيرها من بلدان الشيوعية، وهو أن العاملين وبخاصة العاملات في المحلات العامة كالمطارات والفنادق يبتسمون للضيف الذي يتعامل معهم، وهو أمر معدوم في البلدان الشيوعية التي رأيتها كلها أو أكثرها سواء في أوروبا أو في آسيا وإفريقية.

وإذا أضيف إلى هذا الرخص في الأسعار وحُسن المعاملة من الناس، الأمن الجيد الموجود في البلاد كان ذلك مما يجعل هذه البلاد جنة للسائح الغريب الذي تجذبه المعرفة والإطلاع أكثر مما يجذبه الهوى والاستمتاع.

# إلى هانوي

ليس ما يجمع بيننا وبين (هانوي) من دين أو عقيدة أو مبدأ، ولا ما يشدنا إليها من ثقافة مشتركة أو تاريخ مذكور أو رابطة لغوية، ولا حتى من مصالح مالية أو اقتصادية، ولا ما يقربنا إليها من دار أو جوار.

وكل هذه الأشياء تقرب وقد تورث الحب أو القرب، ولكن ذلك كله لا يمنعنا من أن نظهر مشاعرنا التي كوناها عن هذه المدينة الباسلة (هانوي) تحكم لها بما استحقت به أن تسمى (مدينة البطولات).

حتى لو كان ما بيننا وبينها بغضاً من البغض فإنه لن يمنعنا من قول الحق الذي منه أنها (مدينة بطولات)، قال الله تعالى: ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوي**﴾، ومعنى لا يجرمنكم. لا يمنعنكم. والشنآن: البغض، والعدل منه العدل بالقول وهو أن لا يمنعك بغضك لمن تبغضه عن أن تذكر ما يكون له من محاسن.

ونحن لا نبغض الشعب الفيتنامي. وإن كنا نبغض النظام الشيوعي الذي تسير عليه حكومته.

وعلى أية حال فإننا مثل غيرنا من المنصفين لا يسعنا إلا أن نقدر الشجاعة العظيمة التي أبداها هذا الشعب وهو يقاتل مدة أربعين سنة قوى تفوقه أموالاً وعدداً وسلاحاً إلى أن انتصر عليها فهزمها شر هزيمة مما جعله مثلاً للشعوب التي تكافح قوى أعظم منها عدداً وعدة..

ومما جعل عاصمته (هانوي) تعد بحق (مدينة البطولات).

ومن العادات الإنسانية أن الناس يتشوقون إلى رؤية أماكن الحوادث الكبيرة والوقائع المذكورة وحتى مواقع الانتصار في الحروب...

وذلك ما جعلني في شوق عظيم إلى رؤية مدينة هانوي...

## من هوشي منه إلى هانوي:

ولو قلنا كما كان الناس يقولون قبل اتحاد فيتنام (من سايقون إلى هانوي) لكنا كمن يجمع بين النقيضين في السياسة والاتجاه، ذلك أن سايقون في ذلك الوقت كان تمثل الطرف المعادي للشيوعية المتعاون مع الغرب ضدها إلى درجة الحرب، وأن هانوي كانت تمثل الطرف الشيوعي المعادي للرأسمالية المتعاون مع الاتحاد السوفيتي ضدها إلى درجة الحرب.

ولكن الأمر مختلف الآن ففيتنام كلها أصبحت واحدة منذ سنين و (سايقون) نفضت عن نفسها لقب العاصمة، لتنفرد به (هانوي) منذ ذلك الحين. و (هانوي) نفسها صارت تبحث عن الأموال والأعمال عند أعدائها السالفين، والله أعلم بما في الغيب من السر الدفين.

غادرت طائرة الخطوط الجوية الفيتنامية مطار (هوشي منه) في

السادسة و٣٧ دقيقة صباحاً متأخرة عن موعد قيامها المحدد في الأصل بـ ٧ دقائق.

وهي من طراز توبوليف ١٣٤ الروسي النفاث مثل التي قدمنا عليها من بانكوك إلى هوشي منه. وهي مليئة بالركاب إلا أنها ليست كبيرة وإنما تشبه طائرة د. س ٩.

وحالما ارتفعت في الجو تجلت لنا طبيعة الأرض الفيتنامية الخصيبة الكثيرة المياه والأنهار والخلجان العديدة الداخلة في الأرض.

ثم ارتفعت فصارت الشخوص على الأرض من ذلك الارتفاع تضمحل وتنماع كما تنماع الشخوص في ظلام الأحلام.

فجاءت المضيفات بالضيافة في علبة من اللدائن الصافية الجميلة فيها طعام الإفطار الجيد لولا أن جودتها قد شانتها شريحة حمراء من لحم الخنزير. وكان ختامه شاياً فيتنامياً يشبه الشاي الصيني في كونه لا يقربه سكر، ولونه بين الأخضر والأحمر.

وكان الطيران مريحاً هادئاً، وهذه صفة عرفتها من الطائرات السوفيتية في الرحلات الطويلة والقصيرة داخل الاتحاد السوفيتي وخارجه.

## في مطار هانوي:

تدنت الطائرة، وبدت المنطقة قبيل النزول تشبه منطقة (هوشي منه) من كثرة المياه، وتعدد الأنهار، إلا أن الريف فيها أقل تنظيماً فمثلاً الطرق الريفية التر نراها من الطائرة هي ترابية بخلاف أكثر الطرق حول هوشي منه فإنها (ازفلتية).

وهناك فرق آخر وهو مياه الأنهار ومجامع المياه التي نراها الآن تبدو حمراء وكأنما هي مياه الفيضان رغم كون الفصل فصل جفاف. وذلك ناشىء عن كون التربة الريفية التي تحف بالمياه طينية حمراء اللون.

وهذه بيوت الريف التي نراها من الطائرة هي أقل وجاهة، وأصغر حجماً، وأردأ منظراً من البيوت في ريف (هوشي منه).

والشيء الآخر الذي يشبه ريف (هوشي منه) هنا هو أحواض الأرز الكثيرة ما بين حصيد أصفر اللون وأخضر ريان الخضرة، وغارق في المياه لكونه في أول بذره.

وهذا يفسر كثرة إنتاج الأرز ورخصه رغم كونه الغذاء الرئيسي للشعب، ويتناوله الناس هنا ثلاث مرات في اليوم أي في الوجبات الثلاث.

والأشجار في الريف قليلة لأنهم قطعو أكثرها، من أجل حقول الأرز، وبدت قرى ريفية أو تجمعات سكنية تبدو عليها الحاجة والفقر.

ثم هبطت الطائرة في مطار (هوشي منه) في الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين بتوقيت فيتنام كلها، وهذا يعني أن الطيران استمر ساعة وخمسين دقيقة.

كان الجو غائماً بارداً بالنسبة إلى جو (هوشي منه). بل إنه أبرد منه بكثير، والناس في المطار عليهم الملابس الثقيلة.

ويقع المطار في منطقة ريفية خالصة، خالية من المنازل بخلاف

مطار هوشي منه الذي تقرِب منه المنازل، بل إن محلة سكنية قديمة تقع بقربه تكاد تكون ملاصقة له.

أما مدرج المطار فإنه مربعات من الإسمنت المسلح لا يظهر عليها الزفت، وأما العشب والنبات البري حول المدارج فإنه أقل من (هوشي منه).

وعندما لامست قدمي أرض هذا المطار أرض البطولات التي أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية عليها وعلى ما حولها ملايين الأطنان من المتفجرات والمواد المهلكة حتى المحرمات الدولية ولم تلن لها قناة ولا انحنت لها هامة، قلت: إنها أرض تستحق الاحترام.

وقد سرنا إلى قاعة الوصول سيراً على الأقدام، فالمطار قديم وهو أيضاً صغير بالنسبة إلى مطار هوشي منه الواسع.

وحتى قاعة الوصول هي صغيرة ولم نمر بأية اجراءات لكون الرحلة داخلية وفيها سير متحرك واحد قصير، يشبه سيور الأمتعة في الهند.

بعد أن تسلمنا أمتعتنا تلفتنا حولنا نبحث عن مكتب للفنادق في قاعة الوصول فلم نجد إلا مكتباً صغيراً عليه رجل واقف مكتوباً عليه أنه مكتب للسياحة، فسألناه عن الفندق فلم يسرع إلى إخبارنا به، وإنما قال: أتريدون سيارة أجرة؟ فسألناه عن الأجرة إلى داخل المدينة فقال: هي خمسة وعشرون دولاراً.

ونظراً لكوننا لا نعرف المسافة إلى الفندق ولا الأجرة تركناه رغم إلحاحه، ووجدنا مكتباً لتأجير سيارات الأجرة وليس لتأجير سيارات

(التاكسي) فلم نرَ هنا ولا في هوشي منه شيئاً منها، وعلى المكتب امرأة قالت: إن الأجرة عشرون دولاراً، وتبين أن الرجل في مكتب السياحة أراد أن يكسب منا خمسة دولارات وهي مبلغ ضخم في هذه البلاد بالنظر إلى قلة رواتبهم، وضعف دخولهم.

ولكن المرأة استمرت فترة تعمل لنا، فأحضرت أوراقاً من عدة صور كتبت عليها عقداً وقعناه نحن ووقعته هي، مع أننا لم نطلب ذلك، بل كنا مستعجلين رؤية مدينة هانوي.

وجدنا السيارة حافلة سياحية صغيرة جديدة من صنع ياباني وسائقها شاب فيتنامي أنيق اللباس، نظيف المظهر، وليس فيها أحد معنا، وتبين لنا أنهم لم يغبنونا الصفقة إذْ المسافة من المطار إلى المدينة ٤٧ كيلو متراً وعشرون دولاراً لسيارة خاصة لهذه المسافة الطويلة ليست كثيرة على سياح أجانب.

## في فيتنام الشمالية:

رغم توحد فيتنام ما بين شمالها وجنوبها فإن تقسيمها إلى شمال وجنوب يظل قائماً من حيث التعريف، لأنها بلاد ممتدة من الجنوب إلى الشمال، ولذلك صارت توجد فروق بين الشمال والجنوب وأهم ما يلحظه القادم الغريب مثلنا أن الجنوب أكثر عمارة وأحسن تخطيطاً وتنظيماً وطرقه أجود ومنازله أرحب. وحتى الزراعة فيه أرقى.

إضافة إلى الجو الشبيه بالاستوائي في الجنوب والبارد في هذا الفصل الشتوي في الشمال، سرنا مع طريق ريفي غير جيد الزفلتة، ولا واسع العرض، فمررنا بعد مفارقة المطار بقليل بقرية ريفية تتألف

منازلها من قسمين أحدهما قديم مبنى من الآجر ومسقف بالصفيح، والثاني حديث مبني من لبن الإسمنت وسقوفه من الصفيح أيضاً.

والجامع بين القسمين هو الضيق الشديد في مساحة البيوت حيث لا يكاد البيت الواحد يزيد عن غرفة واحدة، إلا أنه تكون له في بعض الأحيان مقدمة مسقوفة بعرضه لا تزيد في العادة على ثلاثة أمتار ولا يزيد عمقها على متر أو مترين.

ولاحظت أن المياه المستعملة المسماة بالمجاري تصب في قناة ومجرى للماء، يمر بالبيوت وتصب فيه فضلات كل بيت، ثم يذهب إلى أماكن منخفضة، مثلها في ذلك مثل معظم المدن والقرى الاستوائية المطيرة، غير المتطورة، حيث يكون أمام البيوت حتى في شوارع المدينة قنوات للمجاري تأتي الأمطار الغزيرة، فتساعد على تصريف ما قد يبقى فيها من فضلات، ويكون ذلك لها بمثابة الغسل، ولكنه غسل غير منق.

والمنطقة ريفية خالصة تحف بها مزارع الأرز وغيره من الخضروات.

أما السيارات التي تسير في طريق المطار هذا وهي تتجاوز المطار إلى غيره، فإنها كلها من سيارات العمل كالناقلات والحافلات، وسيارات الركوب الخاصة لا توجد أو لا تكاد توجد.

ومر الطريق فوق نهر صغير لم يذكر لنا السائق اسمه مع أنه يعرف قدراً من الإنكليزية، ولا شك في أن مرد ذلك إلى كونه لا يعتبر أن معرفته لهذا النهير ذات بال مع وجود الأنهار الكبيرة الضخمة في بلاده، ثم مررنا بمجمع آخر للبيوت الريفية وهي صغيرة وخيل إليَّ أن

الناس هنا أصغر أجساماً من اخوانهم في جنوب البلاد، وأن أولئك أكثر جمالاً منهم ما عدا الألوان فالبياض هنا أغلب على الناس، إلا أنه تبين من ملاحظة أشكال الناس في المدينة فيما بعد أن مظاهر نقص التغذية هنا أكثر ظهوراً مما هي عليه في الجنوب.

ثم مررنا بقرية أخرى أكثر ما فيها وضوحاً عدم النظافة في شوارعها، وفي ملابس أهلها، وبيوتها رديئة من ذلك أن مقدمات البيوت فيها هي من الخشب والقش.

وكل ذلك في طريق المطار الوحيد الموصل إليه الذي يراه الزوار والسياح من الأجانب وغيرهم.

**برك الأسماك:**

مما يميز البلدان المطيرة في كثير من بلدان العالم التي تابي الأمطار إليها في مواعيد لا تكاد تتأخر عنها أنهم تكون لديهم برك يربون فيها الأسماك، وهي برك كالمستنقعات الطبيعية في الأرض المعتادة، أي أنها لا تبنى لها البرك بناء.

ويمنع ماءها من النفاد في أيام الجفاف كون الماء في جوف الأرض ثابتاً لا ينزل عن مقدار معين قريب من سطح الأرض.

وقد رأيت ذلك في جنوب فيتنام وهو هنا ظاهر يراه المرء من الطريق، ولا يعجب إذا كان مثلي يعرف أن غذاء القوم الرئيسي هنا هو من الأرز والسمك.

ثم مررنا فوق نهر كبير تجاوزه الطريق فرأينا البضائع المعروضة للبيع على الطريق أكواماً من الفحم، وخشباً للوقود يباع في مقادير

متفاوتة فهم قد قسموه إلى مقادير مختلفة. ثم وقعنا في ريف خالص خالٍ من البيوت ولاحظنا على النساء القبعات الفيتنامية الشهيرة التي تبدو مقعرة قليلاً كأنها غطاء الطبق وهي واسعة إلا أنها أضيق من قبعات التايلنديات التي تبدو متساوية غير مقعرة إلا موضع دخول الرأس في وسطها.

ومررنا بمصنع للآجر وهو الفخار، وكان المنتظر أن تتعدد مصانع الآجر هنا لوجود التربة الطينية التي تجلبها مياه الأنهار، ولصعوبة الحصول على الإسمنت في البلاد.

أما الطريق فإنه ضيق لا يكاد يتسع لمرور سيارتين متقابلتين فكانت السيارتان إذا تقابلتا لا بد أن تهدىء إحداهما من سيرها كي تأمن الإصطدام.

ثم اجتاز الطريق قرية ريفية أخرى، لم أجد عند سائق السيارة استعداداً لكي يخبرني من أمرها بما لا أعرفه، لاحظت أن فيها عدداً من النساء اللاتي جلس يبعن على الطريق بضاعة مزجاة من الخضروات أكثر ما فيها ظهوراً الكرنب ونحوه.

ولاحظت هنا أن أشجار (البامبو) كثيرة نامية، وهي أشجار ذات قضبان كالخيرزان إلا أنها غليظة تستعمل في كثير من البلدان المطيرة مثل بنغلادش وبورما لبناء البيوت الخشبية، وهي لا تعمر طويلاً، ولكنها سهلة التكيف.

ثم مر الطريق فوق جسر على نهر ثالث متوسط السعة يشق ريفاً أخضر أكثر ما فيه هو المنظر المتكرر من حقول الأرز وبعض الخضروات.

كما تكررت رؤية البيوت الريفية التي تبين أنها هي البيوت الأكثر شيوعاً في البلاد وهي المؤلفة من غرفة واحدة وتكون مسنمة السقف لتنزلق عنها مياه الأمطار.

ولاحظت كثرة الخضروات التي تعرض للبيع على الطريق وأغلبها من الفاصوليا والكرنب.

## بلدة سالم:

وصلنا بلدة متوسطة الحجم ظننتها من ضواحي مدينة هانوي ثم تبين أنها بلدة مستقلة عندها جسر على نهر متوسط. وبيوتها رديئة المظهر جداً. وبيوتها القديمة من الخشب وكذلك مقدمات البيوت الحديثة، وقد رأينا أخشاباً مشقوقة كثيرة تباع من أجل أن تستعمل في بناء المنازل، وتبعد هذه البلدة عن هانوي ٧ كيلو مترات.

وأما البيوت الحديثة في هذه البلدة فإنها من لبن الإسمنت ولكنها في صغرها مثل القديمة، وتكثر المقدمات أمام البيوت فيرى المرء مقدمة لا تزيد مساحتها في المتوسط عن ستة أمتار أو ثمانية أمام البيت الذي هو غرفة واحدة في الأكثر، وقد يكون طبقتين على هذا الشكل.

وهذا من طراز لهم في البناء قديم، فقد رأينا البيوت القديمة عندهم لها مقدمات أشبه بالمظلات أمامها ولا شك في أنها ضرورية لوقاية واجهة البيت من المطر الكثير ومن الشمس الحارة في الصيف. ولكن الشيء الغريب أن يكون البيت نفسه من الآجر والإسمنت ومظلته التي أمامه من الخشب أو القش.

ورأينا أكوام الفاكهة معروضة للبيع في سوق هذه البلدة الذي هو طريق المطار إلى مدينة (هانوي) ومن أكثر الفواكه هنا ظهوراً الموز والمندرين وهو اليوسفي.

أما المواصلات هنا ـ فإنها الدراجات الهوائية المعتادة، وأما الدراجات النارية فإنها قليلة والمراد بذلك ما رأيناه في هذه البلدة التي تسبق العاصمة بسبعة كيلو مترات.

وقد رأيت هنا أشياء كثيرة ذكرتني بما رأيته في جنوب الصين منها: أشكال الناس على البعد وأحجامهم التي لا تبعد كثيراً عن أشكال الناس في جنوب الصين مثل أهل مدينة كانتون التي يسميها

المؤلف أمام إحدى البحيرات قرب مدينة هانوي

الصينيون (قوانغ تشو) إلا أن المرء إذا أمعن النظر من القرب فيهم وجد أنهم هنا أصغر أجساماً، وأقل وجاهة في عين الناظر الغريب. ومن ذلك كون الدراجات المعتادة هي أكثر المواصلات لسائر الناس، إلا أن المنازل في الصين جيدة المظهر واسعة المساحة خلاف ما هي عليه هنا.

والغريب أن لون التربة هنا ليس بهيجا فهو أغبر يميل إلى لون الرماد رغم مظهر التربة الطيني الذي يدل على الخصب، وكثرة الأنهار والمياه.

كما رأيت في أطراف البلدة أبنية متعددة الطوابق (عمارات) مما تبنيها الحكومات الشيوعية للإسكان العام ولكنها هنا صغيرة ومتطامنة، ولا ترقى إلى مثيلاتها في البلدان الشيوعية الأوروبية، ولا حتى في الصين الشيوعية.

واسم هذه البلدة (سالم)، ولا شك أنه لا علاقة له بالعربية، وإنما وافق لفظه هذا اللفظ العربي الأصيل، وقد ودعتنا هذه البلدة بشيئين أولها: مستنقع من الماء في خارجها مما يلي هانوي، الثاني: بوابة عليها موظفون يتقاضون رسم المرور من الطريق إلى المدينة ومنها سيارتنا التي دفع سائقها الرسم وقدره ٣ آلاف دونغ ويساوي أقل قليلاً من ربع دولار، وقال: هذا رسم لدخول المدينة.

## مدينة هانوي:

قبيل الدخول إلى المدينة وصلنا نهراً ضخم المياه، بل ملتقى نهرين ضخمين قد ركبوا فوق مكان اقترانهما جسراً حديدياً ضخماً قوياً

فيه مسارات للذاهب والآيب. وقد قدرت مياه النهر بمثل مياه النيل مع أنه النهر الخامس الذي رأيناه فيما بين المدينة والمطار إن لم تكن بعض هذه الأنهار فروعاً أو نهراً منحنياً متكرراً فلم يكن معنا من يخبرنا بحالها.

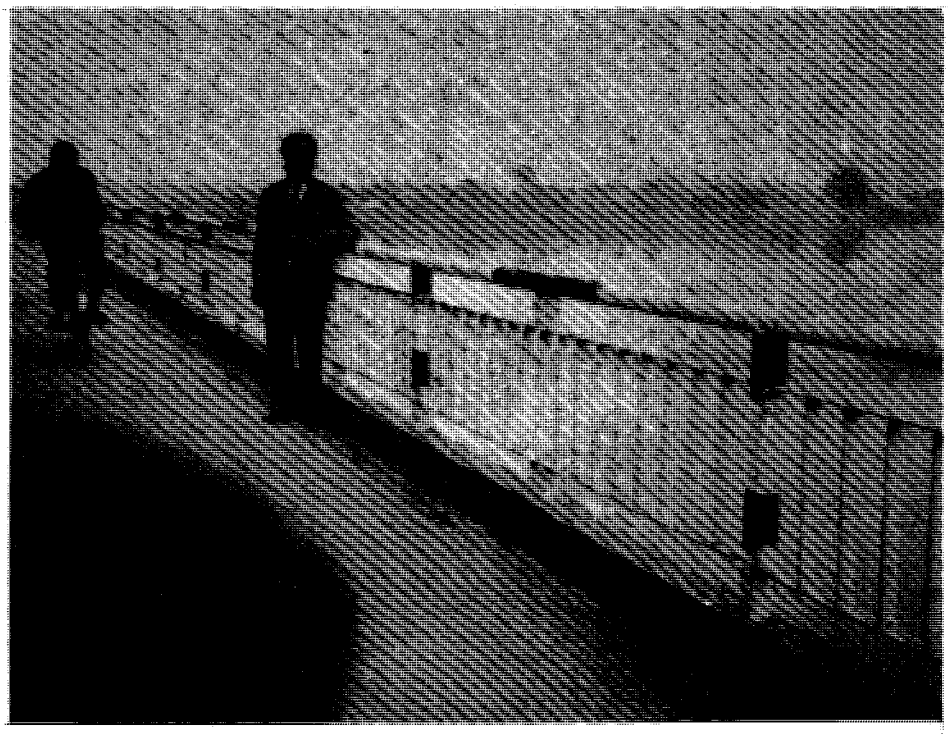

على جسر فوق نهر هانوي

وعندما انحدرنا من هذا الجسر الذي كان مرفوعاً على النهر وقعنا بدون مقدمات في مدينة هانوي، ولم نمر بضاحية فيها كما هو المعتاد في المدن. وذلك لكونها ليست فيها منازل جديدة كما يكون في ضواحي المدن النامية، بسبب الحروب التي استنزفت كل إمكانات حكومتها، وبسبب المذهب الشيوعي الذي لا يعطي فرصاً للاقتصاد الحر الذي يقوم به أهلها.

وصلنا وسطها بسرعة فهو قريب من طرفها فيما يلي هذا الطريق من هذه الجهة، وإلا فإن فيها ضواحي قديمة خارجة عن وسطها من جهات أخرى من المدينة.

توقف السائق عند فندق كان أهل المطار قد ذكروا لنا اسمه، فسألت موظفة في الاستقبال عن وجود غرفتين فيه، فقالت: لا يوجد، وكان المطر ينزل خفيفاً والجو بارداً.

وأعطتني الموظفة اسم فندق آخر هو (هاوبنه) فذهبنا إليه ونحن وجلون من ألا نجد فيه مكاناً إذْ ماذا نفعل إذا كان الأمر كذلك؟

وكلمت امرأة فيه فترددت قليلاً وقالت: لا توجد لدينا غرف خالية، ويمكن أن توجد في الثانية عشرة ظهرا، فقلت لها: إننا غرباء ولا نعرف البلد ومن الصعب علينا البحث عن فندق آخر.

فأخرجت إليّ قائمة تضم أسعار الغرف التي تتراوح من ٥٩ دولاراً إلى ٢٨ دولاراً. وهي ذات خمسة مستويات، وهذه عادة لهم جيدة، وهي أن يجعلوا الغرف في الفندق أنواعاً منوعة بحسب موقعها وما يحيط بها. فالتي تكون نافذتها على منظر مفتوح بسعر أعلى من التي تفتح نافذتها على ممر مغلق أو نحوه مع أن الغرفتين تكونان في حجم واحد وأثاث واحد.

ولكنها أخبرتنا أنه يمكن أن توجد لنا غرفتان بعد قليل من الغرف المتوسطة التي سعرها (٣٦) دولاراً فقبلناها شاكرين.

وقد أعطونا المفاتيح بسرعة فوجدنا الغرف في جزء ملحق بهذا الفندق قديم لم يجدد ولم يرمم مثل سائر ما في هذا الفندق، ولكن

مجرد وجود غرفة في فندق ذي سمعة جيدة مثل هذا الفندق الذي يقع في وسط المدينة قريباً من مقار السفارات الأجنبية والأبنية المهمة في المدينة هو مكسب عاجل.

لقد رثيت لعاملين حملا أمتعتنا لأن المصعد واحد موجود في مكان قريب من الاستقبال ويحتاج الذهاب إلى الجناح الذي فيه غرفنا إلى السير مسافة طويلة على القدمين.

أما الغرف فإنها شيوعية لم تختلف بشيء عن الغرف الشيوعية التي عرفتها من قبل إن صح التعبير بـأن للغرف مذاهب وهو صحيح بالنسبة إلى أهلها ـ فهي مهملة دون ترميم، فمثلاً الحمام الداخلي للغرفة ليس فيه مقبض أصلاً ومكان المقبض منه فراغ يدخل فيه الإنسان أصبعه من أجل جذب الباب، والباب الداخلي للغرفة الذي يفصل بين المدخل الذي بين الحمام وبين الغرفة يحك بالأرض ولا يغلق تماماً مما جعلنا نعاني من الهواء البارد الرطب الذي كان يتدفق والزجاج العلوي الذي في الباب الخارجي مكسور، ولم يُستبدل. وخزانة الملابس لا تغلق، بل يصعب تحريك بابها، وفيه شقوق، وقد بعد عهده بالدهان.

وقد ذكرني هذا بفندق نزلت فيه منذ سنوات في بلد شيوعي آخر آنذاك، ولكنه في قارة أخرى هي القارة الإفريقية وهو موزمبيق. وقد ذكرت ذلك مع ما شاهدته هناك في كتاب (صلة الحديث عن إفريقية) المطبوع. والسرير أيضاً ضيق، ففي الغرفة سريران ولكن كل واحد منهما ضيق ذكرني بالأَسِرة في فنادق الاتحاد السوفيتي وبخاصة في مدينة موسكو والوسادة صغيرة قد جعلوها بقدر ما يضع النائم رأسه، وإذا تحرك بسرعة سقط عنها.

ومن اللطيف المريح في هذه الغرف أنهم وضعوا مثلما يضع الصينيون في فنادقهم زمزمية وهي الوعاء الذي يحفظ الماء الحار، وبجانبه علبة فيها قليل من الشاي الفيتنامي الذي يشبه الصيني أيضاً في كونه ليس أسود ولا أخضر وإنما هو بين ذلك كما قدمت.

كما أن الغرفة فيها نعال سبتية (شبشب) تستعمل داخل الغرفة وفي الحمام، كما يفعل الصينيون أيضاً، وكذلك اليابانيون وكلهم لا تخلو فنادقهم من مثل هذه النعال بخلاف فنادق البلدان الأوروبية التي لا يضعون مثل تلك النعال داخلها، رغم كون الجو بارداً في بلادهم، وإن كانت غرف الفنادق عندهم تكون مفروشة في الغالب.

وأزحت ستارة نافذة من الغرفة فوجدتها تطل على منازل سكنية هي شقق صغيرة في (عمارات) والدليل الظاهر على صغرها، وإن شئت الدقة قلت: ضيقها أنهم قد شغلوا شرفاتها بأغراضهم إضافة إلي الملابس المغسولة.

## إلى السفارة التايلندية:

لم نضع وقتاً في الفندق، بل بادرنا بالذهاب إلى السفارة التايلندية من أجل الحصول على سمة دخول إليها بعد الانتهاء من زيارة فيتنام ولاوس فاستأجرنا بوساطة الفندق سيارة طلبها الفندق، بالهاتف من مكتب سياحي، وذكر أن أجرتها لمدة ساعة ونصف ما يساوي دولاراً أميركياً واحداً والأجرة محددة بعملتهم وهي ١٣ ألف دونغ لهذه المدة فما أرخصها، وهي سيارة يابانية جديدة معها سائقها.

سارت السيارة في شوارع (هانوي) التي هي واسعة جيدة في

وسط المدينة الذي فيه فندقنا وهو أفضل شوارع، وتشجيراً من أطراف

أحد الشوارع بمدينة هانوي

المدينة، وظني أن ذلك راجع إلى كونه خطط ونفذ في زمن الاستعمار الفرنسي، إلا أن أكثر الأرصفة مهملة، والإزفلت ليس بذاك.

والأغرب من ذلك وجود الغبار الذي لا تحتاج إزالته إلى مهارة ولا إلى نفقات طائلة، حتى وصلنا السفارة التايلندية في حي خارج عن وسط المدينة يتألف من أبنية منفردة، متعددة الطبقات (عمايز) بينها مساحات كبيرة من الفراغ المشجر بأشجار غير نضرة.

ولم نجد في السفارة أحداً من المراجعين وعندما اطلع القنصل على جوازي جاء إليّ بنفسه وأخذ يسألني بعبارات كلها مجاملة عن

الغرض من الدخول إلى تايلند ولماذا لم آخذ السمة من السفارة التايلندية في المملكة؟

فأخبرته بأن السبب في ذلك هو أنني لم أعرف بوجوب حصول السعوديين على سمة دخول مسبقة إلى تايلند، وإنما كنت في السابق أدخل دون حاجة إلى الحصول عليها، كما أخبرته أنني أريد سمة لأكثر من سفرة واحدة، لأنني سوف أنطلق من تايلند إلى كمبوديا، ثم أعود لأركب منها إلى المملكة، وقد سارع فمنحني سمة دخول لعدة سفرات مع عبارات المجاملة والترحيب واستغرق ذلك أقل من ساعة، لذلك بقيت في وقت سيارتنا التي استأجرناها بقية استعملناها في الذهاب إلى سفارة لاوس للحصول منها أيضاً على السمة فأخبرنا حارس فيها أنها مغلقة وسوف تفتح في الثانية ظهراً.

**أهذا جزاء الأبطال:**

عندما يطل المرء برأسه خارجاً من باب الفندق الذي نسكن فيه، وهو فندق (هاوبنه) يرى عشرات العيون الفاحصة التي يتقافز أصحابها من مقاعدهم فوق عرباتهم الركشاوية يتسابقون إلى الشخص الخارج من الفندق كل يريده أن يركب معه في عربة الركشا. ولو كانوا يقودون سيارات من سيارات الأجرة لما استكثر المرء عليهم ذلك وهم الأبطال الذين هزموا أعتى قوة حربية مادية على وجه الأرض وهي القوة الأمريكية.

ولكن عرباتهم الركشاوية هي كما قدمت عربات تحرك بالأرجل فيلاقي صاحبها الذي يسيرها من ذلك عناء، كما أن عائدتها قليلة جداً.

وعندما اجتمعوا علينا وكادوا يختصمون، وهم لا يختصمون إلا إلى حد معين عند سرعة المبادرة للغريب الذي قد يركب معهم، ولا يصل بهم ذلك إلى الصراخ والمبالغة في الكلام، فضلاً عن الصدام كان الإتفاق مع أحدهم على ثلاثة آلاف (دونغ) أجرة لحمل الشخص الواحد منا إلى سفارة لاوس، وهذه الأجرة هي أقل من ربع دولار أمريكي.

سرنا راكبين على عربتين ركشاويتين تتباريان كل أجرتهما أقل من نصف دولار، وقد اجتزنا شارعاً واسعاً من الحي الجيد أو الذي كان جيداً من هانوي وهو الذي يقع فيه فندقنا وهو واسع عريض الأرصفة. لكن أرصفته مهملة فيها الحفر والأشياء الكثيرة التي تحتاج إلى إصلاح.

وصلنا القنصلية اللاوسية فأصر (الركشاويان) أي صاحبا الركشا على أن ينتظرا عند باب القنصلية حتى ننتهي منها طمعاً في أن يعيدانا إلى الفندق مقابل نصف دولار تقريباً للإثنين.

ووجدنا موظفة في القنصلية سألتني عما إذا لم يكن لديّ مانع من جعل السمة على جوازي، لأن (لاوس) تعتبر شيوعية، فقلت: لا مانع من ذلك.

وعدنا لنجد (الركشاويين) ينتظران وظفرا بما أرادا من نصف الدولار للإثنين لكل واحد منهما ربع دولار. ولكنني سألت نفسي قائلاً: أهذا جزاء الأبطال، الذين ذاقوا الأهوال في الحرب والنزال، وصبروا صبر الجبال، حتى مرغوا أنوف الأمريكيين المتعالية في الأوحال. فخرجوا من فيتنام مذمومين مدحورين؟

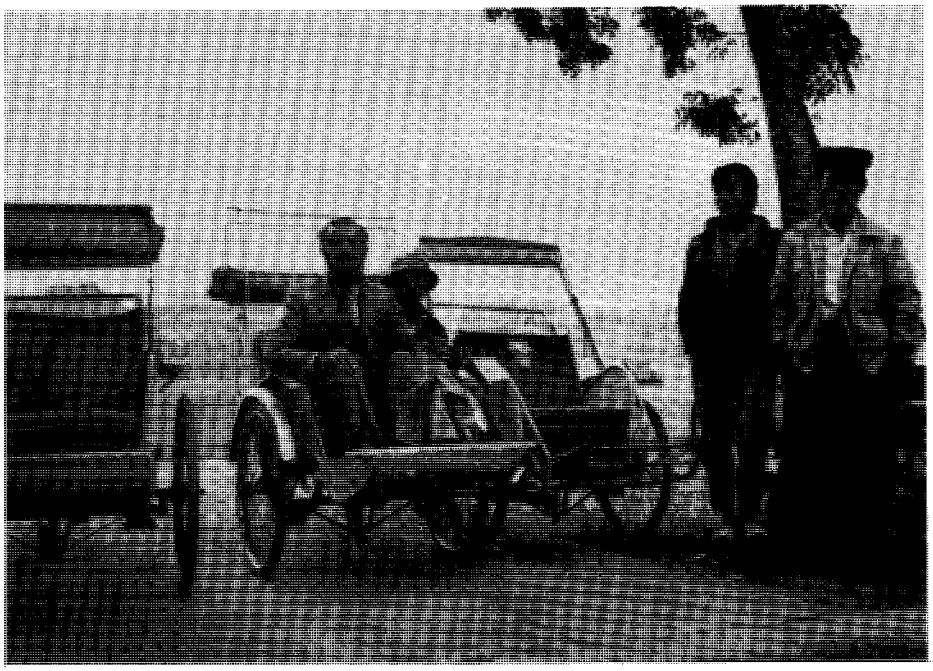

تذكارية مع سائقي «الركشا» في هانوي

ألا يحق لهذا الشعب الذي صبر وصابر أيام الجد والحرب أن يذوق طعم النصر، فتعمل حكومته على رفع مستواه في إحسان المسكن والملبس والمطعم والمشرب والعمل المشرف بدلاً من أن يتراكضوا على تسلم السائح النازل في الفندق في عمل مرهق جزاؤه ربع دولار.

وذكرت أنني قلت مثل هذا الكلام لوزير الأوقاف والشؤون الدينية في العراق الأستاذ عبد الله فاضل، وكان لي صديقاً آنذاك قلت لـه بعد أن وضعت الحرب ما بين العراق وإيران أوزارها، وانتهت بنصر العراق وقبل العدوان على الكويت: أرجو أن تبلغ الرئيس صدام

حسين أن هذا الشعب العراقي الصابر يستحق أن يرفه عنه في السلم لقاء ما بذله في الأيام العصيبة أيام الحرب، فيعطى حرية الدخول والخروج، ويرفع من شأن العملة العراقية حتى يكون استيراد السلع الأجنبية بثمن معقول.

وقد رد علي الوزير قائلاً: إنني لا أذيع سراً إذا قلت لك: إن هذا الأمر قد بحث في مجلس الوزراء ، وأن السيد الرئيس صدام حسين قد أمر بذلك، وكان أول ما أمر به من التوسيع على الشعب أن تتحمل الحكومة زيادة معينة في نفقات المعيشة، فتبذل للناس الخبز واللباس ونحوهما بأرخص مما كان.

هذا ما قاله لي وكنت قابلت الرئيس صدام في بغداد بعد بحث الأمر مع وزير الأوقاف بيوم أو يومين مع اللجنة التنفيذية للمؤتمر الشعبي الإسلامي على العادة المتبعة في مقابلته أثناء اجتماعات اللجنة في بغداد، ولكننا لم نبحث معه هذا الأمر وإنما بحثنا معه في إنشاء كلية إسلامية في بغداد لتستقبل طلاب المسلمين من أنحاء العالم الإسلامي. وقال أحد أعضاء اللجنة وهو الشيخ عبد الباقي جمو: إنها يجب أن تكون جامعة أيها السيد الرئيس والشيخ عبد الباقي هو أردني ونائب في مجلس الأمة الأردني.

وتبين بعد ذلك أن صدام حسين لم يكن يرمي إلى ما رمينا إليه، وإنما كان يخطط لشيء آخر وهو المضي في تكديس الأسلحة وصنعها في العراق استعداداً لاحتلال الكويت الذي كان من أمره وما سبقه ما كان مما هو معروف للجميع.

## تمشية في هانوي:

بادرنا بعد ذلك إلى السير على الأقدام في شوارع هذه المدينة الغريبة على أبصارنا وبصائرنا حتى قطعنا قرابة ٤ كيلو مترات.

ولاحظنا ما يمكن وصفه بأنه الفقر والمسكنة البادية على البلاد والعباد، وإن كان سببها مفهوماً لنا فالبلاد شيوعية تقصر العمل على من يخلصون للحزب الشيوعي، وتحد من طموح الطامحين غيرهم، بل تعطل قدرات العاملين غير الشيوعيين، وهي إلى ذلك خارجة من حرب بل حروب استمرت أكثر من ربع قرن من الزمان لو كانت مست قوماً غيرهم لكانت حالتهم غير حالهم، ويكفي أن نذكر حرباً لم تستغرق إلا أياماً شكا منها من لامسته شكوى مستمرة وأرجع كل نقيصة في الحكم وكل علة في البلد إلى تلك الحرب.

وتساءلت في نفسي عن الأفضل للشعب أن يكون مترفاً متمتعاً بلذات الدنيا من طعام وشراب ومسكن ولباس، ومن مركوب فاره وجيب عامر بالمال على أن يكون ذليلاً خانعاً قانعاً بذلك، صاغر النفس أمام الأعداء، أم يكون عكس ذلك ـ مثل هؤلاء الفيتناميين ـ ولكنه خالي الوفاظ من المال، عريّ الظهر من اللباس الذي يقصد به الجمال، لا يكاد يدرك عشاءه إذا أدرك غداءه، وإذا أدركهما معاً فإنه لا يعرف أطايب الطعام ولم يسمع بها حتى في الأحلام، لأن آباءه وأمهاته مثله لم يتمتعوا بها؟

ووجدتني أجيب نفسي بنفسي بأن الترف مذموم بنص القرآن الكريم كما قال تعالى: ﴿**وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا**﴾.

كما أن الشح والحرمان من طيبات الحلال في الدنيا أمر غير محمود، قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الناس كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً**﴾. وقال: ﴿**فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً**﴾.

ولاحظنا من الجولة أن الحوانيت والمتاجر في المدينة هي كبيرة واسعة، ولكن البضائع التي فيها قليلة غير متنوعة، بل غير جيدة، ولكنها رخيصة جداً بالنسبة إلى الأسعار العالمية. وذلك بسبب ضعف الرواتب وقلة الدخول في البلاد كما تقدم.

**الباعة على أرصفة أحد الشوارع بمدينة هانوي**

وقد رأيت عجوزاً تبيع موزاً صغيراً لذيذاً من الذي يسمى السكري، وهو يؤكل فاكهة طازجة وليس كالموز الكبير الذي منه

أخضر يطبخ طبخاً ويؤكل كذلك في بعض البلدان طعاماً رئيسياً كأوغندا وبعضه أصفر يصدر إلى بلادنا وأمثالها ويؤكل فاكهة طازجة.

فاشتريت من ذلك الموز السكري الذي يكون أغلى بكثير من الموز المعتاد حتى في البلاد التي تنتجه مثل هذه البلاد، وكان ما اشتريته ثمانية أصابع قطفت لتوها من شجرها بما يعادل ربع دولار أمريكي أو أقل قليلاً من الريال السعودي. كما رأيتهم عرضوا نبقاً كثيراً رخيصاً وهو ثمر السدر البستاني وهو كبير الحجم، لذيذ الطعم، وثمنه رخيص جداً، وهذا أوان إدراك ثمره.

ولاحظت قلة الطعام الذي يعرض على الأرصفة وتبيعه النساء في الغالب ويكون نزراً قليلاً، وقد رأيت مثيلاً له في سايقون وإن كان أقل مما عليه الأمر في تايلند.

والبلاد ندية كثيرة المياه حتى إن بعض البرك وتجمعات المياه التي تشبه البحيرات موجودة في عدة أحياء من التي رأيناها فيما قرب من قلب العاصمة.

وأما الميادين فإنها موجودة بكثرة وهي واسعة مثل شوارع المدينة التي يظهر أنها كانت فاخرة لأن الذين تولوا تخطيطها هم الفرنسيون عندما كانوا يستعمرون هذه البلاد، إلا أن كل قديم فيها باقٍ على قدمه دون تجديد.

ولم أرَ بيوتاً جديدة في العاصمة وإنما رأينا في أطرافها بعض البيوت التي تجدد وبخاصة ما كان قد خرب في زمن الحرب أو ما كان تجديده محدداً سهلاً.

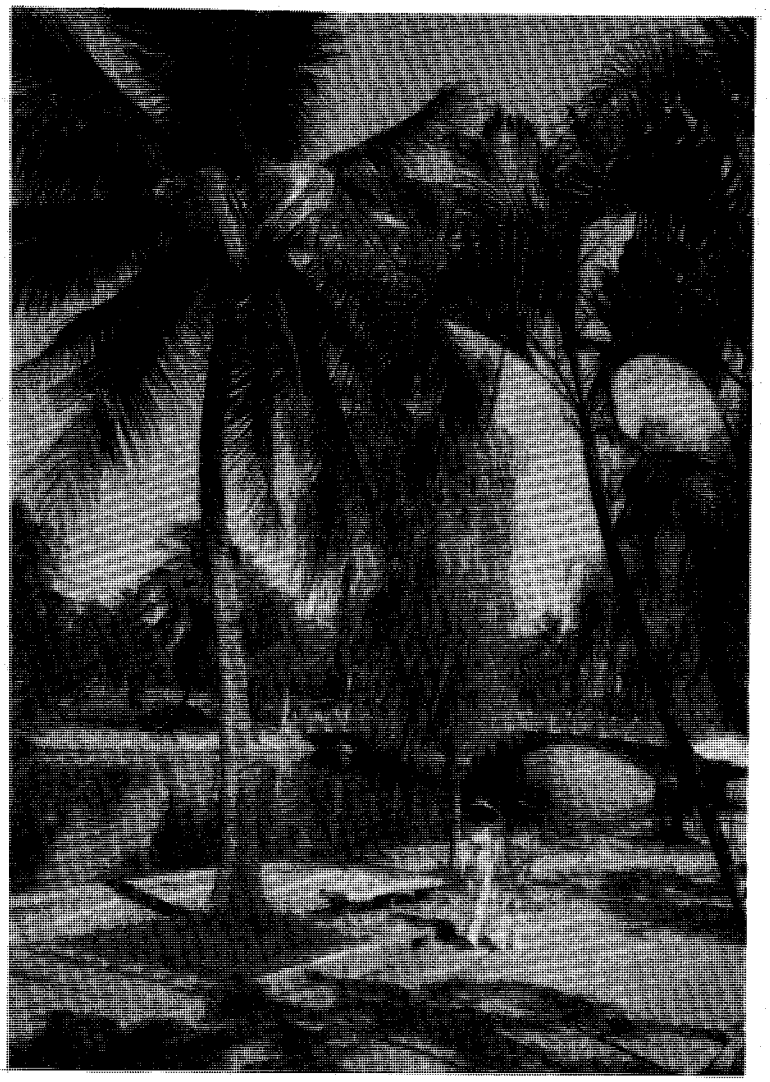

حديقة فيتنامية وفتاتان فيها بالزي الوطني

وبخاصة إذا عرفنا أن الضيق في البيوت هو الغالب على أهل هذه البلاد، فأكثر البيوت الشعبية العامة فيها تتألف من غرفة واحدة أمامها مقدمة ضيقة مسقوفة، ربما لا تتعدى مساحتها الأمتار الأربعة في المتوسط كما تقدم ذكره.

## أين آثار الحرب؟

كل من عاصر ـ مثلي ـ الحرب الفيتنامية وسمع بكثرة القنابل التي ألقتها الطائرات الأمريكية على فيتنام الشمالية عامة، وعلى عاصمتها هانوي بصفة خاصة يعجب لكونه لا يرى أي أثر من آثار تلك القنابل الآن.

وكنا سمعنا مراراً ما تأكدنا منه من وسائل الإعلام ورواة الأخبار أن الولايات المتحدة نفد ما كان عندها من قنابل، ولم تستطع مصانعها على كثرتها وسعتها أن تنتج ما يكفي من القنابل التي يحتاجها الجيش الأمريكي ليقذف بها فيتنام وأهلها فاضطرت إلى البحث عن القنابل والمقذوفات عند الآخرين تشتريها منهم وترسلها إلى فيتنام حتى وإن لم تكن قنابل متطورة، وحتى استهلكت كل ما كان قد بقي عندها وعند غيرها من قنابل متخلفة من الحرب العالمية الثانية.

ومع ذلك فإن الشعب الفيتنامي كما صبر لتلك القنابل فإنه عمر ما كانت قد أحدثته من خراب، وإن كان لم يستطع أن يبني في البلاد جديداً، وإنما أبقى القديم فيها على قدمه.

وإذا دققت النظر في وجوه هؤلاء الفيتناميين رأيت من قسماتها الخفية الجد والصرامة، وإذا نظرت إلى رؤوسهم الصغيرة خيل إليك أنها الشمم والشهامة، وإذا تأملت أجسامهم النحيلة ظننت من وحي ما علمته في السابق عنهم أنها كلها أعصاب مشدودة لا أثر فيها لرخاوة ولا طراوة.

ومن الفروق ما بينهم وبين إخوانهم أو بني عمومتهم، أهل

سايقون أن أهل هانوي أقل فضولاً من أهل سايقون فالغريب مثلنا الذي يلبس اللباس العالمي المسمى بالإفرنجي الذي صار لا يلفت أنظار أحد يجد من أهل سايقون من يتابعه بنظره منهم يستوي في ذلك الصغير والكبير.

وأكثر من يتابعه منهم ببصره النساءُ، أما في هانوي فإنه أقل بكثير، وأما النساء فإنهن أقل متابعة للأجانب بأبصارهن، بل إنك تكاد تجزم أنهن لا ينظرن إليهم إلا كما ينظرن إلى غيرهم من الرجال، وربما كان من أسباب ذلك كثرة السياح الذي يصلون إلى سايقون بالنسبة إلى قلتهم في هانوي.

والرجل الغريب في البلدان الشيوعية إذا كان من بلد رأسمالي غني أو فيه أثرياء، فإنه يمثل المال الذي يمشي على الأرض، ويعني في نظر المرأة المتطلعة أن لديه ما ليس لدى الآخرين من أهل البلاد.

## أنحن في الصين؟

هناك فروق ظاهرة ما بين الصينيين والفيتناميين. كما هي عليه الحال بالنسبة إلى جيران الصينيين الجنوبيين الآخرين من التايلنديين والبورميين، وإن كان الطابع الصيني العام يكاد يجمع بينهم في كثير من الأشياء.

وعندما وصلنا إلى (هانوي) وشاهدنا طائفة من السكان فيها سآلت نفسي حقاً عما إذا كنت في الصين؟ وعرفت بعد ذلك أن هناك أعداداً من ذوي الأصول الصينية في هذه المدينة، ولكنهم ليسوا من الكثرة بحيث يؤلفون نسبة مهمة من سكانها. إلا أن طائفة من السكان

فيهم شبه ظاهر من ملامح الصينيين وإن لم يكونوا منهم.

وحتى اللغة الفيتنامية ولا علاقة لها باللغة الصينية، وإنما هي لغة مستقلة فإن الغريب الذي لا يعرفها إذا سمع الناس يتحدثون بها في هانوي وما حولها خيل إليه إذا كان مثلي قد قرع سمعه الحديث باللغة الصينية كثيراً لا بد أن يسأل نفسه عما إذا كانت هذه هي اللغة الصينية.

المؤلف في أحد الشوارع التجارية في هانوي

وقد تحدثت كثيراً مع عارفين بالأمور من أهل البلاد، وحتى ممن يعرفون اللغة الصينية فكلهم أجاب بأن لا علاقة للغة فيتنام بلغة الصين، كما أن لا علاقة لشعب فيتنام بأهل الصين وإنما هو شعب ذو عنصر مستقل.

وذلك كله رغم الشبه الظاهر، ورغم ما يقال عن تاريخ موغل في القدم كانت لشعب جنوب الصين علاقة بالشعوب التي تقطن الآن إلى الجنوب وإلى الغرب منه.

وهناك فارق يلاحظه الغريب الذي يأتي ـ مثلما أتينا ـ من الجنوب إلى الشمال وهو أن التجارة في الشمال أقل بكثير منها في الجنوب، والأخلاق وحسن المعاملة ـ في الشمال أفضل وأرقى من الجنوب.

ففي الجنوب المصلحة المادية هي الهدف دائماً، وفي الشمال الأمر مختلف، حتى النساء اللاتي مظهرهن مظهر العارضات لأنفسهن هن موجودات في الجنوب ولا يكاد المرء يلمح أمثالهن في هانوي.

ومصنوعاتهم رخيصة جداً فمثلاً اشتريت أواني عشراً من الخشب المجدول المخروط المزين بنقوش كل إناء داخل الآخر حتى تصبح العشرة كأنها إناء كبير واحد بـ ٦٥ ألف دونغ أي أربعة دولارات وربع، وهذا منتهى الرخص.

كما اشتريت (مجموعة شاي) من الفضة وهي صغيرة، وإنما تعرض في خزانة التحف ولا تستعمل فعلاً للشاي بـ ١٠٠ ألف دونغ أي سبعة دولارات تقريباً.

والملاحظ أيضاً أن السائلين والمستجدين (الشحاذين) هم قليل في الشمال فمن النادر أن تجد من يسألك إذا رآك غريباً على حين أنهم كثرة كاثرة في الجنوب، وبعضهم هناك يلحف ويلح في السؤال حتى يضجرك.

ومجرد الظهور بمظهر الرجل الغربي، ونحن يعتبروننا من ذوي المظاهر الغربية كافٍ لجعل الشحاذيين والمستجدين يلاحقونك ويؤذونك.

ولا شك في أن مرجع ذلك إلى قلة الأجانب الذي يأتون إلى هانوي بالنسبة إلى من يأتون منهم إلى (سايقون). والنساء في الشوارع موجودات بكثرة، وكذلك هن يركبن الدراجات كالرجال، إلا أن التزين والتبرج قليل.

وفي العودة مررنا بخطوط فيتنام الجوية وحجزنا منها إلى مدينة (فنتيان) عاصمة لاوس وعدنا نسير على أقدامنا مثقلين محبة في المشي. واستجلاء أمر هذه المدينة الغريبة.

## الخروج بدون نقود:

عدنا إلى الفندق بعد الخامسة بقليل، وقد غربت الشمس أو كادت فانطفأت الكهرباء منه، وتعطلت الحركة فيه لأنهم لم يعملوا كما تعمل الفنادق في البلدان الحرة حيث يكون فيها مولدات كهربائية خاصة أو حتى شموع أو مصابيح كهربائية يدوية يكتفي بها عن التيار العام حتى يعود.

ولبثنا في حبس مظلم مدة ساعتين لم نستطع الحركة ولا الكتابة ولا الاستفادة من الوقت، ثم عادت الكهرباء بعد ذلك فسألنا فتى في مكتب الاستقبال من الفندق عما إذا كان الخروج آمناً في الليل إذ نحب أن نتمشى فقال: إنه لا بأس بذلك بشرط أن تتخلوا عن ساعاتكم اليدوية وأن لا تأخذوا معكم نقوداً ذات بال.

وخرجنا بالفعل ولكننا وجدنا ما حول الفندق مظلماً، وكأننا في

منتصف الليل مع أن الساعة تقارب الثامنة. وذكرنا فندق (ركس) في سايقون وكيف أن الميدان الذي يقع عليه الفندق ويسمى (ميدان ركس) أيضاً يظل الناس فيه إلى قرابة نصف الليل وهم في ليل كالنهار إذ يجدون مقاعد حجرية يستريحون عليها والأنوار كافية.

ولما لم نجد ما يحسن الإطلاع عليه عدنا إلى الفندق وقصدنا المطعم الذي كان قليل الرواد، رغم ضخامة الفندق وكثرة نزلائه ولكن ربما كان أكثرهم يتعشون مبكرين. فطلبنا الأرز بالإربيان وهو صغار السمك الذي تسميه العامة عندنا (الروبيان) وهو في مصر (جمبري) فجاؤا بالإربيان كبير الحجم، لذيذ الطعم.

ولما جاء العامل بالقائمة كان قد كتب فيها ٣٠ ألف دونغ فظننته كتب ثلاثين دولاراً وهو يسوي الثمن وأكثر منه في أوروبا، ولكن تبين أن الثمن هو ٣٠ ألف دونغ ويساوي ذلك دولارين اثنين فقط على وجه التقريب.

وهذا رخص متناه، والواقع أن فيتنام تعتبر جنة للسائح غير المترف الذي يريد أن يمتع بصره وفكره بالمعلومات وبطنه بما يوجد فيها من طعام حلال له، كالسمك والإربيان إلا إذا وجد مطعماً أسلامياً كما وجدناه في (سايقون)، فإنه سوف يأكل طعاماً لذيذاً ذا نكهة خاصة بما يشبه المجان.

أما في (هانوي) هذه فإنه لا يوجد فيها مطعم للمسلمين وذلك لقلة المسلمين فيها من أهلها وقلة من يترددون عليها من المسلمين من غيرهم.

أما العاملون المسلمون في سفارات الدول الإسلامية فإن لهم في طعامهم حديثاً قد يأتي بعد ذلك.

## يوم الأربعاء ٢٨/٥ ١٤١٢ هـ ـ ٤/١٢/١٩٩١ م:

أفطرنا في مطعم الفندق هذا الصباح، وقال لنا الموظف: إن الطعام مجاني داخل ضمن أجرة الغرفة التي هي ٣٥ دولاراً أمريكياً.

وجاء به خبزاً وبيضاً صليقاً أي مسلوقاً وزبداً وشاياً. واعتذر بأنه لا يوجد لديهم الإفطار الأوروبي الذي أهم ما فيه (الهام) وهو لحم الخنزير الصغير. فقلنا: ما رأينا إحساناً يُعتذر منه كهذا.

## في السفارة المصرية:

ذهبنا إلى السفارة المصرية في هانوي وقابلنا السفير الأخ (مصطفى شنيف)، ويعرف عنه اهتمامه بالشؤون الإسلامية هنا وبخاصة العناية بجامع هانوي فهو رئيس لجنة المسجد المؤلفة من سفراء الدول الإسلامية.

وقد وجدنا أنه بالفعل مهتم بأمور المسلمين قائم بما يستطيعه من ذلك، إلا أنه قال ما قدرناه له وهو أن هذه بلاد شيوعية تعادي الدين بطبيعة نظامها وإن كانت الآن لا تفعل ذلك نتيجة للتغيرات التي طرأت على الفكر الشيوعي في الدول الأوروبية، وبخاصة في الاتحاد السوفييتي منبع الشيوعية ومركزها الأول قد خففت من غلواء

الملحدين، بل خففت حتى من تمسكهم بشيوعيتهم وإن كانوا لا يزالون متمسكين بها على اعتبار أنها النظام السياسي الذي يمسكون من خلاله بزمام الأمور في هذه البلاد.

مع الأستاذ مصطفى أبو شنيف سفير جمهورية مصر العربية بمكتبه في هانوي

وقد أعلن الحزب الشيوعي الفيتنامي في مؤتمره الأخير الذي انعقد في شهر يوليو الماضي أن الدين مهم للحياة وهذا تطور مهم جداً. وكان السفير (مصطفى شنيف) قد عمل في عدة بلدان قبل فيتنام منها أنه كان قنصلاً مصرياً في الرياض لفترة معينة.

## السفارات العربية:

وفيتنام فيها سفارات ست لدول من الدول العربية هي: مصر وفلسطين والجزائر والعراق واليمن وليبيا.

وكنا سمعنا أنه ليس كل العاملين في السفارات العربية يؤدون صلاة الجمعة في الجامع، بل يصلي بعضهم وإنما توجد سفارتان فقط هما المصرية والليبية يصلي كل العاملين فيهما صلاة الجمعة بانتظام، مع أن عدد العاملين فيهما قليل، ففي المصرية أربعة فقط، وفي السفارة الليبية خمسة.

وأما الدول الإسلامية الأخرى فإن العاملين في سفارتي اندونيسيا وماليزيا يصلون كلهم صلاة الجمعة بانتظام. أما بقية العاملين في السفارات ففيهم من يصلي ومنهم من لا يواظب على صلاة الجمعة.

وأما المسلمون من أهل البلاد أي أهل (هانوي) الأصلاء فإن عددهم قليل، بل لا يعرفون إلا أسرة فيتنامية واحدة.

## جمعية المسجد:

لا يوجد تجمع للمسلمين من أهل فيتنام في هانوي كما تقدم، لذلك لا توجد لهم جمعية إسلامية رسمية ولا جهة منهم تتولى شؤون جامع هانوي الذي هو المسجد الوحيد المفتوح في هذه المدينة الكبيرة.

وقد ألف العاملون في سفارات الدول المسلمة جمعية فيما بينهم هدفها القيام على شئون الجامع والعناية به. فعينوا أحد الإخوة المسلمين الفيتناميين لحراسة المسجد، وأعطوه مسكناً من غرف

ملحقة به مبنية مع بنائه القديم إلا أنها هيؤها، وصاروا يتناوبون فيما بينهم إمامة المصلين يوم الجمعة الذين يتراوح عددهم ما بين ٣٥ إلى ٣٠ مصلياً في المتوسط.

قالوا: وفي يوم الجمعة يفتحون باب التبرع ويتبرع الشخص منهم في المتوسط بدولار واحد، وقد يتبرع بإثنين فيتألف من ذلك مبلغ جيد في هذه البلاد يكفي راتباً لحارس المسجد وللكهرباء والماء وللمصاريف القليلة الأخرى، وذلك لغلاء العملة الأجنبية أو ان شئت قلة لانحطاط قيمة عملتهم الفيتنامية.

وقد أخبرونا أن أرضية المسجد تحتاج إلى إصلاح فقررنا أن ندفع لهم ألفي دولار أمريكية لهذا الغرض، إلا أننا لم نجد منهم من يحب أن يتسلمها، على اعتبار أنهم (دبلوماسيون) يجب أن يقتصر عملهم الرسمي على ما يتعلق بوظائفهم ولأنه لا توجد جمعية رسمية مسجلة للعناية بالمسجد.

## الأديان في فيتنام:

لمناسبة الحديث عن قلة عدد المسلمين هنا يمكن تلخيص الوضع الديني في فيتنام بأن عدد السكان يبلغ ٦٨ مليوناً من النفوس ٤٨ مليوناً منهم في شمال فيتنام الذي فيه العاصمة (هانوي) و ٢٠ مليون منهم في الجنوب الذي عاصمته الآن (هوشي منه)، التي كان اسمها (سايقون) عندما كان الجنوب دولة مستقلة تحت رعاية الولايات المتحدة وحمايتها التي لم تغن عنها شيئاً.

ومن السكان ٤٪ فقط من المسيحيين رغم السيطرة الطويلة من

فرنسا على فيتنام، وكان المنصرون يجتهدون في نشر النصرانية. وكذلك عندما صارت جنوب فيتنام تحت ظل الولايات المتحدة وتحارب الشيوعيين وتنفر من ثقافتهم كان المنصرون نشيطين فيها، ولكن جهودهم لم تثمر الثمرة التي كانوا يرجونها. و٧٠٪ من السكان هم من البوذيين و١٪ مسلمون وأديان أخرى و٢٥٪ دين يسمى (كاو داي) وهو دين فيتنامي قديم.

## جامع هانوي:

ذهبنا لرؤية (جامع هانوي) مع السفير المصري على سيارة

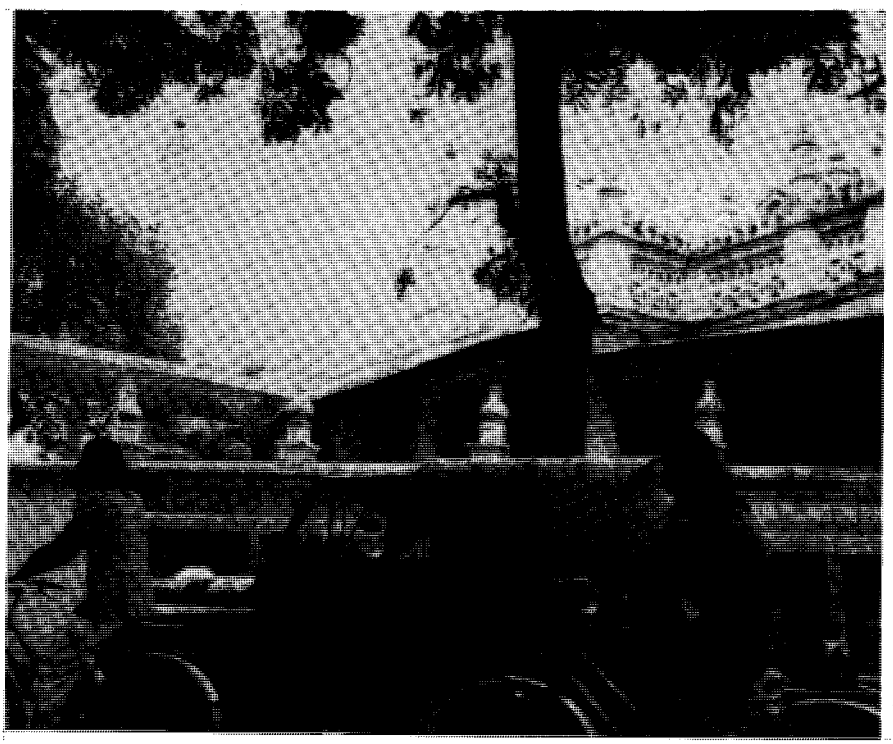

منع ازدحام شارع جامع هانوي وضيقه من وضوح صورته

استاجرناها من مكتب حكومي للسياحة وهي حافلة صغيرة قديمة أجرتها ٢٠ دولاراً حتى الساعة السادسة من مساء اليوم.

وهذه أجرة كثيرة بالنسبة إلى أجور السيارات التي كنا ندفعها في (هوشي منه)، وجدنا جامع (هانوي) عظيماً حقاً بمظهره الضخم الرائع ذي المآذن الأربع الشامخة وبنائه الحجري القوي.

وهندسته غريبة ليست مثل هندسة المساجد في جنوب فيتنام، حيث يغلب هناك بناء المساجد على الطريقة الملايوية. ولا هو بطراز المساجد على الطريقة الهندية المتأثرة بالطراز المغولي الهندي للبناء.

وقيل لي: إنه بني على طراز محلي وطني عريق في البناء قد بنيت عليه المعابد القديمة وإن كان بانوه أبرزوا ما يظهر أنه مسجد مخالف لتلك المعابد.

ويصح أن يقال: إن المسجد يتألف من عدة أبنية أهمها المصلى وهو المسجد الرئيسي وهو متوسط السعة ذو أعمدة ضخمة قد كتبوا على محرابه الذي هو معتاد الشهادتين بالعربية (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، وتاريخ بنائه بأرقام عربية ١٣٢٣ هـ. وحوله أروقة عديدة وبجانبه مبانٍ ملحقة به يسكن في أحدها الحارس مع أسرته، وبعضها كان يستعمل مدرسة إسلامية قبل أن يغادر المسلمون فيتنام، والآن بقيت معطلة، وقد عرفت بعد ذلك أن الذي قام على بنائه وانفق عليه النفقة العظيمة هم الأخوة من مسلمي الهند الذين كانوا يعملون تجاراً في فيتنام وغادروها بعد أن استولى الشيوعيون على الحكم.

وهم بذلك جديرون لما رأيت من عظم المسجد الذي بنوه وهو جامع سايقون أي هوشي منه الذي تقدم ذكره.

ولم نجد حارس المسجد، وإنما وجدنا أخاً له مسلماً اسمه إبراهيم التقطنا معه صورة عند مدخل المسجد.

ويقع المسجد على شارع مزدحم اسمه (تانغ هانغ لوك) من محلة اسمها (هانغ ماه). وله أربع منارات شامخة اثنتان منها أكثر ارتفاعاً من اثنتين.

**صورة من الشارع لجامع هانوي**

وقد كتبوا على مدخله الخارجي الذي يفضي إلى فناء مكشوف غير واسع جملة (الله أكبر)، وزينوه بوضع شعار المسلمين عليه وهو الهلال الذي تتوسطه نجمة. وكل ذلك من الحديد فوق بوابة حديدية.

وانطلقنا مع شارع المسجد الذي أفضى بنا إلى ميدان تتفرع منه

عدة شوارع من شوارع وسط المدينة المزدحم وكله ذو منازل متلاصقة وحوانيت بعضها بجانب بعض. مما يعطي الانطباع بأنها كانت قلب مدينة هانوي التجاري القديم، ولا تزال مزدحمة حتى الآن ولا تزال الحوانيت فيه عامرة بالسلع إلا أنها غير فاخرة ولا غالية.

وقيل لي: إن حكومة فيتنام الشيوعية أبقت على كثير من التجار الذين كانوا يعملون في حوانيتهم، وجعلتهم بمثابة الوكلاء الذين يبيعون لها ما تريد بيعه، بدلاً من أن تبيعه بوساطة محلات حكومية فيها موظفون حكوميون كما هو عليه الحال في الدول الشيوعية الأخرى. كما صارت تغض الطرف عن التجارة التي يمارسها التجار

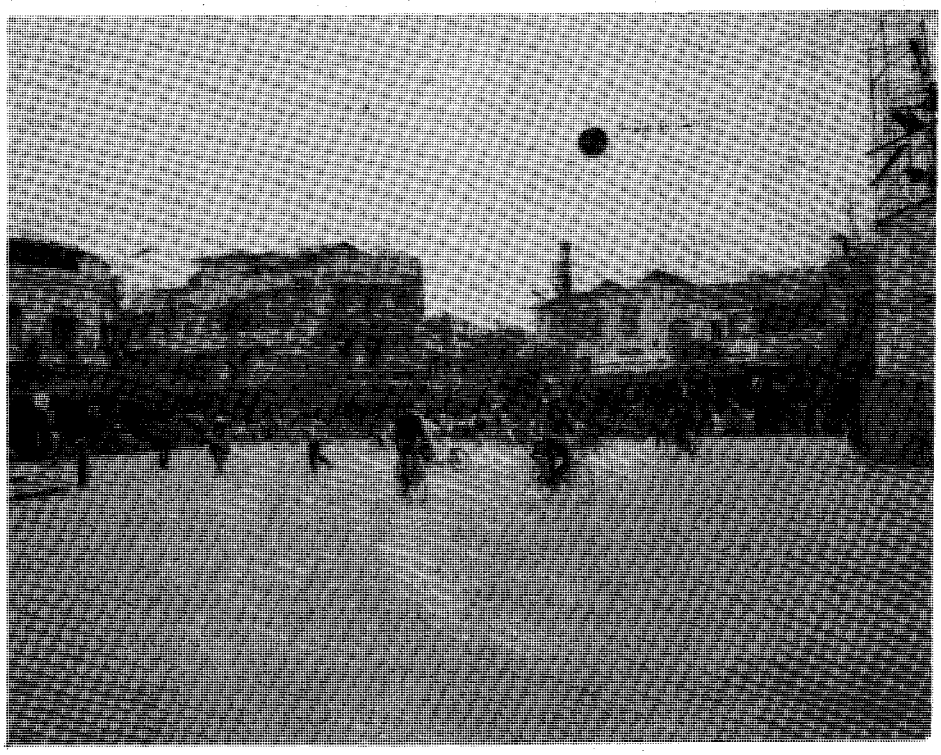

ميدان من وسط هانوي

من أنفسهم لأنفسهم، ولكنها لا تغض الطرف أبداً عن تحصيل الضرائب التي تفرضها عليهم الحكومة وهي كثيرة فيما قالوه.

وقد صعدت إلى محل تجاري قديم فيه يصعد إليه في طابق فوق الأرضي مع درج مكشوف واستمتعت برؤية المنطقة من مكان عالٍ، والتقطت لها صوراً من ذلك المكان.

## غداء السفير:

دعانا السفير المصري الأخ (مصطفى شنيف) إلى طعام الغداء في بيته ومثل هذه الدعوة لها معنى خاص، لأن أهل البلاد لا يحل طعامهم لكونهم ليسوا من أهل الكتاب الذين تحل ذبائحهم، ولا سيما أنهم من المشهورين بأنهم من أكلة لحم الكلاب لا يستخفون بذلك ولا يكتمونه، بل يظهرونه للناس.

ولهذا السبب لا يستطيع المرء منا أن يأكل في المطعم إلا إذا كان ذلك سمكاً مشوياً أو مقلياً قد تحقق من الزيت الذي قلي به، لئلا يكون من شحم الخنزير.

وقد تغدينا في بيت السفير وهو جيد واسع، ومؤثث تأثيثاً مناسباً. وكان الغداء منوعاً من الشواء إلى شيء من اللحم الصليق وهو المسلوق، والأرز والخضروات، ثم الحلوى، وأدينا صلاة الظهر مع السفير في بيته ثم جمعنا العصر معها.

## جولة في مدينة هانوي:

كانت الجولة على سيارة السياحة التي استأجرناها غير أن سائقها

لا يعرف غير لغته ولم يكن في مكتب السياحة من يعرف الإنكليزية لذا أعطتنا السفارة المصرية كاتبة فيها من أهل البلاد تعرف الإنكليزية، وهي فيتنامية أصيلة ضئيلة الجسم، قصيرة القامة، إلا أنها ذكية. بل تتوقد ذكاءً، وأما مظهرها فإنها كما كان يقال فيمن يكون مظهرها ليس على ما يراد من الجمال، إنها (مستورة) والستر الذي يعني ستر الوجه والكفين بعيد عنها، وما عدا ذلك من جسمها فإنه مستور ما عدا رأسها.

واسمها (فان) وهذا اسمها الأول أي الخاص واسمها الكامل هو (انغوين نغوك فان)، وميزتها أنها تعرف الإنكليزية ومثقفة ثقافة عامة جيدة.

بدأت الجولة في السوق الذي كنا رأينا بعضه، ولكننا وقفنا عند بائعات خضروات وبيض من أجل رؤية القبعات الفيتنامية الأصيلة وتصويرها فكلمتهن مستأذنة بالتصوير فلم يمانعن.

ثم مررنا بقصر الملك الذي هو ملك فيتنام قبل الشيوعية وقد بني عام ١٨٨٥ م، ولم ندخله لأننا نريد الإطلاع على أشياء كثيرة أهم فيما بقي من نهار هذا اليوم.

## متحف هوشي منه:

هو متحف ذو مبنى ضخم مداخله وأبهاؤه أكبر من حقيقته ومن مستوى معروضاته، بناه الشعب الروسي هدية للشعب الفيتنامي كما كتبوا ذلك عليه وتم بناؤه في عام ١٩٨٠ م حيث سلمه الروس إلى الفيتناميين.

واسمه (متحف هوشي منه) اسم على مسمى فقد أسس ليضم بالدرجة الأولى كل ما يتعلق بحياة زعيم فيتنام الذي قادها إلى النصر على الفرنسيين ثم على الأمريكيين وذلك منذ ولادته في عام ١٨٩٠ م حتى وفاته في عام ١٩٦٩ م.

وكان أول ما نوه به المتحف أن الزعيم (هوشي منه) لم يتزوج، وإنما كان زوجه الشعب الفيتنامي كله بمعنى أنه قد حمل همومه وقاده في الحروب المتواصلة التي خاضها حتى النصر. فشغله ذلك عن الزواج.

وقد حرصت (السكرتيره) فان على القول بأنه أيضاً لم يزن، وقالت: إن الذين يعرفونه من قرب ذكروا أنه لم يمارس ذلك.

كان أول ما فعلوه بإسراف ظاهر وبتفاصيل لا داعي لها هو أن عرضوا بالصور مختلف مراحل حياته منذ أن كان طفلاً حتى أصبح شاباً ثم شيخاً وتوفي، ما كان من ذلك مصوراً تصويراً شمسياً (فوتوغرافياً)، وما كان منه مرسوماً رسماً مستوحى من الأحداث التي رويت عنه أو حدثت له في حياته.

ولم يكن ذلك يستهويني كله، إنما كنت توقعت أن أجد في المتحف ما يلقي ضوءاً على تاريخ هذه البلاد الفيتنامية وماضيها البعيد والقريب.

## عاشق الأمة:

من الطريف الذي أوضحوه هنا أن اسم (هوشي منه) ليس هو اسم الزعيم الذي سماه به أبواه، وإنما هو اسم خلعه عليه أصحابه

ورفاقه في الكفاح ضد المستعمرين عندما اكتشفوا مواهبه في ذلك، وسموه به عام ١٩١٧ م عندما كان أمثاله يحبون النساء أو غير النساء من الأشياء التي يحبها الشاب في العادة وانصرف حبه كله إلى الكفاح من أجل الأمة الفيتنامية فسموه محب الأمة، أو عاشق الأمة (هوشي منه).

## مخلفات بسيطة:

عرضوا في هذا المتحف جميع ما كان يستعمله الزعيم في حياته من أشياء حتى ما لا أهمية له. مثل كرسي رث كان يجلس عليه، وعصا غير معتنى بها.

وإن كان في ذلك أشياء مهمة توضح أدواته وأمثاله في الكفاح ضد سيطرة الأجانب على البلاد عندما بدأ ذلك، فقد عرضوا الأسلحة التي كان يستعملها وهي أسلحة بسيطة في بادىء الأمر تألفت من بنادق قديمة وأسلحة يدوية.

والطريف في الأمر أنهم عرضوا المكتب الذي كان يجلس إليه بعد أن أصبح زعيماً فوجدناه من الخشب الخشن يتألف من مائدة خشبية، وكراس خشبية خشنة مما يدل على الخشونة والتقشف التي كان عليها هو ورفقاؤه وبعدهم عن التنعم والترف، وما شبهت الكراسي التي في مكتبه إلا بالمقاعد في المقاهي الخشبية الفقيرة في بعض البلدان العربية قبل ربع قرن مثلاً.

كما عرضوا تطور كفاح الشعب الفيتنامي بقيادة هوشي منه. وذلك بإبراز أشياء غير مهمة مثل بعض الإحصاءات وبعض العبارات

الحماسية، بل الثورية، ورسوم رسمت لهذا الغرض واضح منها أنها مبالغ فيها.

مع أن كفاح الشعب الفيتنامي الذي قاده زعيمه (هوشي منه) لا ينكره عاقل، بل قد صار مثالاً يحتذى لمن ليس لهم من ماضيهم التاريخي ولا من مثلهم الدينية والعقدية ما يستلهمون منه الكفاح، أو لم يريدوا أن يفعلوا ذلك.

ولكن المبالغة وأظهار شيء غير مهم بمظهر المهم والتفصيلات الكثيرة غير الضرورية جعلت المرء يخرج من المتحف غير معجب.

وقد فعلوا ذلك لكونهم خصصوه لهوشي منه نفسه، وليس هو متحفاً قومياً أو عاماً، أطلقوا عليه اسم الزعيم.

## المعبد البوذي القديم:

جعلوا كل ما حول هذا المتحف حرماً له إلى مسافات واسعة، فنسقوا أشجاره ورصفوا ممراته ومماشيه حتى وصلوا إلى معبد بوذي صغير قديم ذكروا أن تاريخ بنائه لأول مرة يرقى إلى تسعمائة سنة، إذْ أسس في القرن الحادي عشر الميلادي.

وهو مرفوع عن الأرض بخشب، ولذلك يصعد إليه من درج، ورفع المعابد البوذية أمر متبع حتى إنهم كانوا يبنونها في العادة على قمة تلة أو جبل أو في أحضان جبل إذا لم يستطيعوا أن يصلوا إلى رأس الجبل. ويتكلفون لذلك صعوداً مرهقاً. وقد رأيت ذلك في أماكن عديدة من العالم الذي فيه اتباع لتلك الديانة البوذية أو كانت الديانة البوذية شائعة فيها من القديم مثل نيبال وتايلند وبورما.

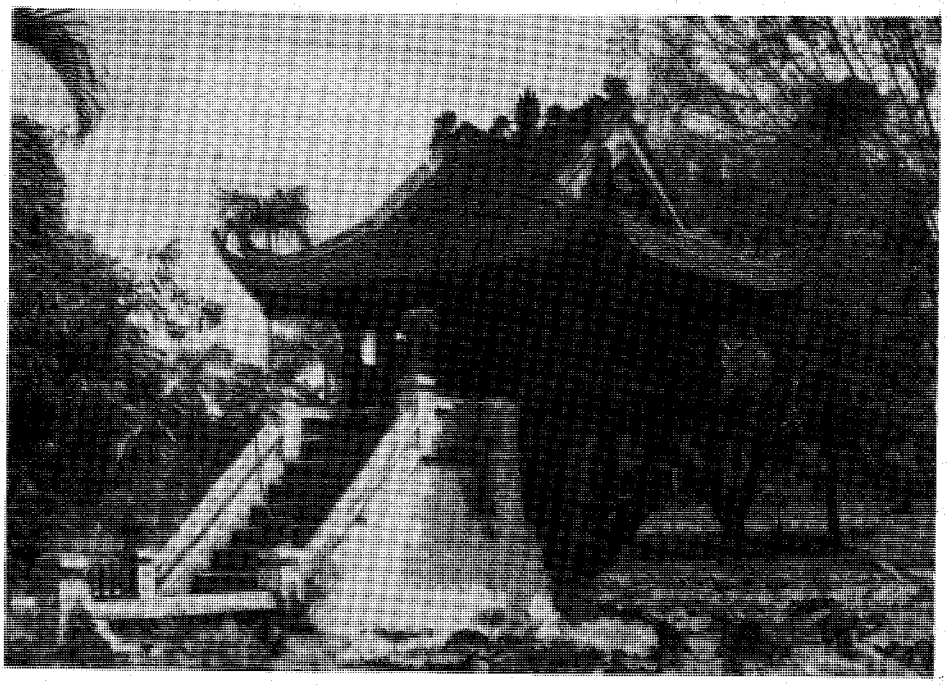

المعبد البوذي الصغير

مع أن هذا المعبد الذي نذكره هو صغير بل ويكاد يكون رمزياً خلاف المعروف من المعابد البوذية التي تتسم بالكبر والسعة. ما عدا القاعة الرئيسية التي يكون فيها تمثال كبير لبوذا يسجدون عنده ويتضرعون إليه، فتكون متوسطة أو صغيرة.

وكان عند المعبد في حديقة المتحف جمع من الأطفال يلعبون فالتفوا علينا يريدون التصوير عندما رأوني أصور المعبد فصورتهم.

**الأطفال الأبطال:**

قالت الدليلة وهي تتقد حماساً، وتكاد تنفجر غيظاً على

الأمريكيين الذين حاولوا إذلال الشعب الفيتنامي وقذفوه بأقوى أسلحة الدمار ـ كما قالت: إنها كانت صغيرة إبان الحرب مع الأمريكيين ولكنها تحفظ أنشودة تمجد أطفال فيتنام، وتذكر مقاومتهم العنيفة للأمريكيين.

وقالت: لقد حاربت النساء كما حارب الرجال وحارب الأطفال حرب الأبطال. وقالت: إن أطفالنا يختلفون عن أطفال الأمريكيين المدللين.

وأنشدت أغنية حماسية باللغة الفيتنامية، قلت لها بالعربية عندما سمعتها تنشدها ما قلته في أمثالها ولم تفهمه وهو أن (تكذب ولا تخاف) لأنني لا أستطيع أن أعرف كذبها أو غلطها ولكنها ترجمت المهم من تلك الأنشودة التي تقول:

أطفالنا أبطال، ونساؤنا جنود وفواكهنا بنادق، ونحلنا سيوف، وفسرت ذلك بأن الأطفال قد ربوا على أن يرصدوا حركات الأمريكيين وتصرفاتهم ويخبروا بها القيادة والنساء جنود، لأنهن يقاتلن ويترصدن للأمريكيين فيوقعن بهم من حيث لا يحتسبون، وأما الفواكه فإنها بنادق لأن الجنود يعيشون عليها إذا لم يجدوا طعاماً فتكفيهم غذاء، والنحل قنابل لأنه يلسع الجنود الأمريكيين ويمنعهم من الولوج في بعض الأماكن.

## المتحف الحربي:

ذهبنا إليه مخترقين شوارع هانوي الواسعة التي ترصع أرصفتها بائعات البضائع البسيطة من الأطعمة القليلة، والفواكه المحلية

الرخيصة والبضائع الأرخص والأقل جودة. وإن كان ذلك أقل مما عليه الحال في البلدان غير الشيوعية مثل تايلند حتى بورما.

فوصلنا المتحف الحربي، وكان أهم منظر في ساحته منظر حطام طائرة أمريكية من قاذفات القنابل الضخمة طراز ٥٢ ب قد أسقطها الفيتناميون فوق هانوي لأنها كانت محملة بالقنابل التي اعتادت هذه الطائرات القاءها على فيتنام.

من الطريف في الأمر أن حطام الطائرة الأمريكية الضخمة قد جمعوه وكوموه حتى غدا كحطام بيت كبير، ثم وضعوا فوقه طائرة صغيرة من صنع روسي. هي التي أسقطتها عندما هاجمت هذه الطائرات الضخمة مدينة هانوي في المدة ما بين ١٨ إلى ٢٩ ديسمبر عام ١٩٧٢ م.

وتم إسقاط هذه الطائرة التي نرى حطامها الآن بصاروخ محمول على طائرة روسية حربية لا يتعدى حجمها بالمقارنة إلى حجم هذه الطائرة الأمريكية الكبيرة العشر منه أي ١٠٪.

وما شبهت تربع الطائرة الروسية النفاثة الصغيرة وهي سليمة فوق حطام هذه الطائرة الأميركية العملاقة ٥٢ ب، إلا بالمنزلة الرفيعة التي صارت في نفوس العالم لهؤلاء الفيتناميين الصغار الأجسام، الكبار القلوب عندما قهروا الأميريكيين ذوي الأجسام الكبيرة والصناعات الضخمة التي من أهمها أكبر القنابل الموجودة في العالم كله في ذلك التاريخ.

وقد عرضوا غير بعيد من المكان مدفعاً فرنسياً ضخماً كانوا قد غنموه من قلعة (ديان بيان فو) بعد أن انتصر الفيتناميون على الفرنسيين

في المعركة البطولية التي دارت حول القلعة الضخمة المذكورة عندما تحصن بها الفرنسيون ومعهم الأسلحة الفتاكة التي لم تغنِ عنهم شيئاً إزاء عزيمة الشعب الفيتنامي، وتصميمه على النصر وتقبله للتضيحات الجسام التي لا بد من القبول بها لمبتغى النصر في الحروب. وكان استسلام الفرنسيين لهم في عام ١٩٥٤ م.

وكان يسير معنا في المتحف ضابطان فيتناميان من الشبان عليهما لباس نظيف جميل، عندما عرفا أننا من العرب سلما وأحفيا السلام ثم تطوعا بتعريفنا على هذه المعروضات المهمة التي تدل على أمجادهم البطولية.

وقد طرأ على ذهني وأنا أرى هذه الشواهد على بطولة هذا الشعب بيت عربي قديم كان العرب القدماء ينشدونه في مثل هذه الحالة وهو:

هذي المكارم لا قعبان من لبن  شيبا بماءٍ فعادا ـ بعد ـ أبوالاً

والقعبان: تثنية قُعْب وهو الإناء الذي يشرب به اللبن ونحوه من السائلات، وشيبا بماء: خلطا بالماء. كما عرضوا بجانب ذلك قنابل أمريكية ضخمة بعضها طوله أكثر من مترين من التي لم تنفجر.

وفي النهاية التقطنا صوراً تذكارية مع الضابطين الفيتناميين الذي كان أحدهما يحمل ٤ نجوم والثاني نجمتين.

وبجانب المتحف برج قديم يسمونه برج العلم يلفت النظر بطراز بنائه القديم ذكروا أنه مبني منذ القرن التاسع الميلادي، ولم يكن برجاً للعلم عندما بني وإنما كان لغرض المراقبة ولكنهم حولوه إلى برج رفع عليه العلم الوطني بعد ذلك.

وعليه مكتوب جملة كانت شائعة عندهم وهي: (إذا لم ترَ برج العلم لم تزر هانوي)، أي كأنما أنت لم ترَ شيئاً في هانوي فأنت كمن لم يزرها.

وقد قلل من أهميته في نفوسنا أنه كان قد تهدم بفعل القنابل الأمريكية، ثم أعادوا بناءه الحالي على طراز بنائه القديم.

## المدينة الخضراء:

وأصلنا الجولة في هانوي فذهبنا إلى مناطق تحف بقلب المدينة التجاري فكان أكثر ما فيها الحدائق ذات الأشجار الباسقة وفيها

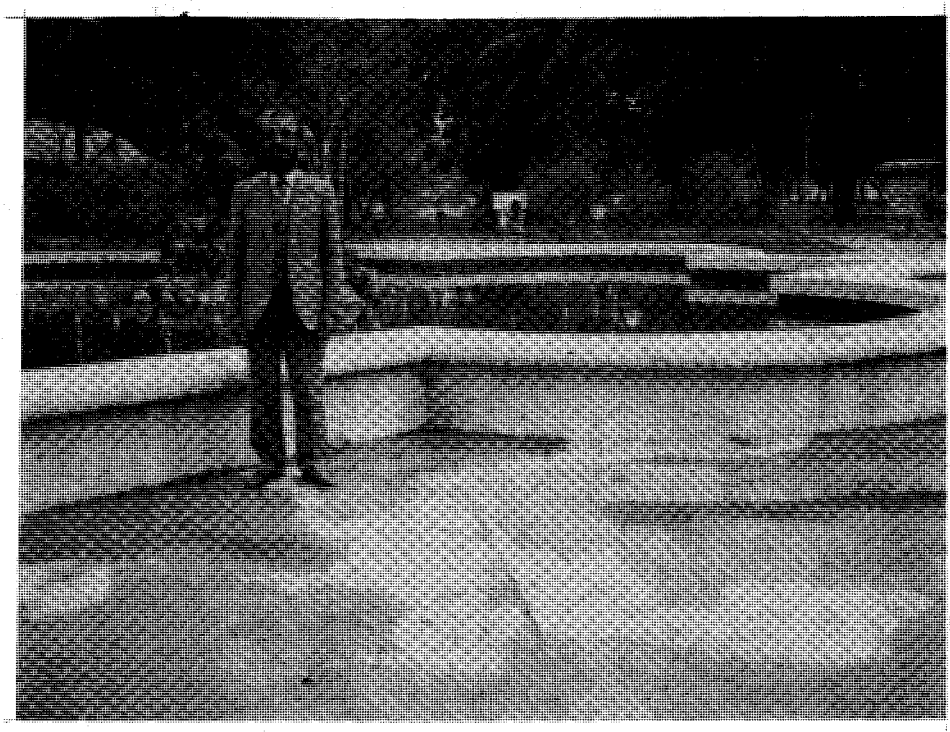

في إحدى الحدائق في هانوي

بحيرات متعددة تكون عليها الميادين وترفرف على حواشيها أشجار من أشجار الظل المغروسة في نظام بديع، وقد سلكنا شارعاً جيداً يفصل بين بحيرتين اثنتين من هذه البحيرات الواقعة في المدينة.

وعلى ذكر البحيرات والمياه يحسن أن ننوه بأن في هانوي أربعة أنهار.

## البحيرة الغربية:

وهذه البحيرة واسعة قد جملوا حواشيها التي تلي المدينة أو على الأدق تلي القسم الذي وقفنا به من جهة المدينة عندها معبد بوذي

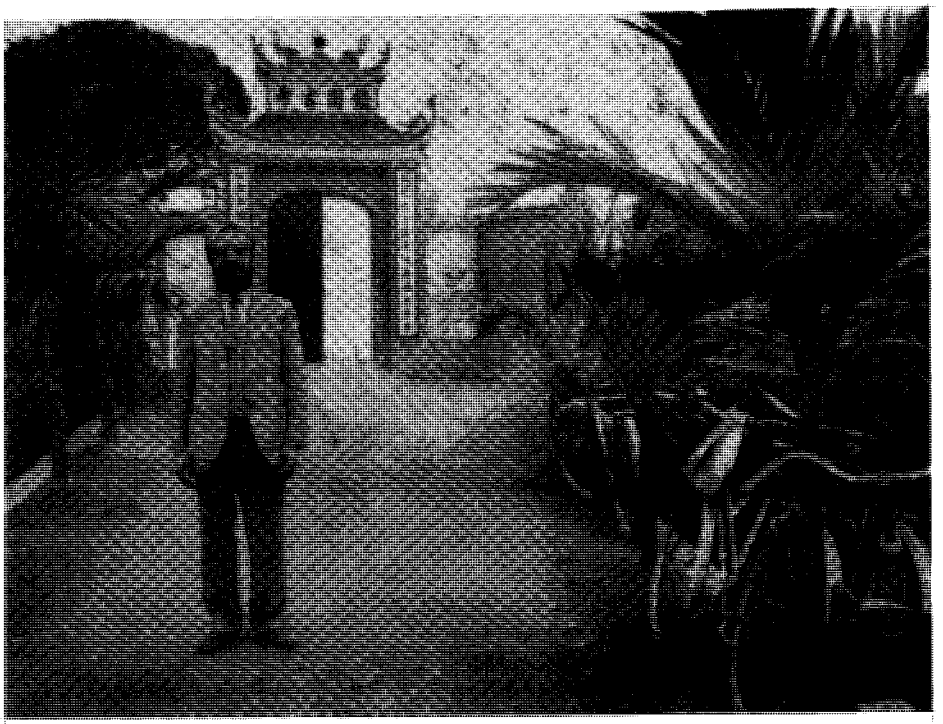

أمام معبد البحيرة في هانوي

عتنى به، ومطعم يوصل إليه بطريق مدفون في الماء التقطنا له عدة صور.

## عودة إلى وسط المدينة:

من غرب هانوي حيث البحيرة الغربية عدنا إلى وسط هانوي القديم حيث المنازل المتلاصقة والحوانيت المتراصة، ومن طريف ما رأيتهم صنعوا في الحوانيت أن جعلوا باعة كل صنف من البضائع مجتمعين أي في حوانيت بعضهم قريب من بعض.

فمثلاً: هناك حوانيت تبيع القدور وأواني طبخ الطعام وإعداده، ومجموعة أخرى من الحوانيت وهي (الدكاكين) لا تبيع إلا الأثاث الخشبي وهي مجتمعة في سوق واحد.

وهكذا أكثر السلع وحتى النظارات رأيناهم جمعوا كل باعة النظارات في المدينة في حوانيت متجاورة، وقد أخبرتنا موظفة السفارة (فان) أن الحوانيت هذه خاصة لأهلها أي ليست مملوكة للدولة. ومع ذلك لم نعدم في أي مكان حللناه هنا أن نرى ما سميته قديماً بحوانيت الأكتاف وهي أن يكون مع البائع بضاعة في وعائين معلقين بخشبة يضعها على كتفيه ويسير يبتغي من يشتري منه.

وهؤلاء كلهم من الباعة المتجولين وغالباً ما تكون بضائعهم هنا من الفاكهة التي تنتجها هذه البلاد، أو من الأطعمة البسيطة أو من البضائع الرخيصة.

وأكثر ما ترى حوانيت الأكتاف هذه مع النساء، فعمل النساء في فيتنام شائع مثلها في ذلك مثل تايلند وسائر البلاد الصفراء أو التي

تسمى بذلك نسبة إلى ما زعم بأنه اللون الأصفر الذي يميز أهلها.

ومظاهر الفقر والعوز كثيرة ظاهرة، وان كانت مظاهر العزة والترفع واضحة مثل قلة التسول، أو متابعة الغريب طمعاً فيما قد ينال منه، وحتى الباعة الصغار لم أرهم يحاولون أن يأخذوا من الغريب ثمناً أكثر من المعتاد لبضائعهم.

وأكثر وسائل المواصلات هنا هي الدراجات الهوائية المعتادة وهناك الدراجات النارية ولكن بقلة. وإنما الكثرة الكاثرة منها في جنوب البلاد وبخاصة في مدينة (هوشي منه) عاصمة الجنوب كما تقدم.

## مزيد من البحيرات:

مررنا ببحيرة أخرى في المدينة عليها البيوت كما تكون على شاطىء النهر وقد رصفوا الشارع الذي يليها وزينوه بالأشجار الخضر.

ثم ذهبنا إلى بحيرة أخرى اسمها (هو كوف كين) وقفنا عندها والتقطنا صوراً جميلة على شاطئها.

## ميدان المصارعة ضد الأعداء:

لم نتوقف عند هذه البحيرات الجميلة التي تزين المدينة، وإنما أسرعنا بالذهاب إلى ميدان مهم في المدينة اسمه (قوان تونغ هوان كيا) يعني ميدان المصارعة ضد الأعداء، ولا شك بأن الشخص الذي في ذهنه صبر هؤلاء الفيتناميين على الحروب ومصابرتهم لقراع الخطوب حتى لبثوا في حروب متصلة مدة تزيد على أربعين عاماً لم يتوقفوا فيها

إلا عندما انتصروا لا يعجب إذا رأى ميداناً مهماً في عاصمتهم اسمه (ميدان المصارعة) وإن كانت ضآلة أجسامهم وضعفها لا تمكنهم من ادعاء البطولات في حلبات رياضة المصارعة في العالم فقد اكتسبوا البطولات الجمة في ميادين المصارعات الحقيقية.

وقالت المرافقة (فان): إن هذا الميدان وما حوله يعتبر (كبد) هانوي بمعنى قلبها المهم فيها وهو مزدحم جداً بالمشاة وراكبي الدراجات.

وأما السيارات فإنها موجودة ولكن على قلة.

## حديقة الحيوان:

تركنا (كبد) هانوي متوجهين إلى حديقة الحيوان وقد كتب عليها ذلك فوجدناها كانت حديقة للحيوان ولكنهم أنشأوا حديقة حيوان كبيرة في مكان بعيد من المدينة نقلوا إليها الحيوان وأبقوا فيها عدداً قليلاً من الحيوان المعروف ولكنهم جعلوها بمثابة المنتزه لمن يريد أن يخلو مع أسرته أو صاحبته وبنيه. فغرسوا أشجاراً متعددة جديدة فيها إضافة إلى الأشجار الباسقة الموجودة منذ عهد قديم.

دفعنا رسم دخول الحديقة (٢٠٠) دونغ للشخص الواحد ويساوي ذلك قرشاً سعودياً لأن الدولار بخمسة عشر ألف دونغ كما سبق.

ووجدنا في داخلها رجلاً معه ميزان يزن به من يريد من الناس أن يعرف وزنه، فكان وزني ٦٢ كيلو غراماً، ووزن الكاتبة المرافقة (فان) (٤٥) كيلو غراماً، وتقاضى (٢٠٠) دونغ عن كل واحد، ولم نطل

اللبث في هذه الحديقة التي هي تصلح للجلوس الطويل، وإنما وقفنا على شاطىء بحيرة مقابلة لمدخل الحديقة من جهة الشمال الشرقي اسمها (هالي) وهذا اسم لها فرنسي، أما اسمها عند الفيتناميين فهو (ثوتون قوانغ).

## إلى النهر الكبير:

طلبت أن أرى النهر الكبير الذي رأيته عندما دخلنا المدينة وهو الذي على مدخل مدينة هانوي لمن يقدم من جهة المطار.

وأوقفنا السيارة جانباً فوق الجسر الكبير الذي أقاموه عليه من أجل التقاط صورة له من فوق الجسر. فأسرع شرطي مرور لمعاتبة السائق على ذلك يريد معاقبته، ولكن المرافقة أفهمته أننا سياح من العرب نريد أن نلتقط صورة نادرة، فتركه.

واسم هذا النهر الكبير (سونغ هونغ) بمعنى النهر العكر، وكنت سميته النهر الكبير من صفته التي رأيته عليه وهو واسع المجرى، جم المياه، ولكن مياهه حمراء مما يعطيه بالفعل لقب النهر العكر.

وهو يأتي من الصين إلى هذه البلاد.

أما الجسر الكبير الذي أقيم عليه وهو حديدي ضخم واسع فإنه حديث لم يكتمل بناؤه إلا في عام ١٩٧٨ م.

وهناك على النهر جسر قديم بناه الفرنسيون إبان استعمارهم للبلاد ويقع جهة الشمال من هذا الجسر الكبير.

وعلى ذكر النهر أقول: إن البحر يقع على بعد ١٥٠ كيلو متراً من هانوي.

المؤلف في هانوي

وعدنا إلى الفندق مع غروب الشمس في حوالي الخامسة والنصف فأعطيت السائق والكاتبة من الحلوان (البقشيش) ما أرضاهما حتى انحنيا بالتحية وبالغا في الانحناء.

## يفضلون لحوم الكلاب:

سمعنا من السفير المصري وغيره من الإخوة المسلمين أنهم يلاقون مشقة في الحصول على اللحم الحلال وأنه من الصعب على المسلم أن يأكل في المطاعم الفيتنامية الوطنية وذلك لكونهم لا تحل ذبيحتهم للمسلم ولكونهم يأكلون لحم الكلاب بكثرة.

والليلة زارنا الأخ (ماهر فؤاد مكي) من السفارة المصرية من أجل البحث في كيفية تقديم المساعدة للمسجد ووسائل تشجيع الدعوة الإسلامية من دون أن يكون للسفارات دور ظاهر، لئلا تتهمها حكومة فيتنام بالتدخل في الشئون الداخلية، والاتصال بطائفة من المواطنين عن غير طريق الحكومة.

وقال الأخ ماهر: إننا قد اعتدنا على أن نشتري عجلاً صغيراً نتقاسم لحمه فيما بيننا أو يذبح الواحد لنفسه عنزاً ويضع لحمها في الثلاجة.

وذلك لكون الماعز هو الوحيد من الغنم الموجود للبيع في هذه البلاد وأما الضأن فإنهم لا يبيعونها ولم يكونوا يعرفونها ولا يأكلون لحومها، وإن كانت موجودة على قلة ويشتريها الأجانب أمثالنا. وإنما الشائع عندهم أكل الخنزير وأكل السمك، وهناك نوع من اللحم يفضلونه وهو أغلى اللحوم عندهم وهو لحم الكلاب. ولكنه ليس لحم أي كلب وإنما هنالك كلاب قصيرة الأرجل تسمن بسرعة يربونها للحم، أي من أجل ذبحها وأكل لحمها، وتباع علناً في السوق بثمن غالٍ، أي يباع لحمها.

أما البقر فإنه موجود ولكنه قليل، وتبيعه الحكومة، ولكنه ليس متوفراً في كل آن، كما أنه لم يذبح ذبحاً شرعياً مع أن ذبح الوثني ولو كان ظاهره شرعياً فإنه لا يجوز أكله، لأنه ليس من أهل الكتاب. وذكر أنهم يشترون الخروف بسعر ٩ آلاف دونغ للكيلو وهو حي لأنهم هكذا يبيعونها وزناً وهي حية و ٩ آلاف هي أقل قليلاً من ثلثي دولار أمريكي فيساوي الخروف في المتوسط حياً ١٥٠ ألف دونغ وذلك حوالي عشرة دولارات.

وأما لحم البقر فإنهم يشترون الكيلو منه بخمسة آلاف دونغ من الأشخاص الذين يبيعونه لأنفسهم وذلك يساوي أقل من نصف دولار أما اللحم الذي تبيعه الحكومة من لحم البقر فإن سعره أقل من ذلك بمقدار الثلث.

ومع هذا الرخص المتناهي للحوم بالنسبة إلى الأجنبي الذي يقدم معه بعملة صعبة فإنه غالٍ جداً بالنسبة إلى المواطنين لقلة أجورهم وضعف دخولهم وأغلبهم لا يستطيع الحصول على شيء من اللحم، وإنما الوجبة الرئيسية المعتادة لهم هي الأرز المأدوم بشحم الخنزير والأرز رخيص جداً عندهم كما سبق.

ويكفي الشخص الواحد من هذه الوجبة الرخيصة حوالي (١٠٠٠) دونغ ويساوي ذلك ربع ريال سعودي.

والسمك متوافر ورخيص وذلك لكثرة البرك والأنهار والبحيرات، إضافة إلي ما يصطادونه من البحار التي تقع عليها بلادهم وهي شواطىء طويلة واسعة غنية بالأسماك.

وإذا تجاوزنا اللحم والحديث عن الطعام عندهم نجد أنهم شعب غير متدين، وليست له مثل مرعية متوارثة، وما كان من تأثير الدين لديهم قد قضت عليه أو على أكثره الدعاية الإلحادية الشيوعية.

ولذلك يعجب المرء من صبرهم على متاعب الحياة التي من أكثرها ظهوراً ضيق المنازل وقلة الدخول، وقد يساعد على ذلك انغلاقٌ فرضته عليهم الحكومة الشيوعية فلا يصل إليهم تلفاز أجنبي ولا صحف أجنبية. ولا يسمح لأحد أن يسافر إلى خارج البلاد إلا إذا كان في مهمة حكومية.

## يوم الخميس ٢٩/٥/١٤١٢ هـ ـ ٥/١٢/١٩٩١ م:
## مغادرة هانوي:

دفعنا لفندق (هاوبنه) أجرته بالدولار ونقص ذلك فرضوا بأن ندفع التكملة بالدونغ الذي هو عملتهم المحلية. وقد دفع كل واحد منا ٦٩ دولاراً أجرة غرفة منفردة لليلتين مع فطور ليومين ووجبة عشاء واحدة من السمك والإربيان، وهذا منتهى الرخص.

والأهم من ذلك لدينا حسن معاملة القائمين على الفندق وسهولة الدخول والخروج عندهم.

وغادرنا فندقنا (فندق هاو بنه) الساعة السابعة على سيارة أجرة كانت إدارة الفندق قد أعدتها لنا البارحة وهي سيارة صغيرة لا بأس بها.

فكان الزحام الشديد في الشوارع في هذه الساعة المبكرة من الصباح، وذلك لكون العمل يبدأ عندهم مبكراً مثلما أنهم ينامون في العادة مبكرين.

ومن أكثر الناس ظهوراً في هذه الساعة الفلاحون الذين معهم ما جلبوه من خضار وفاكهة محلية محدودة النوع والمقدار وإنما الخضار كثير كالقرع الذي هو الدباء والفاصوليا والكرنب والخيار والطماطم.

وأغلب الناس هنا من الفلاحين والقرويين عليهم القبعات الفيتنامية العريضة المتميزة عن غيرها من القبعات، ولكن مظاهر الجميع تدل على الفقر والعوز يظهر ذلك في ثيابهم وما يحملونه كما تظهره علامات نقص التغذية أو سوءها على وجوههم.

## الجوازات في الرصيف:

وصلنا المطار فوجدنا مكتباً للجوازات على رصيف مبنى المطار يمر به الراكب المسافر للخارج قبل أن يدخل مبنى المطار ويملأ استمارات موجودة باللغة الفيتنامية والإنكليزية وفعلنا ذلك، ولكن الضابط نظر إلى جوازاتنا وسألنا لماذا لم تسجلوا جوازاتكم في الشرطة، إنه مكتوب عليها أنه يجب عليكم أن تفعلوا ذلك خلال ثلاثة أيام.

فأجبناه صادقين بأننا لم نفطن للكتابة، وأنه لم يقل لنا أحد ذلك صراحة، فأدخلنا إلى ضابط أعلى رتبة منه في داخل المكتب، ثم حضر ضابط كبير، وقال: إننا سنأخذ ما ذكرتموه من عدم معرفتكم بوجوب تسجيل جوازيكم بعين الاعتبار، ونرجو ألا يتكرر منكم ذلك إن قدر لكم أن تعودوا إلى فيتنام فشكرنا له قوله وفعله.

قال: وجوازك السياسي ليس عليه غرامة، وأما جواز رفيقك وهو (علي عيسى) الذي يحمل جواز سفر تايلندياً معتاداً فإنه يجب أن يدفع خمسة عشر دولاراً أمريكية غرامة عدم التسجيل.

دفعنا الغرامة وتجاوزنا مكتب الجوازات هذا العجيب، ثم دخلنا مع مدخل عليه موظف يأخذ رسماً على كل حقيبة تدخل إلى المطار

من حقائب الركاب وهو رسم قليل إلا أنه عافاني منه قائلاً إن الجواز (الدبلوماسي) ليس عليه رسم.

وتجاوزناه داخلين إلى داخل مبنى المطار فوجدنا أنفسنا في مكتب في قاعة الترحيل عليه امرأة دققت في الجوازات والحقائب وأخذت خمسة دولارات على كل جواز وذلك رسم مغادرة المطار الموجودة في أكثر المطارات للرحلات العالمية.

ثم أخذنا حقائبنا إلى موظف أدخلها فاحصاً آلياً وأحالها إلى موظف الترحيل المعتاد الذي قطع التذكرة فدخلنا إلى قاعة المغادرة مارين بموظف الجوازات الذي يختم عليها.

وكانت هذه إجراءات صعبة لم نرَ مثلها عندما دخلنا فيتنام عن طريق مطار مدينة هوشي منه (سايقون) قديماً في جنوب فيتنام.

ثم غادرنا هانوي قاصدين مدينة (فينتيان) عاصمة لاوس. والحديث عن لاوس ومن بعدها كمبوديا في كتاب آخر عنوانه (المسلمون في لاوس وكمبوديا). والله المستعان.

## التوصيات:

يجدر بنا وقد انتهى كلامنا إلى هذا الموضع من مغادرة فيتنام، وانقطع فيها الكلام عن أهل الإسلام، أن نثبت هنا توصيات اعتدنا على أن نلحقها في مثل هذا المقام.

فنقول: إن الإخوة المسلمين الفيتناميين سواء أكانوا من التشامبيين أو من أصلاء الوطنيين يحتاجون لجميع أنواع المساعدة في الدين، لأنهم الآن بحاجة إلى جميع مقومات المحافظة على الدين الذي هو أصل هويتهم، ومصدر إبراز شخصيتهم، لذلك رأينا أن نقدم التوصيات التالية:

١ ـ تكثيف الزيارات إلى فيتنام من أهل الدين ورجال العلم، وبخاصة من رجال الدعوة الذين يعملون في المؤسسات الإسلامية العامة مثل رابطة العالم الإسلامي والأزهر الشريف ووزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية في البلدان الإسلامية. والهيئات الخيرية الإسلامية.

وذلك بغية التعرف على أحوالهم ومعرفة الأولويات اللازمة في العمل تجاههم. ثم المباشرة بتنفيذ ما يمكن تنفيذه منها.

٢ ـ الإكثار من المنح الدراسية لأبناء المسلمين وبناتهم للتعليم الإسلامي وللتعليم المدني المهم في الحياة لأنه قد يكون أثر طبيب أو مهندس مسلم في ذلك المجتمع أقوى من أثر بعض الدعاة.

على أنه إذا كانت المفاضلة بين التعليم الإسلامي والتعليم المدني النافع فإن التعليم الإسلامي هو المقدم لأنهم ليست لهم أية قاعدة للتعليم الإسلامي إلا مبادىء يعلمونها أولادهم باللغة التشامبية لا تكفي. ولكون التعليم المدني موجوداً في بلادهم، ولكن تسيطر عليه الحكومة التي تحارب الدين بطبيعة مذهبها الشيوعي.

وينبغي أن يكون هناك تنسيق في تقديم تلك المنح بين الجهات التي تقدمها التي أغلبها جامعات إسلامية.

٣ ـ فتح مكتب لرابطة العالم الإسلامي في مدينة (هوشي منه) أو مدينة (فنوم بنه) عاصمة كمبوديا إذا تعذر فتح المكتب في (هوشي منه) يكون المكتب مسؤولاً عن العمل الإسلامي الذي تقوم به الرابطة وغيرها من الجهات التي ترى تكليفه العمل بذلك.

وإذا تعذر افتتاح مكتب كامل فإنه يمكن تعيين ممثل للرابطة يكون شخصاً موثوقاً به من أهل ماليزيا أو أندونيسيا الذين يعرفون لغة تشامبا ويمكنه أن يتخذ كاتباً أو موظفاً من أهل البلاد يساعده في تلك المهمة.

٤ ـ دعوة الإخوة المسلمين من أهل فيتنام من الزعماء العاملين في

الحقل الإسلامي إلى الاجتماعات والمؤتمرات والندوات الإسلامية التي تعقد في البلدان الإسلامية، بغية ربطهم بإخوتهم المسلمين وإشعارهم بأنهم جزء من العالم الإسلامي الواسع.

٥ ـ إجراء مسح شامل لاحتياج بلادهم من المساجد الجديدة من أجل العمل على بناء مساجد فيها يلحق بكل مسجد مدرسة إسلامية أو فصول للدراسة الإسلامية يقصد منها تعليم الصغار والكبار الضروري من أمور دينهم.

٦ ـ الاتصال بالجمعيات الخيرية وجمعيات الإغاثة الإسلامية للعمل على إنشاء مستوصفات أو مستشفيات إن أمكن في مناطق المسلمين، يكون الدخول فيها مباحاً للمسلمين ولغيرهم بغية إشعار الفيتناميين أن المسلمين الفيتناميين هم مواطنون نافعون وأنهم وسيلة خير ونفع للمواطنين من غير المسلمين.

٧ ـ إجراء مسح كامل للمساجد الموجودة، واعتماد المبالغ اللازمة لترميمها وإصلاحها، وعددها في مدينة (هوشي منه) أربعة عشر مسجداً، مع إنشاء مرافق للمساجد التي ليست لها مرافق منها.

٨ ـ إجراء مسح شامل للمساجد الموجودة في منطقة المسلمين على الحدود بين فيتنام وكمبوديا التي لم نستطع الوصول إليها، بسبب عدم الحصول على إذن مسبق من الحكومة، وتحديد المبالغ اللازمة لإصلاحها وترميمها والمباشرة بذلك.

٩ ـ إغاثة أئمة المساجد، ومدرسي الدين الإسلامي واللغة العربية في فيتنام كلها، ويقدر عددهم بتسعين إماماً ومدرساً بمبلغ شهري لكل واحد منهم، على أن يصرف ذلك للجمعية الإسلامية

الفيتنامية في (هوشي منه) أو أية جهة أخرى موثوق بها، لتتولى صرف الرواتب للأئمة والمدرسين شهرياً، وهي رواتب ضئيلة بالنسبة إلى الرواتب في البلدان غير الشيوعية.

١٠ ـ ابتعاث الدعاة من أبناء فيتنام الموجودين في ماليزيا أو المملكة العربية السعودية ممن أتموا دراساتهم الإسلامية إلى بلادهم مرشدين ومدرسين، وإذا كان عددهم قليلاً فا ه يمكن ابتعاث عدد من الدعاة من أندونيسيا إلى فيتنام وذلك للقرب بين لغة تشامبا لغة المسلمين في فيتنام واللغة الملايويه لأندونيسية.

١١ ـ توزيع مجموعات من الكتب والرسائل باللغه الفيتنامية ولغة تشامبا على المسسلمين وإذا لم توجد فتطبع اخل فيتنام وتوزع عليهم.

١٢ ـ دعوة عدد من زعماء المسلمين وكبار أئمة لمساجد من أهل فيتنام إلى المملكة العربية السعودية لزيارة رابطة وأداء العمرة وزيارة المسجد النبوي الشريف والسلام على رسول الله ﷺ والتعرف على معالم النهضة الحديثة التي تعيشها المملكة.

١٣ ـ استضافة ما لا يقل عن خمسة أشخاص من كبار المسلمين وزعمائهم لأداء الحج على ضيافة رابطة العالم الإسلامي وفق خطة منظمة لهذا الأمر. والله الموفق و لهادي إلى سواء السبيل.

# الفهـــرس

الموضوع — الصفحة


المؤلف ..... ٥
أولاً ـ مؤلفاته المطبوعة ..... ٦
المقدمة ..... ١١
فيتنام ..... ١٥
الاقتصاد ..... ١٦
اللغة ..... ١٦
التاريخ ..... ١٧
المسلمون في فيتنام ..... ١٨
المسلمون في الوقت الحاضر ..... ٣١
المسلمون من الفيتناميين الأصلاء ..... ٢٣
العرب ..... ٢٤
المسلمون من أهل الهند ..... ٢٤
نظرة على أوضاع المسلمين في فيتنام ..... ٣٠
المساجد والمدارس الإسلامية في فيتنام الجنوبية ..... ٣٢
في النواحي ..... ٣٥

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|


من جدة إلى بانكوك ..... ٤١
مأزق في مطار بانكوك ..... ٤٧
يوم في فيتنام خير من يوم في بانكوك ..... ٥٠
من بانكوك إلى هوشي منه ..... ٥٠
في مطار هوشي منه ..... ٥٥
مدينة هوشي منه ..... ٥٩
نظرة أولى ..... ٦٠
شعب فريد ..... ٦٣
ركشا فيتنامية ..... ٦٥
شخصية إسلامية ولكن ..... ٦٩
الإرداف على الدراجة النارية ..... ٧١
الفرج ..... ٧٢
المساجد في هوشي منه ..... ٧٤
المطعم الإسلامي ..... ٧٦
جمعية فيتنام ..... ٧٨
أوقاف المسجد الجامع ..... ٨٠
الجزية ..... ٨١
مدرسة نور الإيمان ..... ٨٢
مقر الجمعية الإسلامية ..... ٨٣
إلى جامع المسلمين ..... ٨٥
حوانيت الأكتاف ..... ٨٧
القبعات الفيتنامية ..... ٨٨

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|


مسجد جامع المسلمين ..... ٨٩
جمعية مسلمي هوشي منه ..... ٩١
اللباس التقليدي ..... ٩٣
مائدة فيتنامية ..... ٩٥
جمع الطعام ..... ٩٨
جولة على المساجد ..... ٩٩
جامع السعادة ..... ١٠٠
سوق شعبي ..... ١٠٣
طريقة طريفة ..... ١٠٥
حي كاي فو ..... ١٠٧
حي نام كاو ..... ١٠٨
مسجد السعادة ..... ١٠٩
المدرسة الإسلامية ..... ١١١
إلى حي نونيغ تاي ..... ١١٤
إلى المسجد المبارك ..... ١١٦
جامع الأنور ..... ١٢٣
جامع الإسلامية ..... ١٢٦
مسجد الرحيم ..... ١٢٨
العرب في هوشي منه ..... ١٣٠
على نهر سايقون ..... ١٣٤
ميدان الحرية ..... ١٣٦
سوراو نور الإسلام ..... ١٣٧

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|


مسجد حياة الإسلام ..... ١٣٩
نرى الرجل النحيف ..... ١٤٣
سبحان الذي سخر لنا هذا ..... ١٤٥
اللغة الفيتنامية ..... ١٤٧
صرف الإعانات المالية ..... ١٤٨
اللين في المعاملة ..... ١٥٢
**إلى هانوي** ..... ١٥٥
من هوشي منه إلى هانوي ..... ١٥٦
في مطار هانوي ..... ١٥٧
في فيتنام الشمالية ..... ١٦٠
برك الأسماك ..... ١٦٢
بلدة سالم ..... ١٦٤
مدينة هانوي ..... ١٦٦
إلى السفارة التايلندية ..... ١٧٠
أهذا جزاء الأبطال؟ ..... ١٧٢
تمشية في هانوي ..... ١٧٦
أين آثار الحرب؟ ..... ١٨٠
أنحن في الصين؟ ..... ١٨١
الخروج بدون نقود ..... ١٨٤
في السفارة المصرية ..... ١٨٦
السفارات العربية ..... ١٨٨
جمعية المسجد ..... ١٨٨

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| الأديان في فيتنام | ١٨٩ |
| جامع هانوي | ١٩٠ |
| غداء السفير | ١٩٤ |
| جولة في مدينة هانوي | ١٩٤ |
| متحف هوشي منه | ١٩٥ |
| عاشق الأمة | ١٩٦ |
| مخلفات بسيطة | ١٩٧ |
| المعبد البوذي القديم | ١٩٨ |
| الأطفال الأبطال | ١٩٩ |
| المتحف الحربي | ٢٠٠ |
| المدينة الخضراء | ٢٠٣ |
| البحيرة الغربية | ٢٠٤ |
| عودة إلى وسط المدينة | ٢٠٥ |
| مزيد من البحيرات | ٢٠٦ |
| ميدان المصارعة ضد الأعداء | ٢٠٦ |
| حديقة الحيوان | ٢٠٧ |
| إلى النهر الكبير | ٢٠٨ |
| يفضلون لحوم الكلاب | ٢٠٩ |
| مغادرة هانوي | ٢١٢ |
| الجوازات في الرصيف | ٢١٣ |
| التوصيات: | |
| الفهرس | ٢١٩ |